الصُّعُود

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: الصُّعُود

اسم المؤلف: عزيز مصري

التدقيق اللغوي: منى الضايع

تصميم الغلاف: محمد مجاهد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ١٧٩٥١ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٦٢٣٣-٦-٩



ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية 

01020439639

massar.pub1@gmail.com 

الصُّعُود



عزيز مصري

مسار
للنشر والتوزيع
Masar publishing & Distribution



إهداء

ما لي أراك الآن قد خلّيْتني.. أرعى الهموم وأنت فينا الخالي

رحماك ربي من هوىً أيقنته.. النفسَ قاتلها بغير قتالِ.

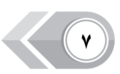
الصّهْبــاء

تتسلل نسمةٌ صيفية خفيفة تتحرك معها ستارة النافذة؛ لتصنع مجالاً لخيوط الشمس الذهبية؛ لتعبر في صمت إلى تلك الغرفة المظلمة الباردة، فتنشر دفئها وضوئها، حيث تلتقي في حُـنوٍّ مع خصلات الشعر الحمراء ـ فتزيدها اشتعالاً ـ وقد تناثرت على وجهها تخفي ملامحها، فيما انحسر الغطاء عن فَخِذِها؛ فبدت عليه آثار أصابع قاسيةٍ، أوسوْطٍ، أوتكاد.

تتقلب النائمة تتأوه ألماً لا لذّة، ترفع أصابعها لتُنَحِّي تلك الخصلات الحمراء عن وجهها.

صهباء عشرينيه، جرى الكحل على خديها، كخطين أسودين ـ كما لوأمضت ليلتها باكيةً ـ واختلطت ملامحها بالمساحيق؛ فصارت أشبه بمهرج في سيرك، أوكبورتريه فني كان رائعاً، عمد إليه صاحبه بفرشاته يضيفً لوناً بعد لون، وكلما أضاف لوناً بدا له آخر أفضل؛ فأسرع به.

تتكئ على يديها، ترفع جسدها في صعوبة، لتعود بظهرها إلى الخلف، وقد بدت تلك الآثار على رقبتها، وساعديها، ترفع أصابع يدها إلى فمها تحاول جاهدةً ستر فمها من تثاؤب، ثم تهبط أصابعها في بطء وهدوء على رقبتها ـ حيث آثار أصابع ـ؛ً وقد تَمَعّـر وجهها لألم أحسته، فيما تكمل أصابعها حركتها كما لوتتأكد من جسدها ـ حيث ًهو، فتُطَوِّفُ



على صدرها نصف العاري، ثم صعوداً إلى كتفها الأيسر، وفي بطء تهبط تتحسس ذراعها، وتتوقف يدها حيث ألمٍ أشد من سابقه، ويزيد لا محالة عن ألم نومٍ طويل..

ـــ آه...

أسرعت بعينيها تتفحص حيث موضع الألم، وقد هالَها ما رأت، فغرت فمها، واتسعت حدقتا عينيها، واغرَوْرقتا حال وقع ناظراها على هذا الأثر، أسرعت بما تبقى من غطاء عن ساقيها تُلقي به، وانتفضت تضع قدميها على الأرض، تحملان ثقل جسدها الممشوق، وما إن اسْتَوَت واقفةً حتى سقطت على الأرض تصرخ، وانهالت دموعها توافق هذا الألم، وكأنما ضغطت ذرها.

تكوّمَت الصهباء العشرينية على الأرض في قميصها الأزرق القصير، وقد بدت على جسدها أثار ليلةٍ قاسيةٍ تشخب قدمها دماً، وقد تناثرت من حولها بقايا قنينة خمر، ترفع باطن قدمها إلى عينيها تنظر تلك القطعة الصغيرة من الزجاج ـ وقد شغلها ما ألَمّ بقدمها عن ما بدا على ذراعها ـ

(وذا حال المبتلى بأمرٍ بعد أمر، إذ يذهب أحدهما بألم الآخر)

ترتعش أصابعها، تتحرك إلى تلك القاتلة، تغمض عينيها في قوة كما لو تمسك على شيءٍ بين جفنيها، ولكنها تتوقف...

عادت إليها أصابعها المرتعشة كما لو صعقتها الكهرباء، تنظر إلى أطرافها المُخَضّبة؛ فتسري تلك الرِعْشة في جسدها سريان البرَد يتخلل

الجسدَ المتخفف في ليلةٍ مطيرةٍ من ليالي يناير.

كان الألم أقوى من طاقتها على التحمل في أن تسحب هذه القاتلة عن قدمها، تدور بعينيها في أنحاء الغرفة لتقف بناظريها عند محْرَمةٍ تعلوكومودينوبجوار السرير، فتزحف إليها، فيما تُنَحِّي قطع الزجاج عن طريقها حتى شارفت على الوصول، أوكادت..

***

هكذا الإنسان دوما ـ لا يصل حيث يصل إلى مبتغاه ليناله في أرْيَحِيّة، غير أنه ما إن يشرف عليه حتى تمتد يده في مجاهدة، ومكابدة، على أنه لوأكمل في طريقه قليلاً لنال مبتغاه في أرْيَحِيّةٍ، ولكنها العَجَلةُ خُلِق منها.

***

امتدت يدها إلى المحرمة في صعوبةٍ حيث مالت بجسدها كله إليها، وجذبتها من طرفها؛ لتسقط أمامها مجموعة من الأوراق النقدية، تسبقها زجاجة خمر فارغه، هدأ منها نحيبها بعد أن رأت تلك الأوراق، وكأنها مخدر موضعي.

عمدت الصهباء بالمَحْرَمَةِ إلى قدمها تدفع الدم المنساب، وقد تخضبت أصابعها، كعروسٍ في ليلتها، فيما أسرعت تلك الأصابع المخضبة تجمع تلك الأوراق ـ من فئة مئتي جنيه ـ ورقةً ورقه، وقد أصاب بعضها ما أصاب أصابعها، إذاً خمس ورقاتٍ لا غير.

ــ الف....!! حيوان.

تقف الصهباء في صورتها المحزنة - تنبئ ملامحها من خلف القناع أنها على قدر من الجمال ـ متناثرة الشعر، تختلط المساحيق على وجهها، تشي الأثار على جسدها بما ذاقته في ليلتها، تُلقي بالأوراق الخمس على سريرها، فيما تعتمد على ركبتها، تمشي أوكأنها تمشي، كطفل يتعلم مبادئ المشي، وقد أجهدها هذا الذي لم تعْتده من نفسها حتى أغلقت خلفها باب الحمام....

ــ آه..

صرخة مدويه، ثم صوت تهشم زجاج..

***

حقيقةً أُثْـبتَت في غير مرّةٍ، وعلى مرّ الأزمنة (أن ليس الخبر كالمعاينة)... نعم، فليس الخبر عندما يصلك عن شيءٍ ما كمعاينتك أنت رأْيَ العين لهذا الخبر، فلكل ناقل أسلوبه، وطريقته، زيادةً كان اونقصاً، تهويلاً اوتقليلاً، إفراطاً أوتفريطاً، ثم أنت وما ترى بعد.

***

لم يكن إحساسها بالألم حال جسّت ذراعها إلا ناقلاً للخبر بأنْ ثَمّةَ ألمٌ ها هنا، ولمّا لم تقنع بما رأت من مكانها، وأسرعت إلى مرآة الحمام

لتدفع الظن باليقين... هالها ما رأت، فكانت المعاينة أقسى من الخبر

ارتدت الصهباء ملابس لا تتناسب وهذا الصيف القائظ، ولا وطبيعتها هي، فهي ممن يتخَفّفْن، إلا أنّ ما ألمّ بجسدها ألجأها إلى ستره،

بل والمبالغة في ستره في غير إخفاء لأنوثتها، بل كان سترها لجسدها هوذاته عين إظهار مفاتنه.

هذا القوام المتسق تمام الاتِساق، المعتدل في جملته، الصارخ أبداً ـ لكل عينٍ ذكورية ـ أن ها هنا أُنثى، فانتبهوا.

تتحركُ في خطى هادئة، وقد أخفت نصف وجهها أسفل نظارة سوداء كبيره ـ تخفي أكثر ماً تخفي آثار ألمها مع كل خطوةٍ تخطوها.

يمّمَت الفاتنة وجهها صوب الـ reception حيث ذاك الفتي القابع هناك، ذاك الوضيء، الوسيم، ذوالغرّة الناعمة ـ المنسابة على جبهته وقد عمد إليها بين الحين والحين يرفعها بيده ـ تعلووجهه المستدير الممتلئ في ملامحه الطفولية، ترافقه تلك الابتسامة العريضة وكأنما ـ وعلى غير العادة ـ وُلِد بها.

تبتسم له على مضضٍ مع إيماءة صغيرةٍ، وقد دَسّت يدها في حقيبتها.

ـ صباح الخير يا افندم.. حساب الأوتيل خالص، ودي فاتورة الهدوم اللي حضرتك طلبتيها.

تلقي عليها نظرة خاطفة، ثم تعود أصابعها إلى حقيبتها.

ـ للأسف، المصري اللي معايا مش كفايه.

ـ مفيش مشكله خالص يا افندم، إحنا ممكن نقبل أي عُمْله...

تعيد النظر إلى الفاتورة من جديد قبل أن تدفع إليه بأربع ورقات من

تلك العملة العربية.

ـ أظن دا كفايه.

ـ طبعاً يا افندم، نتمنى تكون إقامتك مريحه، وإن شاء الله نشوفك تاني

تومئ له وتستدير تاركةً إياه، تعلووجهه الابتسامة ذاتها، وكأنما رسمها أحدهم على وجهه، فهي تصحبه في كل أحواله لا تفارقه. أسرعت تهرب من عينيه، ونظراته اللاذعة، وكأنما تكشف عما بداخلها، وهوالخبير بأمرها، فكثيراً ما أمضت ليلتها في فندقه مع غير واحدٍ، وكثيراً ما تكرر هذا المشهد بينهما حتى ملّته، وكرهت منه ابتسامته الباردة تلك، وكأنما يلقاها كل مرّةٍ للمرة الأولى.

لم يَخْلُ مشهدهما هذا يوماً من تغيير طفيف كأن : تنقده مالاً، أوتترك شيئاً لرفيق، أوتأخذ شيئاً تُرك لها...

إلا أنها المرة الأولى التي تطلب فيها ملابس جديده..

تحركت الصهباء في ثباتٍ حتى جاوزت باب الفندق، ثم وقفت تعلورأسها يافطة كبيرة بالإنجليزية ELLOTES HOTEL تلقي بعينيها إلى البحر، تغمض عينيها، ترفع رأسها لأعلى، تأخذ شهيقاً عميقاً، ليرتفع ذاك النافران مع امتلاء صدرها بالهواء، وقد أطلقت ذراعيها، وكأنها تحتضن هواء البحر ـ بحر الإسكندرية ـ كما لوعادت إليه بعد أسْرٍ، أوسفرٍ طويلٍ... كأنها تَحْمَدُ عودتها سالمةً من مغامرتها في ليلتها

السابقة، فقد ـ ولا ريب ـ وُلِدت من جديد.... أوهكذا ظنت.

تنظر الصهباء يُمْنةً ويُسْرةً، ثم تعبر الشارع يتطاير خلفها ذاك الشعر الأحمر المتوهج، الذي يُشْبه في عينى كل ذكرٍ قميص نوم بذات اللون.

وعلى أنها تخفي نصف وجهها تلك النظارة ـ إلا إنها ولصورتها المكتملة يتمها ذاك الوهج المنطلق خلفها ما أخذ بأعين المارّة، وجعلها محط أنظار الكثيرين، إن مثلها ولا ريب لوأراد لَجَيّش جيشاً.

أسرعت إليه، عشقها الأول، باعثها للحياة، رفيق دربها، مؤنس وحدتها، وكاتم سرها... البحر...

***

شهر يوليو، البحر في الإسكندرية، أولَعَلّه كان... إلا أنّه وبعد أن لجأ إليه الكثير من أبناء الطبقة المتوسطة والدنيا، كمصطافين في زياراتٍ يوميةٍ؛ استحال ساعتها كعاملٍ أجهده عمله واتسخت ملابسه، وحقيق بأن يستبدل تلك الملابس المتسّخة، ولا يكون ذلك إلا في أشهر الشتاء، حيث يَخْلُص الشاطئ للبحر، وينظف البحرُ شاطئه ـ مرتديا أجمل حُلّةٍ زرقاء ـ استعداداً للعمل القادم صيفاً..

***

كان لصوت احتكاك الإطارات بالأرض ما حَوّل أعينَ الناظرين عنها إلى الطريق ـ فيما استمرت هي ولم تلق بالاً..

كاد يرتطم وجهه بالزجاج الأمامي حال ضغط مكابح السيارة؛

لمرورها المفاجئ أمامه مما حدا به أن يصرخ بها، غير أنه أَلْجَمَه ما رأى فلم يكمل على ذات النَسَق، وبذات الصوت العالي، بل تغيرت النبرة، وتغير الأسلوب،،،

ـ حاسبي يا...... حلوه... !!

لم يكن سائق التاكسي، إلا واحداً ممن ازدرت عينه كثيراً من ما تلفظ النفس، فلما تحقق له من الجمال في تلك الصورة ما تحقق ـ لم يجد بداً من التعبير الطبيعي عنه..

جعلت الصهباء تستنشق من عبير البحر، وكأنما استوْحشت بُعدها عنه، وما غابت عنه طويلاً، فهي التي تسامرت وصديقتها بالأمس حيث ذلك الكافيه المطل على البحر مباشرةً.

استيقظت من هذا السحر، لصوت رنين هاتفها يدندن، كل دا كان ليه.

ـ ألو... ايوه يا سعاد..... صباح النور..... على البحر..... آه لوحدي...... مفيش، بشم شوية هوا..... تمام، أنا قُرَيِّبه منك اطلبيلي قهوه.

تلقي الهاتف في حقيبتها في حزم، وكأنما انْتَوت أمراً، ترفع رأسها في شموخٍ، وكأنما امتلكت الدنيا بين رًاحتيها، وتنطلق بمحاذاة الشاطئ

تحاول إخفاء ألم الجُرْح بقدمها حتّى اعتادته، تسترجع أحداث ليلتها المريرة، تُعْرَض على خاطرها في صورٍ متتالية.

يقف لقدومها عليه ـ خمسيني رياضي، في حُلّةٍ كاملة ـ تبدوعليه علامات الثراء، لم يكمل قهوته، ترك تِبْس أكبر مما يحلم به النادل ـ لا ريب غنيمة سهله، هكذا تبادر اليها ـ سيارته الفارهة تنم عن ذوقٍ عالٍ فضلا عن ثراء فاحش، يتقدمها إلى غرفة الأوتيل، بعد أن نقدَ موظّف الإستقبال الباسم أبدا ما أغناه عن روتينيات الأسئلة، صنوفٌ من زجاجات الخمر ـ لا ريب ذومزاج عالٍ ـ حبّةً حمراء تلتها أخرى بلونٍ مختلف، ثم سيجارة منبعجه، ستارة سوداء تتراقص أمام عينيها، ثم تُسْدَل الستارة، وتغيب عن واقعها، لم تملك يوما رفاهية الرفض... أولعلها استمْرأت الأمر.

تمعّر وجهها، وبدا عليها الألم ـ مع نزول الستارة ـ حيث آخر صورة تتذكرها، تتحرك أصابع يدها تلقائياً تتحسس ذراعها، وتعض على أضراسها ألماً يشوبه الغضب...

***

قلّ أن تجد فتاة مصرية لم تتعرض للتحرش، حسيا كان أومعنويا، باليد أوباللسان ـ فضلاً عن أعين تقتنص الجميع ـ وكأنما أصبح الأمر عادة الشباب وديْدنهم، لا تعرف هل هي أزمة أخلاق، أم أزمة اقتصادية، أم كلاهما معا...؟؟؟..

شعبٌ متدين بالفطرة، وبالفطرة شهمٌ أيضاً، ولا أعرف دليل ذلك القول إلا من أهواء البعض، ونعراتهم وأيديولوجياتهم... أوإن شئت فقل أمنياتهم.!!

فحدِّث ولا حرج عن هذا التدين مع تدني الأخلاق وانتكاستها، وحدّث ولا حرج عن هذه الشهامة مع الخِسَّةِ والنذالة في أسمى معانيها، فما برزت فضيلة الشهامة في مجتمع شهم بذاته، ولكنها اتضحت لِمَا غلب عليها من خِسّةٍ ونذالةٍ، وقد قيل أن بالضد يبرز المعنى ويتضح..

***

كانت الصور تتراءى أمام عينيها فتذُبّها واحدةً واحده، فيما تمشي رافعة الرأس، ناهدة، معتدلة القد، كأن خلت الأرض إلا منها، أومُلِّكت عليها

ـ الدنيا نار يااااا..... قمر..

جعلت تتخطى الواحدَ بعد الواحدِ ـ ممن اعتادت أن تري وتسمع منهم، وكلما سمعت طَربَت لما تسمع، فازدادت شموخاً ـ ولا مبالاة ـ وكأنما تسترجع ثقتها بنفسها، وهي أغني بذلك ـ أعني الجمال ـ عن ذلك المديح والثناء...

ما هذه الجرأة التي ما اعتادتها من نفسها، وكأنها أمِنتهم جميعاً، واستيقنت توقفهم حال مرورها، بل لعلها أشارت إلى ذلك الشرطي أن أوقفهم حال مروري ـ وما فعلت ـ فقط عبرت الشارع، لا تلقي بالاً لتلك الصواريخ المارة، لا تعرف هل تنتقم من نفسها لما أحدثت في ليلتها السابقة، آملةً فيمن ينهي تلك الحياة البائسه، أم ثقةً في أنهم سيتوقفون لمرآها...

لم يخِبْ ظنها، إذ لم يتفوه واحدٌ بكلمةٍ، فقط تتابعها الأعين، وقد اتسعتَ الأحداق، وفغرت الأفواه، إلا منً فتاة....

وليس أقدر على ذلك من فتاة مثلها، توقفت بسيارتها فجأة، تصرخ فيها

ـ حيوانه....

تنظر من حولها حيث الكل يتبع الوهج الأحمرَ عيناهُ، فتتم....

ـ كلكم حيوانات، حيوانات...

وتنطلق بسيارتها تَمْخُر عُباب الطريق تقتل فيه تلك النظرات في أعين اللاهثين، أولعلها تقتل غريمتها نفسها..

كافيه جوليان، ذاك الكافيه ذائع الصيت المواجه للبحر من الجهة الأخرى، المزحم دائماً بروداه من الطبقة بين الوسطي والعليا، تلك الفئة التي ارتقت شيئاً قليلاً عنِ هؤلاء القابعين في الوسط يتشبهون بل ويحلمون بالرّقِيّ إلى من هم أعْلَى..

ـ دعاء... دعاء.

تلتفت إلى مصدر الصوت، رافعةً يدها إلى تلك الجالسة وحدها فيما تُيمم إليها، عشرينية، سوداء الشعر، والعينين، وقد عقصت شعرها في مؤخر رأسها، إلا من خُصلتين من الشعر تحيطان بوجهها، كقوسين يحيطان معنى فيتضح ويبرز، بيضاء الوجه، دقيقة الملامح، نحيفة في غير وَهَن، تحقق فيها معنى الصيف والحرّ، وقد تخففت من ملابسها، عارية

الكتفين إلا من فتلتين علتا الكتف الأيسر في بدي أزرق سماوي، فوق بنطال قصير جاوز الركبتين بقليل، فإذا جلست انحسر إلى أعلاهما، تمتد يدها إلى الكابتشينو، وقد استطالت أظافرها في لونٍ يماثل لون شفتيها البنيتين.

ـ ايه دا يا بنتي، ما عِرفتكيش...

تعلو قسماتُ وجهها ابتسامة ساخرة، فيما تتم تقول :

.. قميص بكمام، وبنطلون للأرض، وايه دا كمان اللي حوالين رقبتك..... انت مش حاسه بالحر ولا ايه.!!

ـ حاسه، ومش طايقه نفسي.

ـ مش فاهمه... طيب ليه.؟!

ـ حيوان... وترفع يدها تمسح دمعة غافلتها فانسابت على وجنتها.

ـ إمبارح... ايه اللي حصل ؟ !

على أن النظارة تخفي ملامحها وتأثرها بما جري لها ـ إذ العينان مرآة النفس ـ إلا أن الدمعة وتهدج صوتها، يعلنان ولا ريب عما جرى.

ترفع دعاء فنجان القهوة بكلتا يديها كعادتها ـ شتاءً طلباً للدفء ـ ترشف منه رشفة، وقد زمت شفتيها، مع صوتٍ مسموع كأنما تحكيها أَلَمَهَا، مغمضة العينين، رافعة رأسها لأعلى، ثمَّ إلى الخَلْف، تستمتع بمذاقها..

ـ القهوه... عِشق تاني.

ـ قولتلك قبل كده، إحنا مش للبيع..

تبتسمٍ دعاء في سخريه، وقد عَمَدت إلى فنجان القهوة كما لوتطلب منها مدداً، وثباتاً في مواجهة صديقتها..

ـ كلنا بنبيع، بس بصور مختلفة..... انا بالفلوس عشان اعيش في مستوي اتعودت عليه، وانتِ كمان بتبيعي....

ـ لأ... الفرق كبير يا دعاء، انتي بتبيعي لأي حد بيدفع، لكن أنا... أنا علاقتي بـ كارم مختلفة..

ـ مختلفه ازاي، اسمها علاقه، لا بيقرها قانون، ولا شرع، ولا عُرف، حاجه كدا..... مُتعه متبادله..

ـ انتِ عارفه رأيي في الحاجات دي، كل دي قيود فرضها المجتمع علينا وانت عارفه إن.....

ـ وحياتك بلاش سَفْسَطه فارغه...

ـ دي مش سفسطه فارغه، دا رأي معتبر وليه مؤيديه.

ـ ها ها ها ها...، يا بنتي، دا كلام كل واحد عايز ينطلق، يبقى حُرّ، من غير صح وغلط، من غير حلال وحرام... بقولك ايه، كفايه كلام، عشان انا مصدعه طبيعي..

ـ أوكي، مش وقته، هنكمل بعدين، وأكيد هتقتنعي..

***

على الرغم من وجود اختلاف جوهري بينهما فكرا، إلا أنهما صديقتين مقربتين، فكرتان متضادتان، لاً تجتمعان إلا في النتيجة ذاتها، إحداهما أحَلَّتْ ما لم يُحِلّ الشرع، أويُقر قانون، أويرضى به عُرف، فجعلته منهجاً لها، قانون حياه، حتى أفضت بجسدها إلى من لا حقّ له فيه، والأخرى وصلت إلى نفس النتيجة بيعاً للنفس، ولكن مع علمها بخطأ ما تأتي ويقينها بأن لا شرع يُحل، ولا قانون يُقر، ولا عُرف يرضى، فقط، هَوَى نفس، أوضعف، أوحاجة إلى مال..

***

ترفع سعاد عينيها تجوبان في المكان، ثم ترفع يدها تشير إلى النادل، وقد جمعت بين الوسطى وإبهام اليمنى مُفَرّقة بينهما عن صوت مسموع، أتى على إثره النادل مسرعاً.

ـ افندم....

ـ سمير، وحياتك الشيك عايزين نمشي.

ـ حالاً يا افندم، حمدالله ع السلامه أستاذه دعاء.

عقدت دعاء حاجبيها، وأطلقت سهام لسانها فيه، وكأنما تنتقم ممن أساء إليها قولا وفعلاً في هذا المسكين الذي لا يملك إلا ابتسامته..

ـ سلامة إيه، حد قالك إني كنت مسافره، وبعدين انا كنت هنا امبارح..

بأبأ الرجل وتأتأ وأَلْجَمَه الرد القاسي من دعاء والذي ما اعتاده منها، فأرسل عينيه إلى صاحبتها طلباً للعون، وقد تَعَرّق، وتلجْلجْ..

ـ أصل، ااااا..

ـ خلاص يا سمير، الحساب بسرعه..

كالغريق وقد انتشلته كلمات سعاد، كالقشة وقد تعَلّق بها فحملته بعيداً، يخفي ألمه في صدره، فيما لم تفارقه ابتسامتة عريضة على وجهه، وقد أومأ إليه أحدهم فأسرع إليه...

ـ أوامرك يا بشمهندس...

ـ مالك يا سمير، وشك متغير ليه ؟

ـ ابداً يا بشمهندس، العادي، وبرضه لازم نبتسم في وش الزبون، مش ذنب حضرتك أوحضرته ـ إن الحزن والكآبه اللي جوانا نقابله بيها.. تخيل حضرتك.....

ـ لأ....مش عايز اتخيل، الحكايه مش ناقصه، هاتلنا اتنين شاي، وشوف القُطتين دول طلبوا منك إيه..

مع ابتسامةٍ عريضة ملأت وجهه يومئ سمير برأسه وينطلق..

***

الكثير من الناس تفرض عليهم أعمالهم التي يقومون بها أن لا تبدوا آثار ما علق بنفوسهم على وجوههم، بل عليهم ان يفصلوا تماما

بين ما أَلَمّ بهذه الأنفس من منغِصّاتٍ حياتية يوميه، وبين قسمات هذه الوجوه، إذ تبدوا مبتسمة دائماً..

والحقيقة أن هذا الأمر حقٌ ولوتحقق في كل أعمالنا وأحوالنا لتغير الحال من حالٍ إلى حال.

فليس ذنب المشتري أن يزأر عليه بائعٌ استأسدت عليه زوجته، وليس ذنب طالب خدمةٍ أن يَجْهَل عليه مقدمها ـ الموظف أياً كانت وظيفته ـ وقد جَهِل عليه البائع، وليس ذنب سائق التاكسي أن ينفث فيه أحدهم غضبهَ لا لشيء إلا لأنه لم يقض خدمته عند ذاك الموظف، وليس ذنب زوجة السائق واولاده أن يضع ما لاقاه في يومه بين دِفّتَيْ بيته؛ فينغص عليهم عيشهم الهانئ ـ افتراضاً، ثم ليس ذنب الجارة زوجة البائع أن تهضمها جارتها حقها لا لشيء إلا لسابق ما فعل زوجها ـ السائق ـ معها، لتستأسد زوجة البائع.

هي حلقة مفرغه يدور الكل فيها، ومن هنا سيأتي اليوم الذي يتلاقى فيه الناس بالسيوف لا بالسلام..

إنها ابتسامة صغيره، حاول أن تُنَحِّي حياتك الشخصية جانباً، وكما تحب أن يلقاك الناس، افعل وكُن البادئ، فهي وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقة، بل وأيسر الصدقة، وأقلها مؤونة.

***

مهندس محمود حسين، أربعيني، شارف على منتصف العقد

الخامس، أعزب، وسيم، لم يزل بعد في رأسه شيء من السواد يذكره بذلك الشاب الذي كان، وتلك السنوات المتفلتة من بين يديه، يحيا حياة المفرد اللاهي، مهندساً في ميناء الاسكندرية، يجاوره صديقه ـ زميل العمل ـ إسماعيل، ذاك الرجل الصعيدي القُحّ، الذي أكسبته شمس الجنوب سمرة خفيفة، ذوشعر قصير مفلفل، ممتلئ الجسم، يتقدمه كِرْشٌ ليس بالبارز، يتحدث دَوْماً عن مميزات الزواج الثاني، وأهميته، ومدى سعادة الزوج حال حصوله على الثانية، ولم ولن يستطع يوماً أن يفعلها، إذ تُكَبّله ابنة عمِّه بثلاثة عيال، وهوالذي أمضى بالإسكندرية تسع سنين ما أنْسَته لهجته الصعيدية الواضحة في حديثه..

ـ ايه رأيك فيهم...

ـ مين دول ؟

ـ القطتين يا اخي... ركز أمّال معايا يا حوده، شايف، رغم حرارة الجو، القطة ذات الفراء الأحمر لابسه كيف، وصاحبتها لابسه كيف، غريبه يا أخي، ايه لَمّ الشامي ع المغربي..

ـ هه هه هه هه، اللي لَمّ الصعيدي ع الإسكندراني، هه هه هه هه...

ـ يا أخي بطل غلاسه أمّال..

ـ الحقيقه أنا مش بحب أخد بالمظاهر، لازم أجرب، وأعاين، وأشوف...... وبعد كده، أحكم... عن إذنك ثواني..

إن رجلاً في خبرة محمود في التعامل مع النساء، ولكثرة سوابقه،

وعديد تجاربه، تجعله شحيح الحكم على إحداهن حال رؤيتها، فليس الجمال وحده، أوالقوام وحده، أوالملابس الجذابة وحدها ما تدعوه للحكم عليها، أوتستنطقه حُكماً حال الرؤية، بل عليه أن يُخالط..

ـ صباح الخير...

يقف محمود أمامهما، تُصَعّـد دعاء عينيها فيه في صمتٍ فيما أسرعت سعاد تجيبه...

ـ صباح الخير..

ـ مهندس محمود حسين، أنا لاحظت إنكم بتترددوا على المكان كتير،

وكنت حابب لونتعرف، أكون سعيد...

يتبادلا النظرات، فتطول منه إلى دعاء فيما تغض الطرف، تراقب سعاد تلك النظرات من محمود، فيما يقطع حديث النظرات وصول سمير يحمل صينيه يعلوها شيك الحساب...

ـ الحساب يا افندم، انت ماشي يا بشمهندس ولا ايه ؟

ـ دا الكارت بتاعي، وأكون سعيد لواسمع صوتك قريب...

تتردد دعاء للحظات، فيما تمتد يد سعاد، لتأخذ الكارت، تتتبّع أحْرفه قبل أن تدسه في حقيبة دعاء...

ـ اهلا وسهلا يا بشمهندس...

ـ تسمحولي...

ـ حضرتك بتعمل ايه...؟

ـ أبداً دي حاجه بسيطه..

ـ خلاص يا دعاء، دي حاجه بسيطه، احنا متشكرين يا بشمهندس.

ـ لكن، احنا ما نعرفش حضرتك..

ـ محمود حسين، مهندس في مينا اسكندريه...

تقف دعاء وتومئ لصديقتها فتتبعها وقوفاً...

ـ عن إذن حضرتك....

يومئ لهما محمود، فيما تنصرفان.

تتضاحكان معاً فيما تعبران الطريق أمام الكافيتريا إلى الكورنيش، وقد تعلقت سعاد بذراع دعاء...

ـ يا بنتي بالراحه... هتموتينا..

وتنتهيان إلى الكورنيش، تنظران إلى البحر..

كأنها أُنْسيَتْ ما كان من ليلتها السابقة، فاعتادت ذاك الألم بقدمها، ولوأحسّتْه لكان أفضل ناقل لأحداث ليلتها القاسية...

ـ ها.. ايه رأيك ؟

تعلووجهها ابتسامة لا تتناسب وسابق حالتها، تنظر إلى سعاد رافعة حاجبها الأيسر، وقد بدا من أعلى النظارة تسألها، فتتم سعاد....

ـ محمود يا بنتي....

ـ مين محمود ؟

ـ فيه ايه، إحنا لسه الصبح، وبعدين انتي شاربه قهوه....

ـ آه... تقصدي صاحب الكارت...

ـ ما احنا مركزين اهه..

ترفع دعاء كتفيها، وتزم شفتيها..

ـ عادي، باين عليه مش صُغَيّر..

ـ وانتي بتفرق معاكي...

هي ولا ريب الحقيقه، ولكن...

أن يضربك أقرب الناس إليك بلسانه، فهوأمضى من السيف في يد العدو..

ـ دعاء... أنا، أنا.... أسفه بجد، ما قصدتش والله...

***

قد يعلم المرء حقيقة صنيعه، وأفعاله، إلا أنه يكابر، أويَغُضّ الطرف عن الإستماع لنفسه، أولبقايا ضميره ـ حتى تأتيه كقذيفة من جهة غير متوقعه، فَتَنْكِت في داخل النفس لتعرّيها أمام صاحبها.

ألا أيها البحر...

من غيرك إذا تركنا الجميع، من غيرك إذا كانت الوحدة شعور يملأ النفس حسرةً وألماً ـ وإن كَثُر من حولنا ـ على أنه لا سبيل إلى الراحة إلا بها.

ألا أيها البحر..

قد ألقينا إليك بأحزاننا، فاغسل تلك القلوب بمائك المالح، لتشفي أمراضها وآلامها.

***

تُلْقي دعاء بعينيها إلى البحر في صمتٍ، فيما تجري دمعةٌ على خدها.

ـ خلاص بقى يا دعاء، ما تبقيش بايخه، والله ما كان قصدي..

تسللتا دمعتان فغافلتاها؛ لتكشفا عن مكنون نفسها ومدى ألمها..

لحظات من الصمت في أحضان البحر وهوائه المنعش، يحيط بهما سكون، وكأنما خرجتا من المكان، أوطافتا فوق الماء، وقد تأبطت سعاد ذراع صديقتها واضعة رأسها على كتفها...

جعلتا تمشيان في هدوءٍ وصمتٍ، لا تتكلمان، وكلما هَمّت سعاد بكلمةٍ عادت وابتلعتها، وآثرت الصمتَ، وكأنما تمشيان في طريقٍ خالٍ من البشر، تَحُفُّه من الجانبين الأشجار، لا يتغير المنظر، ولا ينتهي الطَّريق، وكأنهما رسماً كارتونياً يتحرك في مكانه فيما تتحرك الأشجار على جانبي المشهد، في مشهد متكرر لا ينتهي، وقد انفصلتا عن محيطهما الخارجي فصنعتا لهما جَوّاً خاصاً.

توقفت بهما دعاء فجأة؛ فعادت الحياة إلى المكان وبدا الزحام فيه، وكثر مريدوالبحر ورواده، تعلووجهها كآبة، وحزن لا تليقان بمن ألقى البحر زُرْقته في عينيها، فاستدبرته، فيما تستقبلهما سعاد ممسكة بذراع صديقتها..

ـ فيه ايه..؟

ـ خلاص.. أنا زهقت.

ـ من ايه.؟ وايه الجديد ؟!

ـ من كل حاجه.... الحياة والناس... كل حاجة.

ـ دا اللي انا توقعته، اسلوب حياتك دا، لازم هيوصلك للنقطة دي..

وهي تسحب ذراعها من يد سعاد في عنف..

ـ انتي فاكره إني مبسوطه بدا، أنا... أنا كرهت نفسي، والدنيا كلها..

وعادت إلى البحر مستقبلة إياه ـ مستدبرة الدنيا كلها حتى صديقتها

***

ألا أيها البحر..

أتيناك بأحزاننا، وآلامنا، وأدران أنفسنا وما أكثرها...!!

أتيناك راغبين في زمن الطفولة البريء، هلّا أعدتنا....

هلّا أخذت تلك القلوب الصّدِئة، هلّا أخذت تلك الأنفس المقيتة..

تُرَى بأي ثمنٍ.... ؟

***

تقترب سعاد من صديقتها، وكأنما تبثها سرّاً..

وبصوتٍ خفيض حانٍ، تعتذر به..

ـ خلاص يا دعاء... بطّـلي... اللي يرن عليكي ما ترديش عليه، ولا أقولك.... ارمي الخط خالص، هاتي غيره..

أضاء وجهها من ابتسامة ساخرة، كادت أن تتحول إلى ضحك..

ـ بالبساطه دي، واعيش ازاي، ادور على شغل بـ الف ولا ألفين جنيه، أدفعهم ايجار، ولا أكل، ولا مصاريف، ولا لبس ولا ايه، ولا ايه....

ـ دي بتكون بدايه، وبعد كده......

ـ بعد كااااام سنه، أسهل طريقة البيع، تبيعي وتاخدي فلوس...

وتضع يدها على صدرها، فيما تتم : والمشترين كتير...

لم تجد سعاد بُدّاً من تغيير مجرى حديثهما، ومن ثمّ الهروب من هذا الجدل المقيت الذي لن يصل بهما إلا إلى فُرْقةٍ، لذا.. يبقى الوضع على ما هوعليه، وعليهما أن تتقبل إحداهن الأخرى على ما بها.

ـ هشوف تاكسي...

ـ استني، هجيب حاجه من الصيدليه وأجيلك...

***

أن تستسلم لخطأ اعتدته من نفسك، أن تـُتْبع نفسك هواها، لا لشيء إلا لأسباب واهيةٍ سُقْتها؛ تعتذر بها إلى نفسك؛ فتجد مُسَوّغاً لأفعالك، أفعال أنتً على يقين من خطئها، ومع هذا تجد مبرراً أوتُوجِد أنت هذا المبرر، ولوساقه أحدٌ لك لفعلٍ يأتيه لغسلت يديك منه تلومه، وتُعَنّفه.

فأنت ولا ريب ضعيف الإرادة.

***

لم تجد سعاد ما تَحْتَجُّ به على صديقتها، كي تعود بها إلى الجادّة، إذ هي على غيرها تسير، فلا شرع ولا دين ولا عُرْف تعتد به...

لم يمض الكثير من الوقت، فيما سعاد تنتظر دعاء، تلقي بناظريها إلى البحر، تمني نفسها بلقاء كارم، الذي غاب عنها لأسابيع، في سَفْرَة إلى تركيا، تتمنى لوألْقَت بنفسها فكراً وجسداً بين يديه، ذلك على أن أفكارهما شتى، إلا في أمرٍ واحدٍ اتفقا عليه... الجسد..

انتشلتها يد دعاء على كتفها من أحلامها، تعيدها إلى واقعها، بل واقع صديقتها الذي تعيشه معها، تتألم لألمها، وتسعد لها..

***

.. أن تجد انساناً آخر، هوأنت في صورة أخرى

أن تجد نفساً مع نفسك تعينك على أمرك

أن تجد روحاً ثانية امتدت، واتصلت بروحك فزاد بها عمرك

أن تجد عقلا مع عقلك يفكر لك، ويهتم لك، وينشغل بك

أن تجد قلباً اقترب منك، أحبك لا لِشيءٍ البته، إلا أنت، أنت وحسب، أن تجد صديقاً، صادقاً، فقد أُعِنْت ـ ولا ريب ـ على أمورك كلها...

وإن شئت معرفة قيمة صديقك، فانظر حال جماعةً وُضِعوا في اختبار، وقد خُصّ أحدهم بعَقْلَين ولسانَيْن وقَلْبَيْن ونَفْسَيْن..... كيف يكون حاله فيهم ؟

هكذا أنت في دنيا البشر حال خَلُصَ لك صاحبٌ....

***

قفلتا راجعتين إلى الفندق الذي اعتادت دعاء النزول فيه، تتحسس سعاد كلماتها قبل أن تنطق بها، وتعيدها على عقلها مرّة بعد مرّه.

ـ انتِ كنت هنا امبارح..

ـ آه.. تعالي.... هوراح فين..

تقفان أمام الـ RECEPTION تجول دعاء بعينيها في أنحاء المكان، يأتيها صوته من الخلف :

ـ أهلا وسهلاً يا افندم... احنا الاوتيل بتاعنا زي النيل تمام، اللي

يدخله لازم يرجعله تاني...

ـ أوضه فاضيه..

ـ طبعاً يا افندم... الأوضه بتاعت سيادتك لسه فاضيه، دا بعد تنضيف الإزاز، وتغيير مراية الحمام.

تومئ له دعاء مع ابتسامة مقتضبه، وهي تتناول منه المفتاح.

ـ أظن البيانات كلها عندك.

ـ طبعاً يا افندم، اتفضلي.

لم تفارق عيناه وجه سعاد الصامتة، يتفحصها، يمسك على ابتسامة صفراء توحي بما خلفها، وقد فَهمت دعاء عنه ما يرمي إليه، حتى أنها صعدت بصاحبتها إلى غرفتها، تَمسك على ضحكة حتى انفجرتِ أمام باب الغرفة - مما حال بينها وقدرتها على استخدام المفتاح، حتي أُسْقِط في يدي سعاد، تنظر يُمْنة ويُسرة مخافة أن يراهما أحدٌ؛ فيظنها مخمورة صبيحة يومها، فأسرعت بالمفتاح تعالج الباب.

ـ مالك فيه ايه..؟! انتي من خمس دقايق كنت مش طايقه نفسك.

ـ أصلك ما أخدتيش بالك من نظرات بتاع الـRECEPTION ليكي.

تبتسم سعاد فيما تستعرض ذاك الجسد الممشوق

ـ طبعاً يا بنتي.... لازم يبص ويبحلق كمان...

يتملكها الضحك من جديد، وارتمت على السرير، حتى تتابعت

دموعها ضحكاً..

ـ وبعدين بقى.

ـ أصله... أصله فاكرك الـ GIRL FRIEND بتاعتي..

ـ أنا... GIRL FRIEND، ابن الـ......

تلحق بها دعاء وهي تمسح دموع ضحكها

ـ رايحه فين يا مجنونه.

ـ هشوف الحيوان دا، ايه اللي خلاه يتصور كده...

ـ مش عارفه.... تعالي، تعالي..

وترتمي دعاء على السرير، فيما تجلس سعاد بجوارها في صمتٍ، تتراقص الكلمات على لسانها تود الخروج لكنها تمسك مخافة أن تجرح صديقتها..

ـ عارفه اللي بتفكري فيه..

وبإشارة من يدها تبتلع سعاد كلماتها، فيما تعتدل دعاء جالسة على السرير تغوص في حقيبتها؛ لتحمل في يدها انبوبة دهان، ومن ثم تخلع الكوفية التي أحاطت بها رقبتها وتتجه إلى الحمام...

لحظات من الصمت مضت، حيث ألقت سعاد بنفسها على السرير تحدث نفسها بصوتٍ مسموع : يا تري انت فين يا كارم..

وقد عَلَتْ يدها اليسرى بطنها، فيما تتحرك اصابع اليمنى عفوياً

تمررها على شفتيها ثم تهبط في هدوء إلى جيدها العاجي مغمضة العينين، تحرك لسانها مُطَوّفاً على شفتيها، ثم بأسنانها تعض شفتها السفلى، لحظات من النشوة والرغبة، إلا أنها لم تدُم طويلاً، فقد قطع استرسالها صوت ينادي اسمها، وكأنه يأتيها من بعيد، فانتفضت جالسة على السرير وقد تذكرت صاحبتها : ـ أيوه يا دعاء، حالاً...

حتى في الحلم..

***

الحاجة الجسدية، تلك التي يشترك فيها جميع الخلق ـ على اختلاف اشكالهم ومعتقداتهم وألسنتهم، غير أن منهم من يضعها في إطارها فيمتلكها، ومنهم من يُطْلق لنفسه العِنان فيها فتمتلكه..

***

ـ ابن الكااااااااالب.

يدوي مِن داخل الحمام صوت سعاد، ثم لحظات من الصمت،

تخرج سعاد تعلووجهها مِسْحةٌ من حزن وكآبةٍ ـ تُلقي بجسدها الثقيل على نحافته، المُرهق على نشاطه، فوق اقرب مقعد.. ليس الخبر كالمعاينة..

فلم تتوقع سعاد حالة صديقتها على الوجه الذي رأت وعاينت...

ـ انتي... كُنتي فين والكلب دا بيعمل كدا...؟!!!

تتبعها دعاء فيما تغلق ذر قميصها العلوي، وتدس انبوبة المرهم في حقيبتها، ثم في سخرية من نفسها..

ـ كنت موجوده... لكن مش موجوده، وما حسيتش بحاجه إلا تاني يوم.

ـ كنت شاربة حاجه، صح...؟

ـ قولي فيه حاجه ما شربتهاش...؟

***

ميناء الإسكندرية الدولي..

الميناء الأكثر حركة وحراكاً من بين موانئ مصر، حيث يتم تداول تقريبًا ٦٠٪ من حجم تجارة مصر الخارجية.

يعمل به العديد من المهن المختلفة، التي تخدم حركة التبادل التجاري مع جميع دول العالم، من جمارك، وحجر صحي، وزراعي،وبيطري، وهيئة الرقابة على الصادرات والواردات، وهيئة سلامة الغذاء و....و......، ويربط بين هؤلاء جميعاً المهنة الأكثر شيوعاً وأكثر امتهاناً بين شباب الإسكندرية، مِهْنة الإستخلاص الجمركي...

المستخلص الجمركي : كل من أتقن الكتابة والقراءة ـ على أن البعض لا يفعل ـ يمكنه أن يصبح مستخلصا جمركياً، يطوف بالورق الخاص

بالشحنة أياً كانت ـ سيّان في ذلك كانت صادرة أوواردة ـ بين الجهات المختلفة يُحَصِّل توقيعا من هنا، وتأشيرة من هناك، وختماً من تلك الجهة أوموافقةً من هذه...

***

الواحدة ظهراً، ساحة الحاويات، ميناء الإسكندرية الدولي..

يتصبب محمود عرقاً، يحمل بين يديه مجموعة من الأوراق يتحرك بها بين الحاويات المتراصة تعلوبعضها البعض، يخرج منديلا ً ورقيا من جيبه يمسح به جبهته، ثم يلقيه على الأرض بعدما اهترأ وأبلى، يلحق به في كل خطوة يخطوها مجموعة من الشباب، ممن امتهنوا مهنة الإستخلاص الجمركي، يقف بين الحين والحين أمام إحدى الحاويات يتفحص محتواها، ثم يكتب رأيه فيها رأي، ويناول الورقة بعد الورقة لأحدٍ ممن يتبعه، ثم يبدأ في التحرك من جديد تتبعه تلك الجَمْهَرة حتى يتوقفَ بهم أمام إحدى الحاويات، تستوقفه إحداهن...

ـ لوسمحت، إحنا بنلف في الشمس من الصبح...

ـ ما كلنا بنلف يا استاذه، والبشمهندس ماشي بالترتيب..

ـ انت تستحمل، إنما احنا.......

يقاطعها الفتى، وكأنما يحمل ثأراً منها، وحان قضاؤه..

ـ تستحملوا برضه، مش بتشتغلوا زينا، دا انتوحتى أخدتوا معظم الشغل اللي......

يقاطعه محمود معنّفاً:

ـ خلاص يا عَلِي.... الدنيا حر ومش ناقصين....

يضع محمود الورق على رأسه يستظل به، وقد بدا العرق ناضحاً أسفل إبطه، يرفع صوته فيهم..

ـ الآنسات يجوا على جنب.

ـ بيقول الآنسات يا حجه...!!

ـ وبعدين يا عَلِي مش وقت استظراف..

تتحركن أربع فتيات، تتقدمهن سيدة شارفت على الخمسين ربيعاً ـ اجتهدت بما ترتديه، والألوان التي أسرعت بها إلى وجهها أن تدفع سنوات العمر إلى الوراء إلا أنها أساءت إلى الصورة من حيث أرادت تجميلها ـ تَرْمُق عليّ بنظرات حانقة، وكأنما تنظر فيه ذلك الذي سرق أعوام عمرها المنصرِمة، أولعله هوذلك الزمن الذي ما انفك يتسرب من بين أصابعها فيقربها خطوةً خطوه من أجلها المحتوم، على أن رُسُل جسدها ـ المُحْدَوْدب قليلاً أعْلا ظهرها ـ كانت أفصح نطقا، وأوْجز معنى، وأبلغ لغةً في تلك الخصلات البيضاء تضيء مِفْرَقَىْ رأسها، وتلك التجاعيد أسفل أنفها، وفي جانبىْ فمها تتضح حال مُغالبة واقعها لتبتسم، حيث شفتيها اللامعتين ما انفكت تتعهدهما ترطيباً الساعة بعد الساعة، ولا ريب جيدها الذي كان...

كانت تلك الرُسُل ولا رَيْب تَشِي بسنوات عمرها التي اجتهدت

أن تسترها

***

من السيئ أن تُصرح لامرأةٍ اجتهدت فأنفقت الوقت والمال أن تخفي ما ذهب من سنوات عمرها ـ وما هي عليه، وما تعلمه هي يقيناً غير أنها تتجمل ـ تحاول أن توقف قطاره الذي لا يتوقف لأحدٍ، وإنما أثره على وجوه الناس جميعاً، والأسوأ من ذلك أن يكون هذا التصريح في جمْعٍ من الناس

***

يوم من العمل الشاق، في صيف يوليو، بين الحاويات المتراصة، تضرب الشمسُ رأسَه، يسيل العرق من جميع جسمه، اكتسبت بشرته سمرة زادته وسامة...

على الرغم من أنه غير متزوج إلا أن الأثاث، والتحف، والرسومات المعلقة على الحائط تنم عن ذوقٍ رفيع، قَلّ أن تجده في شقة تخلومن امرأةٍ..... على كثرة الزائرات لها...

كل شيءٍ مرتب وفي مكانه، وكأنما أَعَدّته يد فنان مرهف الحِسّ، يخلع حذاءه، يضعه في خزانة الأحذية خلف الباب، يضع المفاتيح امام المرآة التي تعلوخزانة الأحذية، يقف للحظات ينظر إلى ملامحه في المرآة، يمرر أصابعه على عارضيه حيث بدا فيهما الشعر الأبيض، ثم يرفع عينيه لينظر إلى رأسه يمرر أصابعه بين خصلات شعره الناعم الذي اختلط

شيبه بشبابه، روتين يومي، قَلّ أن يتغير منه شيء.

ما أسرع الأيام، يظن الواحد منّا أنه إنما ملك الدنيا بين يديه حال شبابه وقوته، حتى يفجأه الموتُ، أومقدماته، وما أكثر رُسله، غير أنّا تشاغلنا عنهم فصار يأتي الرسول تلوالآخر، فيما نحن ذاهلون، وقد أخذتنا الدنيا كل مأخذ....

يعيد محمود خصلات شعره المنسابة على جبهته إلى حيث تنتمي محدثا نفسه :

ـ ما أسرع الأيام...!!!

يتحرك في خطى متثاقلةٍ إلى أريكته في الصالة ويرتمي عليها.

انتفض جالساً، وكأنما لدغته الأريكة، يمد يده يتحسس جيبه الخلفي، ثم يعيدها برفق يحمل بين أصابعه هاتفه المحمول يتفحصه.

ـ إيه يا عم، انت ما لحقتش...

يضغط على الذر الجانبي للهاتف؛ لتضيء شاشته حيث صورة لفتاة جميلة تزين خلفية الشاشة : ـ الحمد لله...

يضع الهاتف على الترابيزة بجواره ويعود بجسده إلى الأريكة.

ـ آآآآآه.

وتتثاقل عيناه، ويَعُمّ الهدوء، ويسود الظلام...

***



الوقت الأسرع مروراً هوحال النوم، تمر ساعاته كدقائق المستيقظ أوكثوانيه، فقد تمضي ليلتك نائماً هائماً في أحلامك من ها هنا إلى ها هنا، ثم تستيقظ، وإن هي إلا ثواني..... أودقائق إن أنصفت فيها.

غير أنه يقضيها من أَلَمَّ به مُلِمّ كأنها أشهراً لا تنتهي، وما ذاك إلا حال وجوده فيها، ثم هي من الذكرى، فالوقت حال قضاؤك له ثقيل طويل لا ينتهي، وما إن يمضي كغيره لا تذكر منه إلا لحظات سعادةٍ أودقائق أَلَم، وإن شئت دليلاً فصْلاً، فانظر لحالك في أعوام عُمرك التي قَضيت... متَّي وأين وكيف سُرقت منك ؟؟؟ أم تراك وُلِدت على حالك التي تعيشها الآن ؟ عشرينَي، أوثلاثيني أوأربعينياً كنت، تلك الأعوام التي ذهبت.... حقاً ما أسرع الأيام، وما أسرع ذاكرة الإنسان، فلوعُدْت بذاكرتك إليها جمْعاً وترتيباً فلن يَخْلُص لك منها أياماً، أوساعات...

***

ظلامٌ حالك يصحبه صمت قاتل، كأنك في جوف الأرض مُضْجعاً على جانبك الأيمن في شق طولي يزيد شِبْراً عن رأسك وقدمك، يخترق هذا الصمت أنين متواصل للهاتف ينادي صاحبة، يعيده إلى الحياة، وقد بدا في ضوء الهاتف يغط في نوم عميق لا يشعر بما حوله، يصمت الهاتف ليعود الصمت والظلام للمَكان، ثم لا يلبث أن يعود برنته مرات ومرات.

أُضيئت شاشة الهاتف يحمله محمود في يده اليسرى، فيما علت يده اليمنى جبينه تستر شيئاً من ضوء الهاتف الخافت عن عينيه، وقد ثقل

عليه جفناه يفتحهما في صعوبة، يستران بؤبؤهما كعذراء تستتر خلف بابها تتهيب فتحه..

يفتح الـ speaker ويضع الهاتف على صدره، ويغمض عينيه..

ـ ألو.....

ـ أيوه يا بني، فينك ؟ !

ـ في البيت والله يا عامر..

ـ إنت نايم ولا ايه.؟!

ـ بَيْن بَيْن، تليفونك صحّاني...

ـ تليفون إيه، دي خامس مره أرن عليك...

ـ معلش، الواحد خلصان، النهارده كان يوم طويل..

ـ تمام، معاك ساعه ظبط نفسك، ونتقابل في الكافيه..

ـ أوكي.... سلام...

يغلق الهاتف ليعود المكان إلى سابق ظلامه، فيما يحدث نفسه...

ـ خمس مرات يا عامر... يا تري مين تاني رن...

يضيء شاشة الهاتف من جديد يبحث في المكالمات الواردة إليه، وقد بدأتا عيناه تعتادا ضوء الهاتف الخافت...

ـ عوني... مرتين... !!

ويعيد الإتصال به، وبنفس الطريقة يفتح الـ speaker واضعاَ الهاتف على صدره...

ـ ألو، يا ريس.

ـ فيه ايه يا عوني... ما انت معايا طول النهار.؟

ـ أبداً يا هندسه، كنت بطمن بس..

ـ تطمن، تطمن على ايه ؟!!

ـ الحلاوه يا ريس، الـ x...

ـ شوف، انت ممكن تعتبرني لسه نايم، أدخل في الموضوع على طول عشان ما افوقش عليك..

ـ يا ريس انت عطيتني تليفونك النهارده أرد على مسعود المستخلص، وسَيّفْتلك رقم حِته فاخر، بتاعة بشوات، حتى كتبتها x، وكنت فاكرك يا ريس كلمتها...

ـ إقفل يا عوني...

يعود المكان إلى ظلامه الأول وسكونه، إلا أن الهاتف عاد ليشق هذا السكون، ويضرب الظلام في كبده، وضوئه الخافت يرفعه إلى وجهه :ـ خلا ص يا عامر... ويضغط على ذر غلق المكالمة cancel، ليعود المكان إلى ظلمته، وصمته من جديد، فيما يخترق هذا الصمت صوت تثاؤب محمود، ثم صوت طقطقة فقرات، يليه صوت ذر الإضاءة يصحبه

انتشار الضوء في الشقة، فيما يتحرك محمود في طرقة طويلة يضغط ذر الإضاءة فيها، ثم يفتح باب غرفة، ويلقي بجسده على السرير..

***

كافيه على الجانب المواجه للبحر في ليالي الإسكندرية الصيفية ممتلئ بالرواد يجلس ثلاثتهم، إسماعيل ذلك الصعيدي القُحّ وقد التقم خرطوم الشيشة يُكرْكر ثم ينفث الدخان أعلى رؤوسهم...

فيما يضرب عامر الدُّخَان بيده، بينما يسعل يونس :

ـ خَف شويه يا عم اسماعيل... مش كده.

ـ أُمّال كيف يعني... أبلع الدخان إياك.

ـ خلاص يا يونس، راجل بلدياتك سيبه براحته..

ـ بلدياتي منين يا عامر، هومن أقصى الجنوب، وأنا من أقصى الشَمال

ـ من أقصى الشمال، تقولش من الأسكيمويا خَيّ..

ويضحك يتدفق الدخان من فمه دفعات متتاليه توافق قهقهته، يتابعه عامر ضحكاً، فيما ضَجِرَ يونس به : ـ عجبتك يا عامر قوي...!

يعلومنهما الضحك فيما يمر فتى الكافيه بهم يقوم بتغيير حجر الشيشة..

ـ أوامر تانيه يا بهوات...

يرفع اسماعيل حاجبيه أن لا، فيما يعمل على إشعال الحجر الجديد..

ـ وبعدين يا عامر، كان فين محمود لما كَلَّمْته..

ـ انت عارفه يا اسماعيل، على ما ياخد شاور ويظبط نفسه، ويظبط القُصَّه بتاعته، فيها..

تقاطعه يد محمود على كتفه..

ـ اكيد بتتكلم عني....

يجلس محمود حيث المقعد الخالي في انتظاره، وبتلقائية يمرر أصابعه على ناصيته حيث شعره المنساب على جبهته يعيده إلى مكانه..

يتابعونه في صمتٍ حتى افتتح اسماعيل الضحك، فتبعه صاحباه..

ـ ايه، فيه ايه... ؟!

ـ كده يا عامر ظلمته.... الراجل لسه مرجع القُصّه مكانها..

يتضاحكوا من جديد..

ـ إزاي بقي، دا تلاقيه نُص الوقت قدام المرايه، يجيبها كده تجيله كده.

ويعلومنهم الضحك، حتى ترك اسماعيل خرطوم الشيشة أمامه، وأتم يقول : ـ أمّال ايه.... وبعدين تلاقيه شاف وِزّه بلدي وهوجاي قامت هفهفت وراها...

ـ الله.... شوفوا بقي إحنا لسه في أول الليل... هدوا اللعب شويه.. ولا أمشي..

ـ لع...... تمشي كيف ؟ تَوّك جاي يا راجل..... بس ليه طلب

عِنديك.

ـ خير يا ابوالسباع...

ـ ترجعها مكانها...

ـ هي ايه دي ؟!

ثلاثتهم في نَفَسٍ واحد : القُصّه...

وينطلقوا في الضحك، حتي تلاقت عندهم أعين رواد المقهى...

***

تلك هي الإسكندرية ـ المدينة الأغرب في مصر والتي تجمع بين المتناقضات في ثوبٍ واحد، فيزيد مرتديه جمالاً وبهاءً..

المدينة الساحلية الأجمل والأرقى بين مدن مصر الساحلية، فإن ابتعدت عن البحر إلى العمق تجد في حواريها ما تجده في غيرها المزدحم، غير أنهم يمتازون بنكهةٍ ساحلية، ففيها من جميع الفئات، والطبقات، والمستويات، ومع هذا التنوع الذي أكسبها زخماً فكرياً، واقتصادياً، وسلوكياً، إذ نزح إليها من بعيدٍ الكثير من أبناء محافظات مصر، والكثير منهم تعرفه إن لم يكن في هيئته ـ متحفظاً كان أومبالغاً، رجلاً كان أوامرأه ـ ففي حديثه تعرفه، وصدق القائل " المرء مخبوء تحت لسانه "

فإذا تحدث أخبر عنه لسانه ـ في لهجته الأم والتي لابُد له منها ـ في أي موضعٍ نشأ، وفي أي مُعتركٍ من أرض مصر تخبط وأُصْقِل....

***

ـ يا بوووووووي... ايه ده..

ـ عينك يا ابوادهم..

ـ غصب عني يا محمود... ما شايفش ولا ايه...

ـ شايف، بس انت بقالك سنين هنا، ودا حال الناس في الصيف..

ـ صيف ايه بس.... هودا صيف ده، دي الشمس حدانا بتطلع بالليل.

ـ على كده الصيف دا ما ينفعش عندكم..

ـ يا داهيه دقي، دي كانت فَرْفَرت.... طيب انت تعرف سيد شناوي، متجوز من البلد دي، ما ياخدش مراته البلد إلا في نص يناير.....

ـ ليه طيب...؟!

ـ ركز يا عامر أمّال... دي كانت تفرفر هناك....

أتاح لهم موقعهم من المقهى والشارع التنَدُّر والتَفَكُّـه بكل من يمر بهم، فهذا فلاح بلديات يونس، وذاك صعيدي يتبع إسماعيل، أما هذا وتلك فمن أهل الإسكندرية، وإن عُدْت إلى أصولهم، فربما تجد أصل الشجرة قابع في إحدى محافظات مصر، فيما انتقلت إحدى ثمارها إلى الإسكندرية لتؤسس فرعاً من أصلٍ لا يحمل من صفاته إلا لقباً...

تلك هي الإسكندرية بتنوعها الثقافي والتاريخي تكاد ترى فيها مصر

كلها، ففيها الأحياء الراقية حيث صفوة الصفوة سواء أطلت على البحر أم لا.

وفيها المتوسط، وفيها الشعبي في كثير من الأحياء، والشعبي هنا ينقسم إلى قسمين: شعبي فيه بقية من أخلاق وعُرْف، وشعبي خلا منهما معاً..

ـ مش الريس بتاعنا... يقاطعه يونس مبتسماً...

ـ مش قولنا بلاها سياسه.

ـ سياسة ايه يا مخبِول انت، ما توديناش في داهيه أُمّال... بقولك الريس بتاعنا، مش الكبير...

ـ برضه سياسه يا سُمْعه، خليك في النسوان احسن.

ـ يا سلام عليك يا عامر، تاجي عالوجيعه انت...

ـ خلاص يا اسماعيل، خليك في سكتك، وبعدين انت عارف إن الحيتان ليها ودان.... ولا ايه يا يونس..

ـ مش عايزه كلام... كل كلمة بتوصل، العصافير كتير...

***

البعض ممن يحاول الصعود والارتقاء، أوكما هيأ له عقله بما يقدم من معلومات، وأخبار عن زملاء العمل، فيتقرب بذلك من صانعي القرار، وفضلاً عن ما يُحَصِّل من عائدٍ يعود عليه ـ إذ يتم تمييزه في عمله

عن غيره ـ فإنه بذلك يأمن جانب صانع القرار، فيصنع لنفسه حائطاً منيعاً يتكئ عليه؛ ليحميه إذا ما زَلّ ـ فامتدت يده ـ أوسقط في الخطأ... إذ لا أحد معصوم.

وهذا دأب صِنفٌ من الناس لا يتورع أن يبذل الجهد، والوقت، وفوق هذا وذاكَ ماء الوجه شريطة أن يصل إلى ما أمّل، وينال الحظوة التي يَغْبطه عليها كل زميلٍ له، حتى صار بها وصل إليه واسطة لهم عند ذي الرأَي، والقرار على أنهًم يمقتون ذلك فيه...

***

اتكأ بظهره إلى إحدى الحاويات في الساحة الصينية داخل ميناء الاسكندرية، يعلوا رأسه ملفاً كرتونياً يستظل به، يرفعه بيمينه أعلى رأسه مرة، وبيده اليسرى أخرى حال تعب اليمنى، دفعاً لوهج الشمس عن رأسه الخالي ـ تقريبا ـ من الشعر اللامع من العرق، يتمعر وجهه وقد تسرب إلى أنفه رائحة إبطه.

قصير، مكتنز، يتصبب جبينه عرقاً، وقد انزلقت بضع قطرات من

العرق على زجاج النظارة السميك، فيما انزلقت النظارة نفسها إلى مقدم أنفه يرفعها عن وجهه، ثم بذراعه إلى وجهه ماسحا العرق عن جبهته وعارضيه، يدس يده في جيب قميصه حيث منديل ورقي مهترئ يمسح به زجاج النظارة، ثم يعيدها أعلى أنفه من جديد، وقد ازدادت ضبابية؛ فيسرع بها إلى طرف قميصه ماسحاً.

على فترات تنبعث نفحة من الهواء وكأنها آتية من الجنة، يحس بردها أسفل إبطه المُعَرّقة، فيتحرك سنتيمترات قليلة عن جدار الحاوية؛لينفذ الهواء إلى ظهره حيث القميص الملتصق به؛ ليشعره بشيء من البرودة

ـ وبعدين.... أنا هفضل كده ولا ايه....

يخرج هاتفه يحرك إصبعه بين أزراره، ثم يلصقه بعارضه المبلل

ـ سعادة الباشا..... صباح الورد..... والله واقف ف الشمس سعادتك...

وماله سعادتك أستنى... طبعاً يا باشا ما تقلقش أبداً... مع السلامه سعادتك، اتفضل، اتفضل...

دون أن ينظر إلى شاشة الهاتف يعمد بها إلى إلْيته ماسحاً، قبل أن يدسه في جيبه، ليعيد الكَرّة من جديد بذراعه ماسحاً جبهته، وعارضه، فيما يناديه هاتفه بنغمته المميزة لهاتف نوكيا القديم...

ـ ألو، مين....... والله من الحرّ الواحد دماغه ساحت.... طيب قولي انت مين طيب...... أهلا يا باشا...... في ساحة الخطر يا زكريا بيه.

تمر دقائق يستخدم فيها الملف الكرتوني كمروحة تقلب له الهواء الساخن يجفف به عرقه : ـ هوه ده...

آتٍ من بعيد متأنق في حُلّة كاملة، وقد اختنق له إذ أحاط رقبته بربطة عنقٍ، وقد أحكمها حول عنقه داخل ياقة قميصه الأبيض الناصع، يحمل في يده ملفا كرتونيا.

ـ أهلاً وسهلاً زكريا بيه.... ما شاء الله يا باشا، ولا باين عليك السفر ولا الحرّ..

ـ خِس شويه عشان تستحمل..

ـ أخس ايه..... انا ما صدقت اني عملته..

وهويمسك على كرشه بكلتا يديه.

ـ دا ورق الخمس حاويات، والظرف دا فيه الفين جنيه، وطبعا زي كل مره، مش عايزين الشغل يتبهدل، خلّص وكلمني..

ـ استنى سياتك، انا ماشي معاك..

ـ أنا ما اعرفكش....

ـ ليه سعادتك...؟ هو......

ـ عوني......

ـ خلاص سعادتك... اتفضل، اتفضل....

ينطلق زكريا تشيعه عينا عوني، وقد انزلقت النظارة إلى أرنبة أنفه يعيدها مكانها :ـ ايه ده، دا كأنه مركب تكييف....

الثقافة، والفكر، والخلفية الأخلاقية لقاطني تلك الأماكن، يختلف أيما اختلافٍ عن أولئك القاطنين في غيرها، سواء كانوا مجاورين للبحر أوبالقرب منه، أوأبعد من أن يمشونها خطى إليه..

تركيبة المكان تطغى على سكانه، والإنسان ابن بيئته ولا شك، ثقافة وفكراً، شجاعةً أوجُبناً، كرماً أوبخلاً، سعادة أوحُزْناً..

فساكن الريف ليس كمن عاش في المدينة، ومن جاور البحر ليس كمن قطن الصحراء، فللبيئة أثر على أصحابها.

أحد أحياء الإسكندرية الشعبية، والتي تبعد عن البحر غير بعيد إلا أن أهله ما أخذوا من روعته وجماله من شيء، بل طغت عليهم العشوائية، واللا أخلاقية في أمورٍ شتى...

وآية ذلك،وعُمْدته، وبيانه، في نزوح كثير من شباب تلك المناطق إلى مناطق أرقى نوعاً هرباً من تلك البيئة، وما تحويها من فيروساتٍ بشريةٍ تقضي ـ ولا ريب ـ على النشء، فتؤسس بؤراً إجرامية تشع إلى ما حولها...

تلك الأحياء البعيدة عن هواء البحر وملوحته، إنما يكون تأثرها بعوامل التعرية في طول سنوات العُمْر، وأنها ما امتدت إليها يد مذ شُيدت، بل تُركت على حالها تجابه الزمن وحدها، حتى صارت وكأنها من مخلفات الحَرب، أمّا تلك المتاخمة للبحر تُغير من جلدها كأنها أفعى،

تراها وقد أثّرت فيها رطوبة البحر وملوحته؛ فتصبح وللزمن عليها أثراً بعد أثر.

منزلٌ متهالكٌ ـ في منطقةٍ شعبيةٍ، غير بعيد من البحر ـ يدل على رِقّة حال أهله، وما جيرانه بأفضل حالٍ منه، تجلس أمام بابه امرأةٌ عجوز جاوزت الستين من عمرها، تراقب الغادي والرائح، وكأنما تنتظر زائراً، أوعائداً بعد سفر، تتفحص وجوه المارين، وقد غافلتها دمعة فانسابت على وجنتها..

ـ لحد امته.؟

فيما تمسح وجهها ترفع المرأة عينيها إلى مصدر الصوت، حيث فتاة ما جاوزت بعد عامها السابع عشر، غير أنها شقّت إلى النساء طوراً، فصارت امرأة مكتملة الأنوثة، تلحظها كل عين، فيقع من رؤيتها سهمٌ موضع النياط من القلب، فتأسِر صاحبه...

سوداء الشعر... مرسلته، عريضة الجبهة، وقد امتد حاجباها في دقة معقوفان كأنما خُطّا بقلم، فوق عينين كحلاوتين، حوراء، نجلاء، وطّفاء.... عينان ساحرتانً ولا ريب... في اتساعهما، وشدة بياض بياضهما، وسواد سوادهما، وطول رسل الليل، تأخذ بالقلب، يتوسطهما أنفٌ في تناسق تام، فوق شفتين ممتلئتين، وجه كأنه البدر في استدارته، ونوره الآسِـرً، يعًلوجِيداً عاجياً، فوق جسدٍ معتدل القد رَجْراج يهتز بعضه فوق بعض.

لكأنها لوحة فنانٍ رسم من النساء ما تشتهي نفسه.

تقف الجميلة بجوار المرأة عند الباب المفتوح، تعتمد بيسراها على الباب، فيما أصابع اليمنى تحتضن خصرها المستدق، تقول في سخرية، وقسوة لا تتماشى وهذا الجمال :ـ الفلافل لوبِرِدت مش هتتاكل.

ترفع المرأة يدها لأعلى فتنحني إليها الفتاة تساعدها على النهوض.

المنزل من الداخل يختلف كلياً عن مظهره الخارجي، هذا الكائن الذي أُسِـيء إلى شكله الخارجي حتى كاد ينطق سُخْطاً وحسرةً، تراه من الداخل على ضيقه، وازدحامه ـ على قلة ما به من أثاث ـ يكتنفه شيءٌ من الهدوء، والدفْء، قد يفتقر إليهما شقة أوفيلا تطل على البحر.

تتجاوران حول طبليّة يعلوها الفول، الفلافل، عيش، مخلل، أعواد من الجرجير شارفت على الذبول، ثلاثة أرباع لحبة طماطم...

في صوتٍ متهدج حزين

ـ سالم فين..؟

ـ ما انتي عارفه.... راجع بعد الفجر.

وتلقي في فمها لقمة فيما تتم :ـ بعد العصر بقى على ما يقوم... لوكان نُـصْحي أخده معاه المصنع، يمكن حاله كان اتعدل..

تعالج المرأة الطعام على استحياءٍ كمن عافت نفسه الطعام بعد وليمةٍ..

ـ سالم عايشها بالطول والعرض، لا في دماغه بيت ولا عيال، يوم بيوم، لكن نصحي ربنا يسهله ويعينه، وانتي عارفه انه أخده معاه قبل كده وسببله مشاكل.

ـ مش من مرّه.. راحه فين.

ـ خلاص شبعت.

ـ ولا نفسك انسدت، قولتلك قبل كده اللي بيروح ما بيرجعش، يعني مش كل يوم والتاني تقعدي قدام الباب كده.

ـ يعني هروح فين يا سلمى، أديني بفك عن نفسي... ويمكن.

ـ يمكن...!! هواللي يسيب هنا يرجع تاني برضه.... ولا عاجبك البيت، والشارع، ولا الجيران...

ـ يا بنتي، كلنا اتولدنا، وعشنا...

تقاطعها، فيما تحمل الأطباق في يدها إلى المطبخ...

ـ وهتموتوا هنا. ثم في صوتٍ خفيضٍ... وانا مش هغلط نفس الغلطه.

ـ يا سلمى البني آدم زي الزرعه، من غير جدور أي شوية هوا يشيلوه، يضيع....

تبتسم سلمى في سخريةٍ، فيما تُلقي الأطباق في غير اكتراث إلى داخل الثلاجة التي بدا الصدأ يزحف إليها من أسفل، فبدا لونه المعهود يطغى

على لون الثلاجة من جوانبها السفليه.

***

مقهى شعبي، بمنطقة بحري أمام باب واحد ميناء الإسكندرية الدولي، يجلس عوني يكاد كرشه المرتفع يطال ذقنه، وقد التقم خرطوم الشيشة، كلما انزلقت النظارة إلى أرنبة أنفه أعادها، تقبع بين قدميه حقيبته السوداء، يرقب بوابة الميناء كمن ينتظر آتٍ منها.

ـ الشاي يا ابني.

بصوتٍ عالٍ يواكبه استخدام خرطوم الشيشة كعصى يضرب بها الترابيزة إمعاناً في استدعاء الشاي.

ـ وصل يا عم عوني، وصل أهه.

يضع الشاي، والسكر، وكوب الماء أمامه على الترابيزة بعد أن أزاح المفاتيح، وهاتف النوكيا العتيق في جانبٍ..

ـ بالراحه يا حبيبي، دا عليه اقساط..

ـ اقساط ايه، ده....!!! وبعدين هوه عربيه، فكها شويه يا عم عوني، مش كده.

ـ وانت مال أهلك، أفكها ولا أربطها...

ـ خلاص يا عم، لا أهلي ولا أهلك... ولا حتى زمالك..

ـ دا انت هتهزر بقى...

وقبل أن يتحرك الفتى، وقد صك فمه بيده، يلْمح عوني آتٍ من ناحية الميناء، فيتم : غور هات كوباية مايه كمان...

يتحرك الفتى، فيما عَمَد عوني إلى كوب الماء أمامه فأتى عليه دفعةً واحده، يمسح فمه بطرف كُمّه...

ـ إتأخرت ليه كده..

عشريني، يحمل فوق ظهره حقيبة، يتصبب عرقاً، يلقي بنفسه على المقعد المجاور لـ عوني، بعد أن خلع الحقيبة عن ظهره المتعرق يضعها على فخذه..

ـ إنت لسه هتقعد...

ـ آخد نَفَسي طيب.... دا أنا بلف من الصبح..

ـ يا سلام عليك، انا طلبت لك مايه ساقعه تشربها وتطير..

ـ مايه ساقعه...!! مفيش ساندويتش.

ـ ساندويتش ايه، مفيش وقت، إنت تشرب.... أهه، الواد بيسودا مُحْترم... إديها وطير...

لم يجد بُداً من كوب الماء، ولن يجد غيره، في حين عمد عوني إلى حقيبته المنتفخة يخرج منها بعض الأوراق..

ـ دول يا خالد في اللوجستي، ودول تكشف وتخلص العرض بتاعهم، بعد نص ساعه مصطفى بيه هيكون عند باب عشره تسلمه

دول، وتجيب منه ظرف مقفول..

ـ ظرف..!!.. ينظر إليه خالد باستغراب فيما يدوي صوت رنين هاتف عوني، ومع نظرة خاطفه إلى شاشة الهاتف يلمح عوني سيارة BMW سوداء تقف على مقربة من باب الميناء، فيقف عن مقعده في سرعة وهو يجيب على الهاتف..

ـ أيوه يا باشا حالاً...

ينطلق عوني يهتز كرشه امامه، ويتوقف فجأة، ليعود أدراجه من جديد ـ إنت لسه قاعد، يللا طير..

حاملاً حقيبته على كرشه المتراقص أمامه كما لو يحميه بها مخافة

سقوطه، ومع اقترابه من السيارة يُفْتح الزجاج الأمامي المقابل للسائق جهة اليمين، فيما ينحني عوني بصعوبة، ويدخل رأسه..

ـ الباشا بنفسه...يا أهلاً، يا أهلاً..

ـ ها... الشغل خلص يا عوني..

ـ بكره سعاتك، أصل نزل واحد النهارده صعب شويه، وأوامر سعاتك الشغل ما يتبهدلش يعني.

ـ ولو نزل تاني بكره....؟

ـ ليها حل يا باشا، ليها حل.

ـ هنشوف... مش عايز الشغل يروح لمستخلص غيرك..

ـ ازاي بس يا باشا، دي مش أول مرّه..

يسرع عوني في إخراج رأسه قبل أن يُغلق عليه الزجاج، ويعتدل واقفاً في صعوبة يلتقط أنفاسه.

ـ مع السلامه سيادتك...

يتوقف زجاج السيارة عند فتحة صغيرة، يأتيه من خلالها صوت الباشا..

ـ أظن زكريا كلمك في موضوع تاني..

ينحني عوني وينظر من خلال الفتحة الصغيرة.

ـ أيوه يا باشا، وطلب سعادتك موجود... حته فاخر، بتاعة بشوات، والرقم هيكون مع زكريا بيه في أقرب فرصه..

زمّ الرجل شفتيه وأتم غلق زجاج السيارة، يلقي بعينيه إلى الأمام، يتحرك بسيارته تشيعه عينا عوني.

ـ صحيح، القرش صياد...

***

تطير سحب الدخان القاتم المعبقة بروائح شتى فوق رؤوس الجلوس، مجموعة من الأصوات المتداخلة بعضها ببعض، حيث تصفق المعالق على الصينية بعد دورانها السريع داخل الكوب تذيب حبات السكر، فيما يصْطَكُّ الزهر مع أوراق اللعب في علبة النَرْدِ، بينما يدوي

صوت أحدهم : بَصْره... يصحبه صوت التصاق ورقة الكوتشينه بالترابيزة.

أصواتٌ متداخلة كلما عَلَتْ وارتفعت، علا وارتفع معها أصوات الجلوس ليسمع كل منهم صاحبه...

يدوي صوتٌ كأنه الرعد، فَيُلزم الجميع الصمت، حتى تكاد تسمع أصوات انفاسهم تتردد..

ـ بس... فيه ايه.

يسرع صاحب المقهى إلى حيث مصدر الصوت.

فإذا شاب ثلاثيني، بَيْن بَيْن لا هوبالواهن الضعيف ولا بالسمين الممتلئ، يرتدي بادي ملتصق بالجسم، وبنطال تبدومن فتحتين ركبتاه، تتدلى من رقبته سلسلة غليظة، يحيط معصمه أنسيالٌ فضيّ، يتدلى شعره إلى كتفيه، لا يتناسب صوته الجَهْوَريّ وهذا الصمتَ الذي أعقبه مع هذا الجسد الأقرب إلى النحافة منه إلَى سواها...

ـ أنا قولت كده برضه، الزئير دا ما يطلعش الا من المعلم سالم..

ـ جرى ايه يا معلم، قاعدين في مهرجان... مش عارف اكلم الباشا..

ـ عندك حق، منور يا بيه..

ـ اللي هسمع صوته يعلا تاني، يمين تلاته لأكون..

فيما يضع يده على جيب بنطاله الخلفي، فيسرع إليه المعلم بيده فوق

يده

ـ والله ما انت مكمل... وصلت الرساله، خليك انت مع ضيفك.

وانا هتصرف... بالإذن يا باشا...

يعود صاحب المقهى إلى حيث كان يجلس داخل المقهى، فيما يعود سالم إلى ضيفه : كده انا اطمنت انك مسيطر تمام...

ـ عشان يبقالك كلمه لازم تسيطر، غير كده...

بتر سالم عبارته ولم يكملها يتابع بعينيه سلمى تمر من أمام المقهى تحتضن كتاباً، فأسرع إليها..

ـ على فين ان شاء الله.؟!

ـ الدرس، هوانا بروح غيره.

ـ أمّ الدرس دا كمان..... يعني اسيب مصالحي وألِفّ وراكي، وبعدين مش قولنا نفكنا من التنطيط دا كل شويه، ونقعد في البيت، مكانش حتة دبلوم يعني..

ـ الموضوع دا قفلناه من زمان، وبعدين انا مش صغيره ومش عايزه حارس ورايا، انا مش بعمل حاجه غلط.

ـ ما قولناش حاجه، بس كلاب السكك كتير... عموما لينا كلام تاني.

تحركت تلك اللوحة الجميلة تخطوعلى قلوب الرجال لا على

الأرض، تميل إليها كل عين تراها، ولولا سطوته، وبأسه فيهم لأكلتها تلك الأعين فضلا عن أياديها، ولكنه يمنعها، ويمنعهم من ذلك...

لم تُحكم غطاء رأسها؛ وكأنما تعمدت أن تحرره من قيده، وتطلق له العِنان لينطلق من سجنه يغرد أسودا كأنه الليل، حريرياً كأنه بشرة طفل وليد، يفوح عطراً كأنه بستان زهور.. وعلى صغر سنها، وقلة خبرتها، وقلة تجْربتها، إلا أنها أحست، بل وأيقنت من جمالها، واستشعرت ذلك في نظرَات المحيطين بها؛ فجعلت تتلذذ بذلك منهم تمايلاً في مِشْيتها، وغنج في صوتها؛ فتزيدهم اضطراباً، ورغبةً، ويزيدوها ثقةً، وغروراً، يتراقص جسمها كأنه عود زهر يتلاعب النسيم به، وتمام ذلك وآيته إنما يكون منها في تلك الأماكن الراقية التي تتعمد الذهاب إليها حاسرة الرأس، كاشفة الصدر تتشبه بأهلها ظناً منها أنها بذلك صارت منهم، فيما تعود إلى سيرتها الأولى حال عودتها.

***

أن تولد في مكانٍ وتحيا فيه، فيما تتمنى كل يوم الهروب منه، فإنه الشقاء بعينه، والحسرة، والألم تبيت عليهما، وتلقاهما في وجهك صبيحة كل يوم، تستقبل بهما سائر يومك، فينعكس ذلك كله عليك، وعلى علاقتك بأهلك، حال بقائك في ذات المكان، فإذا انسلخت عنه صرت إنسانا آخر بطباعٍ أخرى.

***

جعلت تُلْقي بعينيها إلى البحر، تُبحر بعيداً عن واقعها الذي تكره،

ترسم حلماً تعيشه بعيداً عن ذاك البيت المتهالك ـ اقتصادياً واجتماعياً ـ وعندها لم تجد ثَمّة مكان لأيٍّ منهم في تلك الصورة التي أعدتها لنفسها، تراهم واحداً واحداً يُعرضون أمام عينيها، يفترش الواحد منهم صفحة البحر بهيأته التي تعرف، فتدفعهم واحداً بعد آخر، تلقي بهم خارج الصورة.

نُصْحي ذلك العامل البائس الذي تركته زوجته هرباً من فقره الذي يلازمه، وذلك الفتى المتمرد سالم الذي يحيا بخوف المحيطين به لا يتورع عن بيع المخدرات ليعيل نفسه، وأمها....أمّها، جعلت صورة امها تتذبذب تثبت معها أم تلحق بأخويها، ولكن.... هي ولا ريب لا تتناسب والمعطيات الجديدة التي أعدتها وهيأتها لنفسها، فأسرعت بيدها تَذُبّها من أمام وجهها كمن يضرب ذبابة لا فكرة عرضت له..

طموح جارف لمستقبل تتقن صناعته ورسمه حلماً، وغضب على واقع تتمنى لولم تولد فيه، طموح جارف وأحلام شتى لا يوجد ما يُسَوِّغ لها، أوما يؤهل لها، وغضب على واقع كلّ ما يحيط بها يمسك بقدميها فيه، إذْ لا تملك ما يحملها إلى مرادها، ولكن تُكَبّلها شهادة ميلادها وبيئتها التي تحيا فيها.

عَفْــواً..

هي تملك شيئاً واحداً، وربما يكون كل شيء..

الـجــــــسـد..

ذلك المتقد أُنوثةً، المشتعل رغبةً، المتفجر شباباً وحيوية.

تغلق عينيها لترى نفسها تلك الممثلة في التلفاز مستلقية على ظهر ذاك اليخت القابع في وسط البحر، بعيداً عن الدنيا، تستتر بقطعتي قماش تكشفان أكثر مما تُخفيان، وقد أكْسِبَ هذا الجسد سُمْرةً تزيد الرغبة فيه، أفاقت سلمى من شرودها وأحلامها على صوتٍ يُدوي خلفها يخطفها من عالمها المصطنع..

ـ فريسكا... فريسكا.

تنظر إليه باشمئزاز، وقد أيقظها من حلمها، يصلها صوته يخاطب أحدهم في صوتٍ خَفيض، لا يخلومن حسرةٍ :ـ فوزي فريسكا، بكالوريوس تجاره، بس نقول ايه، مفيش بخت.

وينطلق في طريقه، فيما يتبعه آخر يُعلن عن بضاعته، وقد استوقفه جمال اللوحة، ينظر إليها في نهَمٍ، وقد اتسعت حدقتا عينيه..

ـ بولا يا هانم..

لكأنه السحر خَلّفته تلك الكلمة في أذنيها؛ فابتســــــــــمت....

فغر الفتى فمه، ودون أن تطلب منه، أسرع يُعِد لها بولا تحمل جميع الألوان التي لديه.

ـ البسكوته للبسكوته.

ـ بس أنا...

ـ لبن،ومانجه، وفراوله...... اتفضلي يا ست الكل...دي استفتاح... هديه عشان يومنا يبقى نادي.

ـ مِرْسِي....

مع ابتسامةٍ أتت على البقية الباقية من عقله، فدبت الحماسة فيه، يدفع صندوق الأيسً كريم أمامه، يُدَوّي صوته..

ـ بولا، بولا، بولا.....

استدارت سلمى تواجه البحر من جديد، يذوب الأيس كريم بين شفتيها الدافئتين، مغمضة العينين تستمتع بمذاقه في فمها، تُطَوّف على اللبن، ومنه إلى المانجو، ثم إلى الفراوله..

❋هكذا الأمر إذاً..

لكل شيءٍ ثمن، لا شيء مجاني.

أعطاها البائع ما ظنت أنّه ـ مجاني ـ هدية لا ثمن لها، لكنه أبداً لم يكن كذلك، إنما كان لقاء استمتاعه بنظرات عينيه تأكلانها في نَهَمٍ، وابتسامتها الساحرة تخطف قلبه وعقله..

ـ القمر قاعد لوحده ليه..

هكذا انتزعها ذلك الفتى من استغراقها في أحلامها الممتعة الممزوجة بطعم الفراولة، تقلب عينيها فيه صعوداً وهبوطاً، تتدلى من رقبته السلسلة الفضية، وقد قَـزَعَ في شعره فأدار رأسه حَلْقاً تاركاً وسطها

كعرف الديك، يحمل في يده علبة السجائر والمفاتيح والهاتف..

ـ ايه، مش عاجب ولا ايه..؟

تعود بناظريها إلى البحر دون أن تعيره اهتماماً، إذ لا يختلف في كثير عن من عاشت عمرها فيهم، ولم يكن مثله مطمعاً لها ولا حلماً تسعىٰ إليه، وإلا فهم هناك كُثُر.

ينظر الفتى يُمْنة ويُسْرة، ثم يميل برأسه إليها من الخلف حتى كادت تلتصق شفتاه بأذنها، يهمس كفحيح أفعى، تخترق رائحة فمه ـ التي تعرف ـ أنفها..

ـ أنا في الخدمه.

تميل سلمى بجسدها إلى الأمام حيث قدمها، فتخلع حذاءها، وتضعه بجوارها، دون أن تلتفت إليه، أوتنبس ببِنْت شفَه.

غَصّ الفتى بلعابه، يعود إلى الوراء يجول بعينيه فيمن حوله، فيما يضبط ياقة قميصه، ثم هويكمل سيره في صمتٍ.

ـ عندما تتحدث الأحذية...!!

لم تَلْحَظه سلمى إلا ساعة تحدث، يجلس على مقربة منها يتابعها مذ جلست، ثلاثيني، تعلوأنفه نظارة توحي بِقِدَمِه، فيما يرتدي جاكيت بدله يختلف عن لون بنطاله، بين أصابعه سيجاره، فيما تحمل اليد الأخرى نوت بوك يطل من بين صفحاتها رأس قلم، ينظر إلى حذائها بجوارها، فيما يُتم...

ـ تكون البلاغة في الحديث...!!

يبتسم يرفع النوت بوك أمام عينيه، وقد ساءلته عيناها عنه..

ـ عاطف رشدي، مؤلف، وإن شئت فقولي مشروع لمؤلف، أكتب شعراً بالفصحى.... ولكن قَـلّ من يقرأ..

ترفع حاجبيها مستفسرة عن السبب، فيما تلقي بآخر قطعة من البولا في فمها، فيتم في حسرةٍ..

ـ... نعم، لم أجد وسيلة للنشر إلا الـ FACEBOOK...

ولكن، قَلّ من يُحْسِن قراءته فضلاً عن فَهْمِه.

يرسل عينيه إلى البحر، وكأنما يتحدث إليه لا إلى جارته الفاتنة.

ـ نَزَلْتُ مرةً على رأي لصديق لي، فعَمَدت إلى دار نشر فأرسلت إليهم مسرحيةً، ثم أجابوني بعد شهرين " العمل جيد لكنهُ لا يتوافق وسياسات الدار "... تخيلي...

فيما يستدير مخاطباً إياها، إلا أنه لم يجدها حيث كانت، إذ لمح طيفها تركب سيارة، فضحك ساخراً، وأتم يحدث البحر.

ـ آهٍ أيها البحر، كم من متألمٍ أتاك، وما رددته

كم من حزينٍ أتاك وما صددته

كم من غاضبٍ آيسٍ حانقٍ، أومستبشرٍ حتى بغدٍ أفضل.

تستقبل الجميع، فيفرغون في جَوْفك ما اختلجت به أنفسهم، وانت

أنت، دائما البحر، تزداد ابتساماً، وجمالاً مع كثرة ما يُترك على شاطئك..

يرفع الفتى الشاعر صوته قليلا ـ:

ألا إنك مُتَقَلّب لا ثَبْت لك.... ثم بصوتٍ خفيض، يراك كل أحدٍ بحسب حالته..

ومن ثَمّ يقف على رصيف الكورنيش رافعاً يديه إلى السماء ـ في عرضٍ مسرحي يجذب إليه أنظار المحيطين به...

ـ أنا البحر.... غير أني من الحزن اكتفيت

أنا البحر.... غير أني من الآلام شبعت

أنا البحر.... غير أني مذ عَقِلْت اعْتُقِلت.

أنا البحر.... فمن يبعني بسمةً، فإنني اشتريت...؟

***

ـ يا بنتي انا معاكي من امبارح..

ـ وايه يعني، خليكي معايا الليله كمان..

تخرج سعاد من الحمام وفي يدها منديلا ورقياً يحمل أثار روج، وفي اليد الأخرى الروج الأحمر، تقترب من دعاء، حيث تستلقي على السرير

ـ ما ينفعش يا قلبي، لازم اروح البيت.

ـ يعني هتسيبيني لوحدي، انا خايفه.

ـ خايفه...!! من ايه..؟

ـ من نفسي.

ـ انت بتدلعي بقى..

تلقي المنديل في سلة المهملات، فيما تضع الروج في حقيبتها، وتميل على خد دعاء لتطبع قبلة..

ـ باي يا قمر.... ابقي طمنيني عليكي.

***

*الوحدة.. ما أقساه من شعور، يعتصر قلب الكثيرين، سيان في ذلك كنت في جمع من الناس أم وحدك بالفعل.

على أن بعضاً من الناس أَلف تلك الحالة من الوحدة، غير أنها ولا ريب مرضاً نفسياً إن اعتدته، فَصِرْت تكره الرّفقة أياً كانت تلك الرّفْقة، فلا تستسلم لذلك الإحساسَ، واصنع لنفسك رِفْقةً تعالج بها مرض نفسك قبل استفحاله..

انضم إلى ذلك الشعور بالوحدة شعور آخر بالملل، يزيده ضراوة ذلك الصمت القاتل، تقلب دعاء عينيها في أنحاء الغرفة تبحث عن شيء كما لوتبحث عن ما تضرب به ذلك الصمت، لم تجد امامها سوى ريموت التلفاز.

ثوانٍ معدودات، لا تلبث أن تنتقل إلى قناةٍ أخرى فأخرى، ثم أخرى

حتى انتشلها رنين هاتفها من هذا التخبط..

تنظر إلى شاشة الهاتف في يدها، تحدث نفسها :

ـ رقم مين دا، انا شوفت الخمسات دي قبل كده... محمود......!!

ـ الو......... مساء النور م / محمود..... الوحضرتك معايا.... طبعاً، مش مهندس محمود برضه، ثواني حضرتك...

تلقي الهاتف من يدها على السرير وتتحرك بسرعة تحدث نفسها :

ـ الشنطه فين، فين، فين.. أها.

تمتد يدها في سرعة إلى داخل حقيبتها، ثم لم تلبث أن أفرغت كل محتوياتها على السرير..

ـ أهو، الو.... م/ محمود شاكر، مينا اسكندرية..

.... مستخلصه ايه، مش فاهمه.... هوحضرتك جبت الرقم دا منين.... وصاحبك دا مش يقولك دا رقم مين...... ممكن......... أوكي، تسعه كويس...... طبعا عارفاه... باي.

تستلقي على السرير تسترجع ما حدث، فيما تقبض على الكارت، تضمه إلى صدرها، يُدَوّي في أوصالها جميعاً صوت سعاد، كدبيب النمل يخرج حرفاً حرفاً؛ ليتجمع في كلماتٍ تطرق ذاكرتها :

... محمود ممكن يكون بدايه جديده...

***

إذا تملك من عقل إنسان، فقد يُعْمي بصره، ولا ريب بصيرته وليس العمى هنا على الحقيقة حيث تفقد الجارحة عملها...

إذ هي تعمل، فيتحقق منها النظر والرؤية غير أنها لا تُبصر حقيقة الأشياء وكُنْهها... هكذا الغضب صنيعه.

جعل يروح، ويجيء في صالة المنزل المزدحمة بقطع الأثاث على قلتها، وقد جمع قبضة اليمنى يضرب بها في كف اليسرى، حتى أنه لم يجد أمامه شيئا يُفرغ فيه من غضبه، إلا أمّه تلك القابعة في جانب تتابعه بعينيها الوَجِلتين، وذلك الكُرسي المتهالك القابع بجوار الباب.

عمد إلى الكرسي بيمينه رافعاً في الهواء، ثم ألقاه في مكانه فأتى على ما تبقى منه..

أسرع إلى ورقة صغيرة من السلوفان في جيبه ـ يخرج منها قرصاً يُلقي به في حلقه، ثم يعيد تكوير الورقة، ودسها في جيبه من جديد..

تتابعه أمه عن كثبٍ، تهز رأسها نفياً.

ـ بالراحه يا بني.

ـ هوايه دا اللي بالراحه.

ـ أختك، بالراحه عليها..

ـ راحة ايه وزفت ايه، بنت الكلب دي هتخلينا لبانه في حنك الكُلّ.

ـ بالراحه يا سالم، مش عايزاها تطفش هي كمان.

ـ تطفش...!!

يخرج من جيبه مطواة يرفعها أمام عينيه، متماً..

ـزاهيه وكنت صغير، مش عارف حاجه، لكن دي.....

يقطع كلامه مع دخول سلمى تحتضن كتابها، تنظر إلى أخيها تلمع في يده المطواة، ثم إلى أمها المنسابة دموعها..

ـ حمد الله ع السلامه.. ويجذبها إليه من ذراعها.

... كنتي فين لحد دلوقت.

ـ مش شايف الكتاب، كنت بذاكر مع دينا صحبتي.

ترتفع يده في الهواء؛ لتهوي على وجهها بصفعةٍ ألقتها أرضاً، فيما أغمضت الأم عينيها، وقد اتكأت بمرفقيها على فخذيها، تَضُمّ أُذنيها بيديها، تئن أنين الثكلى، مبتعدةً بكُلّيتها عن هذا المشهد، تاركة الساحة لـ سالم، الذي لن تثنيه عبارات الَرجاء والاستعطاف عن قصده.

أوقفها بين يديه يتصبب جبينه عرقاً، فيما علا نحيبها، ترتعب، تنهمر دموعها، ترجوه عيناها أن كُفّ.

ـ عارفه يا بت، لووصلتني كلمه واحده عنك..

ـ انا، أنا ما بعملش حاجه غلط..

ـ غلط... غلط ايه، مش هتوصل لكده، لأ، يوم ما عَيّل في الحته دي يبصلي بسببك كده ولا كده.... تلاته بالله العظيم، وحياة امك الغلبانه

دي، لأكون دابحك.

يغلق الباب خلفه في عنفٍ بعد أن ألقاها أرضاً، تمسح دموعها في هدوءٍ وثباتٍ كأنما لم تَبْك، تميل إلى كتابها الملقى على الأرض، وتقف ترمق أمها بنظرةٍ قاسيةٍ، ثم في سُخْريةٍ تحول عينيها ما بين كتابها بيدها وأمها التي ما انفكت تصم أذنيها بيديها تئن أنينها، تلقي سلمى الكتاب بجوار أمها، وتنطلق إلى غرفتها لا تلوي على شيء..

لم يكن دافعه فيما أتى غَيْرَةً على شرفٍ أوعِرْض، إنما دافعه هو...

هو، هو، صورته بين أقرانه ورفاق دربه، وأهل منطقته، كيف ينظرون إليه، وأنّى له برأيٍ فيهم بعد، إن هي حادت.؟؟

لم يكن دافعه مع هذه القسوة خوفاً على أختٍ من ذئابٍ تلتهمها... لا... بل كان هو، صورته كذئبٍ بين الذئاب.!!

ولم يكن إظهارها للضعف، وقلة الحيلة بين يديه مع قوة شخصيتها وذكائها، إلا مكراً وخديعة.!!

.. وَيْ...!! لا تعرف من أيّهما تعجب.!

ولم يكن جمالها هذا إلا غلافاً رقيقاً يغلف قسوةً، ومقتاً على حالها وواقعها، وتمام ذلك وآيته في نظراتها القاسية لأمها، ولسان حالها يقول" لوكان رَحِماً غير الرّحِم.... لرُبّما...." إلا أنها أقدار

***

فليس لأحدٍ أن يختار أبويه أوإخوته..

وليس لأحدٍ أن يختار بيئته التي نشأ فيها، أوكيف أنْشيء.

فلا يَلْمِز أحدٌ أحداً في أبويه أوبيئته، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك، فليسعى إلى الخير ما استطاع.

على أنّ لكلٍ حرية الاختيار ما إن يَعْقِل، وفي ذلك الناس شتّى.

فهناك من عَقِلَ وما إن فعل حتي اعتقل.

وآخر ما إن عَقِل حتى انساق خلف التيار ينعق كمن ينعق، أويهتف.

وثالث بَيْن بَيْن، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، إنما يحيا فيمن يحيون،

ورابع أسرف على نفسه فأوردها كل موردٍ..

وخامس وسادس... صنوف شتّى.

وهناك من أعْجَلَه امره، أوعَجّل فيه فأسرع بنفسه قبل أن ينضج عقله، فألقى بها في معترك الحياة صغيراً لم تُحَنّكه التجربة بعد، أوهكذا يُظَن فيه، يقتل فيمن يقابله أباً قاسياً هَمّه نزواته، أوأمّاً جاَحدةً استعاضت عن ذاك القاسي بآخر ألقت بنفسها بين براثنه...

والمجتمع في جملته مصاب بذلك كله، فإما أن يَعْمَد عقلاؤه فيصلحون من شأنه، أويظل كما هويضرب بعضه بعضا...

***

وقفت أمام المرآة تبتسم، وقد أعجبها من نفسها هذا الثبات، وتلك

القوة، تسحب عن رأسها ذاك القيد الذي طالما رافقها في صغرها، فلما أن عَقِلت ـ أوهكذا ظنت ـ واختارت لنفسها، جعلت تستتر به ـ فقط ـ حالَ وجودها فيهم، ترفع رأسها لأعلى وتهزها في سعادة، فينطلق شعرها خلف ظهرها يوافق حركة رأسها كما لوفُكّ من عقال، تتمعن في ذلك الجسد، هذا الشعر المنساب، تلك العيون السود الواسعة، وتمرر اصابعها حيث تلك الشفاه المكتنزة العطشى، وتنزل بأصابعها حيث هذين النافرين، لتفتح زِرّ قميصها ليبرزا أمامها، كما لويبحثا عن مُتَنَفّس، ثم إلى خصرها المستدَق تحيطه بيديها، تدور أمام المرآة تتفحص هذا الجسد، هذه القوة الجامحة، فيما تلمع عينيها ببريقٍ ما عَهِدَتْه من نفسها، كما لواكتشفت من أمر هذا الجسد ما لم تعرفً من قبلَ، تهبط أصابعها في بطء لتختفي يدها داخل صدرها ؛ لتخرج بورقتين نقديتين من فئة مائتي جنيه، ترفعهما أمام عينيها في سعادة، تحين منها التفاتة إلى باب غرفتها، فتسرع إلى كيسٍ أسفل المرتبة؛ لتدس فيه الورقتين إلى جوار أخريات.

***

هل يكون حقاً بداية جديدة، أم أنها تظل يلاحقها ماضيها، وأعين الذين قضت معهم ليالِ عِدّه، ورنين هواتفهم الذي ما انفك يضرب يميناَ وشِمالاً، وتلك الأثَار التي بعد لم تزل على جسدها شاهدةً على ما كان، ترفع دعاء فنجان القهوة إلى شفتيها، تطبع عليه قبلة حانيةً تأخذ معها القليل من القهوة في رشفةٍ هيّنةٍ لينه لا صوت فيها، وكأنها تنتقل

القهوة تلقائياً إلى فمها ما إن تستشعر دفء هاتين المكتنزتين، فيما تغمض عينيها تستمتع بما أخذت شفتاها، وبين حين وآخر تطرق نافذتها التي تجلس إلى جوارها نسمة صيفية حانيةً؛ لتطير خصلات الشعر الحمراء في الهواء تسحر معها القلوب قبل أن تحط مرةً أخرى على كتفيها، وقد لمع جيدها العاجي حيث ذهب عنه أثراً ألجأها يوماً إلى ستر ما لم تستر من قبل، غير أنه لم يزل بهذا الجسد غير أثرٍ لما كان...

وفي النفس أثر أعمق وأبعد.

نعم... ربما تكون بداية جديدة، تُبعث فيها زاهيه في صورة دعاء الجديده، ولكن....... كيف يتأتى لها ذلك. ؟ !!

فلوأنها قابلته الآن لعلم أنها تلك الفتاة اللعوب، تلك التي هاتفها، ووصل إليها عن طريق صديق له، فهي إذا مرتع لكل أحدٍ لاعبٍ لاهٍ.

ستختفي قطعاً تلك الصورة التي تتمنى أن تصله، ليحل محلها ذلك القبح الذي يعلوه قشرةٌ من جمال.... إذا هوالهروب، الهروب ولا ريب.

وقفت دعاء في سرعةٍ، وقد عمدت بأصابعها إلى حقيبتها تبحث عن نقود، وكأنها تبحث عنها في غرفة مزدحمة، فجعلت يدها تتخبط بكل شيء إلا النقود.

ـ مساء الخير.

أُسْقط في يدها، إنه هو..

كيف سترفع عينيها في عينيه ؟ كيف ستواجهه ؟

للمرة الأولى مُذْ سَلَكت هذا الطريق تَعْتَد لأمر عينين تريانها، وعلى أي صورةٍ تريانها، أُلْجِمَت الصمت للحظات، وتَعَرّق جبينها، فانسالت قطرة من العرق علىَ خدها الوردي كأنها حبة لؤلؤ، ما أطول الزمن في تلك اللحظات، وكأنها أعوام مَرّت عليها، فيما هيً على حالتها تلك

" تقف ثابتة، يدها في الحقيبة، فيما يقف إلى جوارها ".

كأنها أعوام من الصمت المُطْبِق، يعتصر قلبها ألم مما ألجأها إلى المَلِك

" أمّن يجيب المضطر إذا دعاه..."

نعم، قد يُلْجئك إليه حباً فيك، وحباً في دعائك إياه، وحبًا في رجوعك. جعلت تُتَمتم لا تعرف ما تقول، فقط ترتعش شفتاها، لا تعرف كيف تلجأ إليه ؟ وهي التي لم تقف بين يديه يوماً، لكنها لجأت إليه، لجأت إليه بكل كيانها، لم تعرف الطريق، لم تعرف الكلمات، غير أنها فعلت.

بالنسبة له، إن هي إلا ثواني مرت مُذْ دخل عليها واقفةً، يدها في حقيبتها، ساكنة لا تتحرك، وهي بعد لم تزل على حالتها، غير انها أفاقت من شرودها على أثر ارتطام قطرة من العرق بظهر كفها، فانتبهت له يقول يعيدها :ـ مساء الخير...

انا محمود، محمود شاكر، اللي كنت قابلتك مع صحبتك هنا من كام يوم.

نسمةٌ صيفية ليليةٌ باردة هَبّت فأصابتها، وكأنما خُصّت بها، وكأنما

أُرْسِلت إليها، جف عرقها، وهدأت ثورتها الداخلية.

إنه لا يعرفها، أوبالأحرى لا يربط بينها وبين تلك التي هاتفها.

" أمّن يُجيب المضطر إذا دعاه..."

الآن، الآن وحسب، قد تكون بداية جديده.

مشاعر شتّى تختلج في نفسها في تلك اللحظة، وبدا ذلك واضحاً جَلَيّاً في عينيها اللامعتين، ووجنتيها المتوردتين، ويدها المرتعشة، تخرجها من الحقيبة لتصافح يده الممتدة..

واحتضنت يدُه يدها، وعلى أنها ما توطدت معرفتها به بعد، إلا انها تمنت لوغابت بكُليتها بين ذراعيه، فاختبأت من ماضٍ مُخْزٍ محزنٍ بغيض، كانت في صورتها هذه أقرب إلى كَوْنها تلك الفتاة المصّريةً البسيطة، التي طالما حَلمت بذلك الفارس يأتيها مَن بين رُكام الحياة التي تحياها؛ ليبدأ معها وبها من جديد، ولتبدأ به ومعه حُلماً طالما أمّلتْه.

على أنها تلك الفتاة التي تقود أمرها بنفسها، فلم تدع لأحد من فرصةٍ أن يقودها في أمرها من شيء، اويحتويها فتترك له نفسها، وأمرها معاً ـ وربما لم تجد لتفعل ـ إلا أنها ولا تعرف كيف، ولِمَا تركت نفسها ويدها في يده.؟؟

استشعر محمود بقاء يدها في يده مدةً أطول مما يجب، حتى صارا محط انظار المحيطين بهما، واستشعر منها خجلاً لا يعرف ـ ولا هي ـ تفسيره، ولم ينتظره، أوتتوقعه.

ـ أنا آسف، هو حضرتك كنت ماشيه، ولا لسه واصله.

ـ في الحقيقه.....

ـ فنجان القهوه بيقول ـ ولسوء حظي ـ إنك ماشيه.

في سرعة وعفوية لم تعهدها من نفسها، تقول :

ـ لا أبداً.... انا، منتظره صديقه..

ـ وانا كمان، يعني ممكن أعزمك على فنجان قهوه.... أوأي حاجه.

تومئ برأسها أن نعم، ويتجالسا..

يجلس قبالتها يُمعن النظر في هذا الشعر الأحمر المتوهج، وهذين الحاجبين يميلان إلى ذات اللون، وهذه العيون التي صَبّ البحر فيها من مائه الصافي ـ يغوص فيها، فتأخذه عما حوله ـ وهذا الحياء الناطق فيهما إذ ما صَعّدتهما فيه، وخديها المتوردين، وتلك الشفاه المكتنزة، إنها لأشبه بزهرة حمراء تخطف الأبصار.

هل هذه هي.؟

ـ بشمهندس، بشمهندس...

يلتفت إليه كالمغيب

ـ ايه... آه، تحبي تشربي ايه... عصير ماشي.

ـ أوكي...

ـ اتنين كوكتيل يا سمير، فريش..

ـ تمام يا هندسه...

ـ إنتَ قولت وانا كمان، يا ترى مستني صديقه برضه.

ـ في الحقيقه صديق، صديق مش صديقه.

يسرع إلى هاتفه، فيما تسرع هي الأخرى إلى هاتفها، يا للغرابة.!!

يتجالسان فيما كلاهما يخشى اتصالاً من الآخر، وقطعا لن يحدث..

ترتجف أصابعها مخافة أن يطلب رقمها، تفتح هاتفها على عجلٍ، حيث أيقونة الضبط، ثم إدارة الشبكة المزدوجة، وتغلق الخط الثاني،

وتتنفس الصعداء، تضع الهاتف أمامها، ثم في هدوء..

ـ بترن عليها، قصدي عليه...

ـ لا، أبداً.... انا بعمله بلوك، أصله غالباً هيرن ويزعجني..

كلاهما كذب على صاحبه، كلاهما تَجَمّل، ربما من أجل بدايةٍ جديده.

***

*الماضي مِلْكٌ لأصحابه.

فليس من الفطنة أوالذكاء كي تبدأ من جديد أن تخبر نصفك الآخر بما كان منك في زمن لم تعرفه فيه، فذلك أدعى لتكدير الصفو، وبَثّ روح الفرقة، واستدعاءً لهذا الماضي كلما عَنّ لهما أمر

ـ وما أكثر الأمور التي ستلوح ـ وليس لهذا الشريك أن يسألك عما كان، فإن فعل، فقد وضع بيده اللبنَة الأولى في جدار الفُرْقة، والشقاق، وذلك كله شريطة أن لا تعد إليهِ ـ أعني ذلك الماضي ـ منذ التقيت نصفك الثاني، فطالما أودعته صدرك، وأغلقت عليه بمفاتيح ومفاتيح، فذا مِلْكك.... ملكك وحدك، ليس لأحدٍ أن يسألك عنه، أويحاسبك عليه... إلا أن تَعُد، فإن عدت فأنت أضعفُ من أن تبدأ بداية جديدة، نظيفة، نقية، بل أنت حينئذ أسير لهذا الأمر، يتحكم فيك، ويذهب بك كل مذهب .

***

انساب الحديث بينهما ـ انسياب الماء العذب يصنع له طريقاً بعد وَابلٍ يمحوفي طريقه كلّ خَبَث، أوكدرٍ، أوألمٍ، أوحزن، وكأنما وُلِدَتْ منَ جديد، أوولدا معاً..

تعلم يقيناً ولا ريب أنه إنما كان يبحث عن فتاة ليل، يقضي معها ليلته، وربما يبحث عن غيرها وغيرها، لكنها تغفر له ذلكَ لسابق صنيعها.

لم تسأله أنّى له باسمها، وهي بعد لم تخبره، لكنها أحبت منه ذلك " شأن كل أنثى " تلمح في عينيه اهتماماً بها، ولهفةً لأن يوطد معرفته بها ويعرف عنها ـ ومنها ـ ما لم تخبر به غيره.

جعلا يتبادلا أطراف الحديث، وقد غابا عما حولهما، وكأنما انفصلا عن الواقع، وكأنما وجد كلٌ منهما تَتِمّته فاكتمل بصاحبه، وتم له أمره، فاستغنى به عن كل شيء..

وهكذا الإنسان دوماً دأبه، يبحث ويبحث، فإذا وجد ضالته اكتفى بها ، وقد تكون الضالة التي يبحث عنها في النصف الآخر حال يجده، أوفي نفسه ذاتها يكتفي بها عما حوله.

كما يمضي الوقت على النائم الحالم لا يشعر به كدقائق تفلتت من بين أصابعه، مضى بهما الوقت ولم يشعرا به، يسيران معاً على كورنيش البحر وقد انتصف الليل، فخلا البحر من رواده إلا بعضاً مِمن ألجأه أمرٌ إلى البحر عشقاً كان أوهَمّاً، يشكوإليه يُفضي إليه بما أَلَمَّ بخاطره.

التقت ايديهما، تحتضن يده يدها من جديد، تَحُفُهما نسائم الليل الساحرة، تغبطهما السعادَةُ على السعادَةِ التي تغمرهما.

ـ ممكن أوصلك للبيت، خصوصاً إن الوقت اتأخر.

ـ إنت فعلا وصلتني..

تعلووجهه نظرة استفسار عما تقصد، وقد قَطّب جبينه، فأتمت تزيل حيرته : ـ زي ما قولتلك، من بعد بابا، ما حبيتش اعيش في شقة لوحدي، عشان كده تلاقيني جربت اوتيلات اسكندريه كلها..

وتجذب يدها من يده تعلووجهها ابتسامة ساحرة تغلب على سحر البحر

ـ هشوفِك تاني امته ؟

ـ بكره في نفس الميعاد والمكان... يناسبك.

ـ أكيد..

للعينين حديثٌ قد لا يُتقن اللسان ترجمته أوالتعبير عنه، فقط يشعر به الإنسان، ويصل المعنى إلى القلب، وكأنها رسائل مشفره، أتقن القلب فك شفراتها دون غيره من الجوارح.

جعلا يتبادلان النظرات، لا يجد وهوالأريب اللبق الفطن الخبير في أمور النساء، لا يجد ما ينطلق به لسانه، غير أنهما انطلقتا عيناه تنوبان عنه في الحديث تبلغان عينيها بما أَلَمَّ بخافقه، ولم يشق ذلك الصمت الممتع إلا شعورها بشيء من برودة الليل، فجعلت بكفيها تمسح على ساعديها طلباً للدفء، ودفعاً لبرودة البحر....

ـ بردانه.؟

ـ شويه.

يرفع محمود عينيه إلى ذلك الفندق القابع في الجانب الآخر من الطريق، ثم يعود إليها تمتلئ عيناه بشيءٍ من الخوف، كمن يخشى ضياع حلماً بعد ما استيقنه بين يديه..

ـ اكيد هشوفك بكره... مش كده.

ـ في نفس المكان.... تصبح على خير.

يتابعها بعينيه تعبر الطريق إلى الفندق، فيما يغمرها شعورٌ جارف من النشوة والبهجة، ذلك الشعور الذي لا يكون إلا بعد أن تأتي على قنينة خمرٍ مُعَتّقة، غير أنه لا يُذهب العقل، أويَذهب به، وكأنه من خمر الجنة

لذة للشاربين، وكأنها تطير في الهواء لا تمشي على الارض...

***

في خفة ونشاط لم يعهدهما من نفسه في تلك الفترة من اليوم، حيث تضرب الشمس الرؤوس، وقد توسطت كَبد السماء، يتبعه مجموعه من أصحاب الحاويات، أومن ينوب عنهم، أَوالمستخلصين، يحمل كل منهم أوراق حاويته أوبالأحرى أوراق ما تحتويه الحاوية..

يقترب منهم عوني يهتز كرشه أمامه يحمل في يده حقيبته، وقد تعرق يعيد النظارة إلى مكانها بعد أن انزلقت بفعل العرق..

ـ مش عارف كل اما اشوفك احس اننا داخلين على مجاعة.

يتضاحكوا فيما يقف امامهم عوني.

ـ وليه يا ريس ما تقولش اننا عايشين في خير.

يزم محمود شفتيه رافعاً كتفيه يقول في غير ثقةٍ :ـ جايز..!!

ويتحرك محمود يتبعه عوني، محاولاً مجاراته يتراقص كرشه أمامه.

ـ بس المزاج باين عليه عالي النهار ده.

ـ بيني وبينك، كانت طالبه نوم.

ـ وما ريحتش ليه يا ريس، الحاجات الفاخر دي لازمها راحة تاني يوم.

ـ بتقول ايه يا عوني..؟

ـ بقول يا ريس كنت ريحت.

ـ يا ريت، بس مفيش حد، الناس كلها في شغل..

يتوسط عوني جموع المستخلصين، رافعاً صوته فيهم

ـ بصوا يا شباب، الريس تعبان شويه، فعشان ننجز، عايز ورق العشرينات لوحده، والأربعينات لوحده، وكل واحد قدام حاويته..

– ها، هنخلص ولا ايه.؟

يتبادر الجميع لجمع الأوراق، وتقسيمها حسب طلب عوني،وطبقاً لحجم كل حاوية، عشرين قدم كانت، أواربعين، وأسرعوا جميعاً كلٌ أمام حاويته...

ـ نبدأ يا ريس بالعشرينات..

ـ ماشي يا عوني، نبدأ...

يناول عوني ورق الحاوية لمحمود الذي يتفحصه جيداً، ينظر إلى الحاوية من الخارج يتأكد من رقمها، ثم يغيب داخلها، فيما ينتظره عوني أمامها.

يتسلم عوني ورق الحاويه من محمود فيما يناوله ورق اخرى

ـ تهامي يا ريس.

ـ تمام، الشغل تمام يا تهامي.؟

ـ تمام يا هندسه، شوف بنفسك.

جعل محمود يتنقل من حاوية إلى أخرى، يتبعه عوني يتكسب به يقدم له أوراق الحاويات مرتبة، فيما يختفي محمود لثوانٍ داخل كل حاوية، ويخرج يتصبب عرقاً، وقد بدا ذلك واضحاً في قميصه الذي صار كما لوأمطرته السماء دون سواه..

ـ خلاص كده.

ـ كله تمام يا ريس، فاضل الشغل بتاعي.... بس بعيد شويه..

يرفع محمود يده أعلى جبينه يدفع شيئاً من وهج الشمس، يعض على أضراسه في حنقٍ، مما أربك عوني، فبأبأ وتأتأ..

ـ إخلص فين...

ـ عـ، عـ البحر يا ريس.

وفي انفعال يوافق وهج الشمس وحرارتها، ينطلق محمود معنفاً عوني

ـ نعم... جرى ايه يا سي زفت، ما احنا لسه جايين من هناك.

هوولا ريب يكْبُر محمود بما يزيد عن العقد من الزمان، إلا أنه ألْجَمه الصمت كَوْنه هوهو، وهومن هو، إذ جميع أعماله مرهونة بقلم بين أصابع محمود.

جعل عوني ينظر من حوله أن لا يراه أحد، فيما يتم تعنيفه وتوبيخه، إذ هوفي مهنته تلك عَلَمٌ من أعلامها، يلجأ إليه الكثيرون طلباً للرأي والمشورة، ومع هذا يعمل من خلال مكتبه المتنقل في حقيبته التي لا

تفارقه، وكثيرا ما عاب عليه آخرون ممن أتى بعده في مهنته تلك، أنّى لخبير مثله أن يسبقه آخرون ليس لهم من العمر ما له من سنواتٍ قضاها في تلك المهنة ؟! إلا أنه ما أحب يوماً أن يتقيد بمكانٍ ثابت، ومضت به السنوات على هذا.

انساب العرق من كل مكانٍ في جسده، وتيبس امام محمود كالصخرة الصماء لا يتحرك منه غير بؤبؤ عينه، يرى محمود امامه متقد الوجه، تتحرك شفتاه في غضبٍ توافقهما أصابعه، لا يصله صوته، لا يعرف هل صُمّتا أذنيه أم صار محمود أبْكماً يتحدث بالإشارة.

ـ... مالك بَلِّمت كده ليه.

.... فيه ايه.. مالك.... عوني..

يسقط مغشياً عليه بين يدي محمود

أنْسته المفاجأة كل شيء، حتى تلك التي يحاول إنهاء أعماله للقياها، أُنْسي الدنيا بمن فيها، هاله مرأى عوني، مُسجّى على الأرض لا يحرك ساكناً، ذاك الرجل الذي يفوق في نشاطه الكثير من الشباب، على ثقل جسده وكرشه الراقص امامه حال سيره...

أفاق عوني بين جمع من الناس، داخل كارافان تم تجهيزه كمكاتب داخل الساحة الصينيةٍ يحرك عينيه فيهم، قد تَحَلّقوا حوله، يقف محمود إلى جواره..

ـ فيه ايه..؟!!

ـ حمد الله ع السلامه.

ـ حصل ايه ؟!

ـ أبداً، باين عليك كنت عايز تودع، لكن البركه في الدكتور.

يدور عوني بعينيه حتى التقتا بعيني منقذه..

ـ حمد الله ع السلامه، كل الحكايه شوية اجهاد مع حرارة الجوخلوك..

يقاطعه محمود متماً مما أضحك الجميع.

ـ سخسخ، كل دا بسبب الكرش ده..

يعتدل عوني في كرسيه ينظر في وجوه المحيطين به، يرفع كفه ماسحاً من أثار العرق عن جبهته وعارضه، وتتوقف أصابعه فجأة حيث عارضه؛ لتعود إلى عينيه يتحسس باحثاً، ثم يهتف فيهم :

ـ النضارة....؟!!

بُهِت الجميع، وتحول الأمر إلى عرض مسرحي، أفضى بالجميع إلى الضَحك حتى جلس بعضهم أرضاً يَمسح عن وجنتيه أثراً لعينين ضاحكتين، فالموقف في جملته يدعوإلى السخرية والتندر به.

عوني في شهرته ـ بين مرتادي الميناء والعاملين فيه ـ يفوق الكثيرين من العاملين حتى أولئك التابعين للهيئات الحكومية المختلفة..

تلك السنوات التي قضاها في العمل مع هؤلاء جميعاً أكسبته ولا ريب شهرةً واسعة، وسيكون ولا ريب مُضْغة كل لاهٍ متندر يبحث

عما يتفكّه به..

جذبه محمود من مجامع ثيابه فأوقفه بين يديه..

ـ أظن كده انت بقيت تمام... الورقتين بتوعك أهم.

يضع الورق في كف عوني ويستدير خارجا، يلحق به عوني، وقد أخذه شيء من الدوار، فوقف بجانب باب الكارافان، فيما يستمر محمود في طريقه..

ـ يا ريس... يا ريس.

لم يتوقف محمود، بل زادت خطواته سرعة مما دفع عوني أن يحاذيه عدْواً يمسك على كرشه بكلتا يديه، وقد بدا الإعياء عليه.

ـ انت مش أخدت ورقك.... فيه ايه تاني. ؟؟

ـ ايوه يا ريس، وربنا يخليك لينا... بس، كنت عايز أسألك على حاجه.

ظن عوني أنه بذلك قد حاز على اهتمام محمود إلا أنه لم يُلق له بالاً واستمر في سيره، واستمر عوني في عدْوِه، وكرشه في رقصه.

ـ إكس يا ريس...

يدير محمود رأسه إليه دون ان يتوقف مقطباً جبينه سائلاً، فيتم عوني

... الحلاوه اللي سجلت تليفونها عندك..

الآن، الآن وحسب استحوذ عوني على كامل اهتمام محمود، فتوقف به، ينظر من حوله، فيما انحنى عوني معتمداً بكلتا يديه على ركبتيه يلتقط انفاسه؛ وقد انحسر قميصه عن مؤخر ظهره.

انحنى محمود إليه، وقد جعل فمه في أذنه، ويده على ظهره، فكانت كأنها جبلاً قد حطّ عليه.

ـ دا وقت كلام في النسوان، انت في ايه ولا في ايه، دا انت كنت خلاص، انت ما بتتعلمش ابداً...

تركه محمود، فيما يحاول عوني أن يستجمع شيئاً من قوته، وقد ألجأ ظهره إلى إحدى الحاويات طلباً للظل، يمسح عن جبهته العرق مخاطباً نفسه بصوت مسموع.

ـ طيب انا كده ما عرفتش، أدّي رقمها للباشا ولا لأ..

... والله فكره، هي هتشوفني يعني، ما انا في التليفون باشا برضه..

يخرج هاتفه وهويتمتم.. دودي، دودي، دودي، دوووووودي.

The mobile you have calling is not available at moment

***

تتأبط سعاد ذراع صديقتها، تمشيان معاً، وقد خَيّم عليهما صمتٌ، تنعمان بنسمةٍ رقيقةٍ في بداية ليلةٍ صيفيةٍ صافية، يحفهما صوت الأمواج المتلاطمة تضربُ في صخور الشّاطئ، ما إن تصل موجةٌ حتى تلحق

بها أخرى، تتحطم على الصخور التي وُضِعت تحجب رؤية البحر عن أبناء الاسكندرية وروادها، ذاك المتنفس الوحيد، والأرخص سعراً ـ كورنيش البحر ـ أمام أبناء الاسكندرية وروادها من الطبقة المتوسطة والدنيا، أما الطبقات التي تعلوالمُهَمّشة فلهم أماكنهم الخاصة التي يرتادونها دون غيرهم تمييزاً مادياً وبالتالي نوعياً..

ـ انا حاسه بجد إني اتخنقت، الشط كله خرسانه، خرسانه... ايه ده.

... تخيلي المكان الوحيد اللي كنا بنستمتع فيه بالمشي يبقى كده.. !!

... انت مش معايا خالص، دعاء... دعاء...

وتهزها من ذراعها، على أنهما تمشيان معاً ـ متلاصقتان ـ تتأبط ذراعها، إلا أنها غابت عنها بجميع جوارحها، لم تسمع منها كلمةً واحده، بل غابت عن كل ما يحيط بها، إنما تمشيان في عِنَان واحد جسدين فقط، وقد أسْلمت دعاء نفسها لصديقتها، تتابعها إذاً انحرفت بها شرقاً أوغرباً كالمغيبة، إذِ انصرفت كل جوارحها إلى لقاءٍ مرتقبٍ تُؤمل فيه ـ على كثرة لقاءاتها ـ ما لم تجد قبل ذلك.

افاقت دعاء من شرودها، وقد استوقفتها سعاد تنظر في عينيها تراها كالمغيبة، وكأنما أنهت لتوها سيجارة ممتلئة بمخدر الحشيش..

ـ ايه... احنا وقفنا ليه ؟!!

ـ لاااااا... ولا حاجه، الحكايه كده ما تطمنش، اقعدي...

.... انت لسه هتنفخي، نطي واقعدي..

تتجاوران جلوساً على كورنيش البحر في منطقة المنشية بُعَيد نُصب الجندي المجهول بقليل في اتجاه محطة الرمل، يمر بهم بين الحين والآخر باعة جائلون، وقد عادت دعاء إلى وجومها السابق، تأخذها الأماني كل مأخذ...

ـ هوصحيح وسيم، وباين عليه محترم، وفعلاً ممكن يكون بدايه جديده ليكي.... انت سمعاني.

ـ ايوه سمعاكي..

ـ يبقي ما تسيبيش نفسك كده، فين شخصية دعاء.

ـ مش قولنا بداية جديده، وبعدين سيبيني اعيش اللحظه.. نفسي أجرب الإحساس اللي كتير سمعت عنه.

ـ قصدك زيي انا وكارم...

تعلووجه دعاء نظرة استغراب، ثم سخرية، غير أنها أمسكت عن إبدائها فيما أتمت سعاد في سعادة بالغه..

... لااااا... أنا وكارم حاله خاصه، حاله منفرده، حاله لا تخضع للقواعد أوالقوانين، حاجه كده.....

يقاطعها صوت رنين هاتفها، ترفع شاشته إلى دعاء..

... شوفي، مش بقولك.... ايه يا بني فينك.... بجد.... ok، هحضر الندوه، ونتقابل بعدها...

ـ هوكارم هنا..؟

فيما تقفز واقفة، تعيد الهاتف إلى جيب بنطالها الخلفي، تقول في سعادة بالغه :ـ ـ آه، لسه واصل من السفر... شوفي بقى، انا هروح الندوه، ونتقابل بكره تحكيلي عملتي ايه مع محمود....

وتجمع اطراف اصابعها لتطبع قبلة ترسلها إلى شفتي دعاء، فيما تتم.

.... باي...

تنطلق سعاد في خفة ونشاط يساعدها في ذلك جسدها النحيل، وإن لم يُلْحظ ذلك فيها، فهي تحسن اختيار ملابسها بما يتناسب وهذا القَـدّ، حيث البرمودا الجينز القصير يعلوه بادي عاري الكتفين ملتصق بالجسم، مبدياً جماله، وهذا الخصر النحيل المستدق، المنبسط في سلاسة بعد هذين النافرين وقد أعلنا لكل ذي عين عن وجودهما ـ على صغرهما ـ كحبتي رمان نَفَـرَ طرفاهما الزهريان، لِيتم تناسق الجسم في جملته؛ حيث تكتمل الصورة على أجمل ما تكون...

إنها تلك الفتاة المُفْعَمَة بالنشاط والحيوية المنطلقة دوماً، التي خرجت على كل القيود والأعراف ـ من وجهة نظرها ـ لتحيا حياة الذّات، حياة النفس، حياة المتعة.

تلك الحياة التي بانتهائها ينتهي كل شيء، ولا شيء بعدها، فهي في ذلك خليط بوهيمي،علماني، إلحادي، وقد اجتزأت من كل فكر ما يوافق هواها، فليست البوهيمية على حقيقتها وأصلها، تلك التي

لا يتقيد أهلها بأعراف، أوقيم، أوعادات المجتمع في جملته ـ على أن لهم عاداتهم وقوانينهم الخاصة ـ وقد حُرّف اللفظ، وحُرّف المعنى حتى صار يطلقه البعض على كل مخالف للأعراف، والتقاليد المجتمعية في أي مجالٍ كان، كالأدب، الفن، الموسيقي، وحتي السياسة...

فضربوا عُرض الحائط بما تعارف وتوافق عليه الناس، على انهم ما التزموا بقانون أوعُرْف إلا قانون واحد... أن لا قانون، فقط انطلقوا، يُتبع كل منهم نفسه هواها فيما تحب وتشتهي، ثم هويتشدق بتلك الكلمة... بوهيمي..

*وما كانت العلمانية في جملتها، أوعلى كُنْهها الذي نعرف، إذ هي في الواقع تعني فصل الحكومة ومؤسساتها السياسية فصلاً تاماً عن السلطة الدينية أوممثليها.

وبمعنى أعَمّ وأشمل، أن لا تخضع الدنيا في شيءٍ لأمر الدين، فيقضي السياسيون في دنياهم بعيداً عن الدين، ولا يُخْضعون قضيةً ما لرأي الدين أبداً، فقد جعل هؤلاء ـ المنتمون لهذا الفكر ـ الدين على حيادٍ من أمور حياتهم المختلفة..

ثم إنها تطورت، واسْتُحدث في شأنها ما اسْتُحدث، حتى صارت جزءً من التيار الإلحادي كما يعتقد الكثيرون، والذي اتخذه البعض ذريعة، ومَطِيّة تصل بهم إلى عدم إلزام أنفسهم بشيء، وأن تنطلق النفس في هواها تحيا، لا تلتزم بشيء البتّه، فيما يدعوه البعض، إلحاد علماني في حُلّةٍ بوهيمية..

وقد أخذت صاحبتنا من هذا كله ما يوافق هواها، ويصل بها إلى متعة النفس.... والجسد.. فهي ملحدة لا تقر بدين، علمانية ـ كما تظن ـ في حرية الفكر، بوهيمية ـ كما تعتقد ـ إذ تُتْبع نفسها هواها فتخرج عن المجتمع في تقاليده وأعرافه، وأصوله.

بعيداً عن التكاليف، والأوامر والنواهي...

بعيداً عن الأعراف والتقاليد، وما تصالح وتعارف عليه الناس، فالوسائل شتى، والطرق مختلفة على انها جميعاً تؤدي إلى غاية واحدةٍ... هَوَى النفس.

ولم يكن كارم ليعنيه شيء من ذلك كله، إلا شيء واحد...

فما قرض الشعر أبداً، وما استساغه، وما قرأ كتاباً أدبياً، وما أحب أن يفعل، إلا أنه التقاها في إحدى الندوات الأدبية، وما كان ارتياده لتلك الندوات عن حبٍ أورغبةٍ في التذوق والتعلم... لا..

إنما كان كالصياد يبحث عن فريسته ـ تحقيقاً لرغبته الجامحة في حبه للجسد ـ من خلال فكره المتحرر، والذي أيقن أنه لن يجد مَن توافقه فكراً إلا في مثل تلك الأماكن، إذ صارت من إكسسورات الصورة ليكتمل لدي البعض شكلهم الأدبي والثقافي...!!!

وكان أن صُدِمت للحظات يوم اكتشفت سعاد فيه ذلك، ولكنه لمّا وافق هذا الجموح طرَفاً من فكرها، وتمردها على العادات، والتقاليد، والدين بالجملة... وافقته..!

لم يتجاوز العدد خمسة عشر بحالٍ من الأحوال، فبدت القاعة على صغرها خاوية إلا من هذا العدد القلّيل منتشراً في المكان، وقد تقدمت سعاد إلى الصف الأول، ولم يكن ذلك من الصعوبة في شيء إذ تراجع عنه هؤلاء القِلّة، كما لو يهابون معلماً يطلق فيهم أسئلته.

تومئ له فيما تجلس، فيبتسم لها، وقد انزلقت نظارته العتيقة إلى مقدم أنفه يعيدها إلى مكانها، فيما استأثر الجالس عن يمينه بالميكروفون يحدث الحضور...

ـ وما كان ذلك إلا أن قصّر كلٌّ منا في أداء واجبه المنوط به، الأسرة، المدرسة، الجامعة، النادي، ويتخلل ذلك كله دور الدولة لتعيد للناس حِسَ الذوق العام وجماله، والبعد عن السفاسف، والتُرّهات..

والآن، وبعد أن استمعنا إلى شاعرنا الكبير الشاب، شكري صديق، نستمع إلى ابنٍ آخر من ابناء الاسكندرية البرَرَة، وشاعر من شعراء الفصحى الكبَّار، الذي جاء ليجدد ويعيد لنا الشعر في ثوبه الجميل البديع، ليذكرنا بالآباء الأوائل في هذا المضمار...

مع الشاعر عاطف رشدي.

يصفق الرجل يتبعه الحضور في غير نشاط، يباعد الواحد منهم بين كفّيه في عرضٍ بطيءٍ حتى يعود ويجمع بينهما عن صوتٍ ضعيف.

ـ تحدث الاستاذ وَالي عن سوء الذوق العام في مصرنا الحبيبة، ومدى رغبتنا جميعاً في العودة بالذوق العام إلى ما كان، ولن أعيد حديثه، فقد

أوْجز وأعْجز من بعده، وما نوّهت عن مقالته إلا لأني...

بحبك يا بلدي وحبك دا عاده

وكل اما تئسي بحبك زياده

بحبك يا أمي وحبك دا فرض

لا عمره كان تَغَنّي ولا عمره كان لقرض

***

بحبك يا بلدي برغم الحدود

ورغم المسافه ورغم السدود

بحبك وحبك تملي في قلبي

بلون المحبه ولون الورود

***

بحبك يا بلدي لأني أمير

بيعشق حبيبته في عيونها يطير

وبكتب اغاني اقولها لوحدي

اكتبها بدمي يقراها الضرير

***

بحبك يا أملي لأني خلاص

بلغت النهايه وما في مناص

حياتي رخيصه أبذلها فداكي

لا بطلب هديه ولا بطلب قصاص

ـ الله، الله، احسنت.

ويصفق وَالِي، يتبعه الحضور في شيء من النشاط، فيتم عاطف..

ـ قد يري البعض أنّا قد ولجنا مُعْترك السياسة بما نقول، أوانّا اتخذنا مَنْحَىً سياسياً أوفكرياً بعينه ندفع عنه، نوالي ونعادي فيه، أمَا والله أنْ لا.... فإني أزعم أوأكاد أجْزِم وأوقن أنها ـ أي القصيدة ـ اجتماعية بحته، فما كانت حياة الناس بمَعْزِلٍ عن السياسة يوماً، فإذا دعوْتُ أحدَهم يوماً

أن..... اســـــتـــــــــــــــقم...

هذي حصونك قد أقمْت وإنها..... مثل الهباء إلى الرّدى منثور

أتُراك بعد الحصن صِرت مؤّمناً.... والموت عنك مكبّلاً مقهور

خدعوك قولاً فالحقيقة مُرّة...... وستشرب الكأس القديم بحور

وستلق ربك مفردا في وقفةٍ..... حيث الحساب صحائف منشور

وانطلق الشاعر يُدوي صوته في القاعة، بأبياتٍ هي أقرب إلى الموسيقى، يطْرب لها الحَضور، يتمايلون برؤوسهم، يستزيدوه فيعيد بيتاً

بعد الآخر حتى أتم قصيدته.

يدوي التصفيق في القاعة حتى لكأنها ممتلئةٌ عن آخرها، يسحب مقدم الندوة الميكروفون من أمام عاطف...

ـ هكذا يكون الشِعر، هكذا يكون الفكر، ولا تقولوا أنه تحدث في السياسة، إنما كان حديثه ونقده رغبةً منه في أن نصل بمصرنا إلى حيث يتمنى كل مصري، نعم، هكذا يكون الشعر، وهكذا يكون الختام لليلةٍ شعرية جميلة، وباسمي واسمكم أتقدم للشاعرين الكبيرين الشابين بأسمى آيات الشكر، آملاً أن تتكرر الليلة بليالٍ عِدّه...

كم من قصيدةٍ ـ من أبياتٍ تُعَد ـ أبلغ وأقوي أثراً من كُتبٍ عِدّه...!!!

كلماتٌ قليلة مباشرة تحكي واقعاً، تقول ما لا تستطع الأفواه المُكمّمَة البكماء ـ على طلاقتها ـ أن تقول.

ـ جميل قوي يا عاطف، لكن....

مع ابتسامة صافية، يرفع حاجبيه، فتسرع حبات العرق تقفز عن تعرجات جبينه، ومن ثم النظارة إلى مقدم أنفه فيعيدها، فيما يقول :

ـ وما لكن هذه...؟

ـ كلام صعب، ممكن اي حد من اللي في القاعة....

ـ يُبْلغ عني.

ـ ممكن... ممكن يقولوانك بتتكلم عن الحاكم، وانك بتدعولـ.....

يقاطعها من جديد، في قوة وحزم، يرفع سبابته في وجهها

ـ أنا لا أدعوإلى شيء، ولا يعنيني منِ يحكم هذا البلد، غير أنه يعنيني أثره وما خَلّف وراءه، إذ يعود ذلك عليَّ وعليكِ...على مصر كلها.

ـ لكن مش شايف ان الكلمات قاسيه شويه ؟

يرفع حاجبيه لتنزلق النظارة من جديد إلى مقدم أنفه، فتبدوعيناه من أعلاها، يرفع سبابته إليها يعيدها إلى مكانها، فيما تتم سعاد..

.... القصيده، استقم.

ـ كذِّبي كلمة منها..

ـ انا مش بقول انها مخالفه للواقع، أوانها كدب، لأ، بقول انها قاسيه شويه، مباشره بوضوح..

ـ بل هي بقيّة من عقل في زمن اللا عقل، وهكذا يكون الدواء، وبداية الشفاء من معرفة المرض ومواجهته، وما أنا في ذلك إلا طبيب يصف المرض...

لحظات من الصمت كما لوتذكرا شيئاً ما، ثم ابتسامة تلاها ضحك هستيري ألجأ كلا منهما إلى أقرب المقاعد إليه، فجلس...

***

رجال الأعمال، أورجال المال ـ في كثير منهم ـ الذين لا يكتفون بأعمالهم الشرعية تلك التي تُدِرّ عليهم الكثير والكثير، فجعلوها غطاءً

يغلفون به حقيقة أعمالهم، وقد اعتادوا ذلك مهما كَثُرت أموالهم، أوربت تجارتهم حتى صار الأمر دَيْدنَهم...

خمسيني، على مشارف العقد السابع من العمر، متأنق في بدلة من طراز " بروكس براذرز " يجلس خلف مكتب فخم، يلمع في خنصر يسراه خاتم من الذهب، فيما يبرز من بين أصَّابع يمناه سيجاراً كوبياً ضخماً يرفعه بين الحين والآخر إلى فمه؛ لتتقد مقدمته إثر شهيق طويل حيث يمتلئ جوفه بالدخان، ثم سرعان ما ينفثه مُعَبّقاً المكاَن بهذه الرائحة الأصيلة للسيجار العتيق، وبضربة خفيفة من ظفر إبهام اليمنى على مؤخر السيجار ليترك شيئاً من رماده في الطفاية.

يسعل زكريا الواقف أمام المكتب مُحْدَوْدب الجسم، مطأطئ الرأس قليلاً، منكمش في ذاته، وقد ألْصق يسراه ـ حاملة ملفاً كرتونياً ـ بصدره كما لويدفعه لأعلى أن لا ينحني أكثر..

ـ كله تمام سعاتك يا باشا.. الحاويات اتعتقت.

ـ والحاجَه...؟

ـ ما تقلقش سعاتك، في مكانها، زي كل مرّه...

ـ ها.... الرقم لسه غير متاح..

ـ أكتر من عشر مرات سعاتك، أرن وهوغير متاح..

يزم الباشا شفتيه مع صوتٍ مكتوم، فأتم زكريا.

ـ ما تقلقش سعاتك، انا هتصرف..

*زكريا : ذاك الإنسان الروبوت، الذكي مُدعي الغباء، اللا شيء في ظن الكثيرين، وكل شيء على الحقيقة، الذي تتجمع بين أصابعه خيوط اللعبة كلها، وأسرارها، وخباياها، حتى صار رغم ضِعَته وهوانه على الكثيرين، عاملاً مشتركاً لا يمكن الاستغناء عنه إلاَ حال موته، نعم موته، فمثله كخزينة أسرار لا يمكن ان تُقيله كغيره وتغسل يديك منه، لا.... فجعبته الملآنة تستطِّيع أن تهدم امبراطوريات رأسمالية كبرى، أنفق أصحابها في إنشائها أعواماً طويله، فقام على أساسها هذا غطاءٌ سياسي يكْفل الحصانة والأمان لهم...

ذاك هوزكريا الصندوق الأسود لهذا الرأسمالي وأعماله المشروعة وغيرها، زكريا الذي أتي إلى الدنيا وحيداً وسيخرج منها ما خَلّف وراءه ابناً ولا بنتاً إلا.... عاقراً في مثل نحافته، مُعْتَلّة بالسكر والضغط، وقد أعيا أمّه زمناً ـ قبل وفاتها ـ في زواجه بأخرى، لكنه كان يتعلل بأنه لا يملك ما يُخَلّفه لهذا الابن الذي ترجون، ثم انها ابنة عمه ورفيقة الصبا، فكيف له أن يفعل ؟! وما كان هذا السبب رأفة ورحمةً بها، أوحفظاً لعهد سبق وقطعه، إذ هوسبب يتعلل به؛ لضيق ذات اليد، فلمّا رحلت أمّه، وعاد الأمر يطرق باله، ويؤرق فكره بعدما أثْرَى، كانت سنوات العمر قد تَفَلّتت من بين أصابعه.

فمن يُزَوج مثله ؟ إلا ثيّباً عن زوج فارق أومات، أوآيسة من زواج حتى ذهب قطار عمرها بخير سنواته، وفي كلٍ سيكون مطْمعاً، ولم يبق

في العمر مثل ما مضى، ولا نَصِيفه، فلمن سيترك ذاك الصبي الذي أمّل طيلة عمره ؟ حتى انّه فزع يوماً في ليلةٍ عن كابوس بدأ كحلم جميل، حيث زوجةٍ شابةٍ وابناً يَرْفُل في ذيلها، وسرعان مّا تحول إلى كابوسً بعد موته،وبحثها عن فتى يُدللها وتلاعبه، يستمتعان بما خلّف من مالً، فآثر السلامة وقنع بما حَصّل في أمر زواجه، إلا أنه ومع هذا ما انفكّ يجمع المال من كل وجوهه حِله وحرامه يكدسه في حسابه البنكي..

ـ أوامر تانيه معالي الباشا..

يشير إليه بأصابعه التي تحمل السيجار، أن غادر، يتحرك زكريا خطيات إلى الخلف بظهره، ثم يستدير مغادراً..

من جديد بظهر إبهامه يضرب مؤخر السيجار ليترك شيئاً من رماده في الطفاية قبل أن يعمد إلى هاتفه...

ـ سيادة اللواء.... تحياتي يا افندم..... أكيد طبعاً هنتقابل...... ها ها ها ها....... خلاص يا باشا الليله الجايه........ ok.....على فكره البضاعه بتاعتنا هتدخل المينا الليله..... تمام يا باشا، أنا عارف، ما تشغلش بالك انت بالجماعه..... انا هكلمهم، مع السلامه، مع السلامه.

***

عندما يُسيطر ذاك القاتل الصامت ـ الحب،الهوي، الغرام، الهُيام، الولع، الوجْد، الوَلَه، الصبابة، العشق، الجوى، الشغف، الكَلَف

ـ بأسمائه المختلفة أومراحله المتتابعة، على جسد المرء، لا على قلبه وحسب، بلِ كامل جسده وجوارحه، وعمدتها القلب، والعقل، يصير المرء منجذباً بِكُلِّيته إلى ذلك المحبوب، وقد..... بل لا يرى ما يرى الناس فيه من مثالب، وعوارض تعرض لسائر البشر....

إذ يرفعه إلى مرتبةٍ أعلى وأسمى.. وهذا الحب صنيعه.

يقف أمام الكافيه يُقَلِّب عينيه في وجوه الجالسين، ثم يدفع الباب، لتتحركا عيناه مرّة أخرى تجوبان المكان تدورا في مِحْجرَيْهما، كالمغشي عليه، أوكالذي يبحث عن مُخَلِّصه أومُعْتِقَه حال يجده، يستوقف سمير المتحرك في الكافيه في خفةٍ ونشاط..

ـ سمير...

ـ هندسه.... مساء الفل، اتفضل ترابيزة فاضيه..

محاولا أن يقوده إلى ترابيزة في جانبٍ من الكافيه.

ـ لا، لا... هي الآنسة دعاء ما جاتش..

يرفع سمير عينيه إلى سماء الكافيه محاولا استرجاع شريط يومه، ثم يومئ برأسه..

ـ الليله لأ... عن إذن حضرتك..

يُخرج هاتفه ينظر إلى ساعته إنها تقارب التاسعة، تُرى ما الذي أخرها، أم.... ما هذه الخواطر التي تقتل القلب، ستأتي ولا ريب، فقد

وعدت..

يمر به سمير بعد أن لَبّى طلب أحد الزبائن.

ـ لسه بدري يا بشمهندس..

ـ ها... آه، فعلاً.

يتحرك محمود صوب ترابيزة خاليه يتبعه سمير،

ـ أجيب لحضرتك حاجه..؟

ـ لا، لا.... هنتظر شويه..

ـ ok، عن إذن حضرتك...

يخرج هاتفه المحمول من جديد، وقد أعلنت ساعته تمام التاسعة، يضع الهاتف أمامه على الترابيزة، وقد ألقى بناظريه إلى باب الكافيه ينظر كل قادم، يضيء شاشة الهاتف من جديد، خمس دقائق مضت، إنها التاسعة وخمس دقائق، يا للحب.... أصابته تباريح الهوى، وتملك الجوى من قلبه، وعصف حبها بشغاف قلبه، وكَلَف بها أيّما كَلَف، ثم إنه تملكه الحزن فبدا على ملامحه، يعتصر قلبه ألَمًا، وضاق صدره، كأنما غابت نسمة الهواء التي تحييه... لَوّعَه الحب على غير توقع منه.

رن جرس هاتفه، فأسرعت يده إليه، وقد زاد منه حزنه وحسرته، إذ تذكر ساعتها وساعتها فقط، أنه ما حصل منها على رقم هاتفها.

يحدث نفسه :ـ مش وقتك يا اسماعيل...

يهز محمود الهاتف، ثم يعيده إلى مكانه صامتاً إلا من ضوء الشاشة حيث تتراقص علامة الاتصال الخضراء يعلوها اسماعيل الصعيدي،ثم سرعان ما هدأ، ليعود الهاتف من جديد يدوي صوت رنينه، يظهر في أعلى الشاشة اسم المتصل ـ اسماعيل الصعيدي ـ رنين متواصل، وكأنها أجراس الكنائس مجتمعة تُدوي في رأسه، ما بالك يا اسماعيل، ألا تيأس... ؟!! يهز الهاتف من جديد، يضعه أمامه، فيما يتراقص اسماعيل الصعيدي أمام عينيه، حتى سكت فاختفى مع ظلام الشاشة..

يضع محمود يده في جيب بنطاله يبحث عن شيء، ولكن، عن ماذا يبحث...؟! إنه حتى لا يعرف، فقط يضع يده في جيبه، يبحث.... تخرج يده بمفاتيح ينظر إليها، ثم يضعها أمامه بجوار الهاتف، يعيد الكَرّة من جديد واضعاً يده في جيبه الآخر، لتخرج بلا شيء، ثم يعتدل جالساً بعد أن وضع كلتا يديه على بنطاله من الخلف ليتأكد من لا شيء...

تمكن الغضب منه، وأسبغت عليه الحَيْرة بجناحيها، فجعل لا يستقر على حالٍ، أوجِلْسة، ولسان حاله يقول يُسائل نفسه : تُرى ؟ وماذا ؟

ولما ؟ هل... هل أصابها مكروه، أم... أم، تُرى أين هي الآن ؟ وماذا تفعل..؟ ولما واعدتني إن لم تنْوالحضور..؟!...

آه، يا للغباء، كيف غاب عني، لِمَا لم أطلبه منها ؟؟ !! كيف لي بها الآن إن لم تهاتفني ؟ كيف....؟

يقطع هذا الحوار مع النفس، ظل لرجلٍ يقف بجواره، يرفع عينيه إليه..

ـ أجيبلك حاجه يا بشمهندس...

ـ أنا مش قولت شويه يا بني آدم..

في صوْت مرتفع جذب إليه أنظار المتواجدين..

ـ آسف يا افندم، عن إذنك..

يتحرك سمير وقد أُسْقط في يده، إذ ما اعتاد من محمود تلك النبرة، ولا هذا الاسلوب، يناديه بعد خُطيات خطاها..

ـ سمير.... قهوه...

يومئ سمير ويذهب، فيما عاد محمود بظهره إلى مقعده، وقد التقت عنده أعين الحاضرين، يتم حواره مع نفسه التي فاجأته : ماذا حدث لك، ألِهذا الحد..؟؟!!..

ويعود برأسه بين كفيه يُمْسك على ما بها من زخم، يعتصرها بين يديه أن تهدأ، وقد اتكأ بمرفقيه على الترابيزة، عَلّه يخُلص بنفسه من هذا المعترك الذي تضطرب به نفسه..

ما هذا ؟! عبيرها ولا ريب.. نعم، هوذات العطر الذي تضعه، يرفع رأسه، فإذا هي مُقْبلة نحوه، تحمل حقيبتها التي تماثل لون الحذاء، فيما يلتصق البنطال الجينز بقدميها، يعلوه جاكت من نفس اللون، يتطاير خلفها ذلك الوهج الأحمر، كما لوأُرْسلت إليها نسمة صيفية خُصّت بها في هذا المكان المغلق على من فيه..

تقترب منه يفوح عطرها في المكان، فيغمض عينيه، ويأخذ شهيقاً طويلاً يملأ رئتيه برائحتها مردداً : ـ دعاء..

أفاق محمود من شروده، أوحلمه الذي أتقن صناعته، على أثر صوت الفنجان يوضع أمامه على الترابيزة، فيرفع رأسه من جديد عن كفيه ينظر إلى الباب باحثاً عن ظِلها.

ـ القهوه يا بشمهندس، أوامر تانيه..

لم تتحركا عيناه عن الباب، وكأنه أصمّ لم يسمع سمير، تحين منه التفاتة إلى فنجان القهوة أمامه، ثم إلى سمير الذي غادره إلى آخرين، ليعود إلى هاتفه من جديد يضيء شاشته لتعلن ساعته التاسعة وخمس وخمسون دقيقه، إذاً هي لن تأتي...

اختلطت مشاعره،وتداخلت، فلا يعرف هل ألَمّ به العشق ومن ثم ينفطر قلبه، أم هل ألمّ به الغضب واحترق صدره حزنا وهمّا.؟هل سيطر عليه الحزن والغضب لهذا الذي ظن أنه ما إن وجده حتى ضاع.؟ أم سيطر عليه الحب والشوق فامتلأ حزناً وغضباً لهذا القلب الذي ألقاه بين يديها

أمِنْ لقاءٍ واحد ؟!!

أمِنْ حديثٍ واحد..؟!! أمِنْ ليلة واحدةٍ التقاها فيها..؟!!

غير أنه ذهب إلى بيته في ليلته تلك، فنام قرير العين، هادئ النفس كما لم ينم من قبل..

يعود بعينيه إلى هذا الصامت أمامه، لا تعلن شاشته عن شيء إلا عن سبعٍ من المكالمات الفائتة لأصدقائه الثلاثة..

هل يذهب إليهم ليُكمل ليلته معهم...؟ أبهذا الوجه ؟ بهذا الوجوم؟

لصار مضغة أفواههم، ولتندروا به ليلتهم، والليلة التي تليها إلى أن يجدوا ما يلهيهم عنه... لا.. بل إلى البحر.. الشاطئ... الماء.

يشكوإليه، يدفع إليه بما في نفسه، يغسل به ما أَلَمّ بهذه النفس من أَلَمِ الشوق، ونار البعد...

ألا يا أيها البحر.. هل يغوص صاحب الهَمّ في قلبك ليغسل ما أَلَمّ بقلبه ؟!!

أم يغتسل بمائك على شاطئك ؟

أم يكْفه حِفْناتٌ من هذا الماء المالح، تضرب هذا الوجه الكالح؛ لتعيد إليه نضارته... وتعيد إليه الحياة...؟؟

أم هي خطوات يمشيها على شاطئك، يسمع صوتك، يملأ صدره بنسيمك .

ألا أيها البحر... قد عهد إليك الكثير من البشر بأسرارهم، ألا فاحفظ عني، فإني لا أفضي به لغيرك، ولا يحفظني فيه غيرك...

يمشي على شاطيء البحر لا يعرف ما أَلَمّ به، خُطَيّات يمشيها، ثم يقف يواجه البحر، وكأنما يُسِرّ إليه، ثم يكمل في خطياتٍ أخرى، لا

يلبث أن يعود إلى البحر من جديد، ولسان حاله يقول :ـ ما لي والهوي، كُنّ امامي كثيرات، يتوددن إلَيّ، تتمنى الواحدة منهن لوأعيرها اهتماماً، أويُلْقي على مسامعها ما تطرب له وجميع النساء ـ وإن تمنّعن ـ من كلمات الثناء والمديح، لهذا الوجه، وذاك القد، ما يصل بها وبه إلى كلمات العشق والهوى..

كُنّ امامه، والحديقة ملأى بالأزهار، على اختلاف اشكالهن وألوانهن، وعبيرهن، غير أنه سقط في براثن زهرةٍ واحدة، جذبه عبيرها، وجمالها، وحيويتها إذ يتلاعب النسيم بعودها.

رفع يده يشير إليها، وفغر فمه يناديها، إلا أنه توقف فجأة، وألْجَمه الصمت، لا يعرف هل لابتعاد السيارة عنه، أم لأنه يشك إن كانت هي أم لا..؟؟ أم تُراها أحلام اليقظة عادت تراوده من جديد..؟

تُرى ما الذي ألّف بينكما لتنعما بهذه السعادة، وهذه الصغيرة بينكما تَتم بها هذه السعادة الغامرة، يمرون أمامه يحمل الأب صغيرته بين يديه، فيما تأبطت أمها ذراعه، وقد تهللت أساريرها، وغمرتها السعادة، فبدت ورفيقها كبطلي قصةٍ وقد جمع بينهما القدر في نهايتها، فأنعم عليهما بهذا الملاك الصغير لتتم به السعادة وتكتمل.

تعلوضحكاتها يؤاكلها والدها أيس كريم، يمد يده إلى فمها حتى إذا أحست برودته، وأيقنته في فمها أخذها إلى فمه فضحكت، وضحكا لها.

ازداد محمود حزناً، وأيقن أنه إنما أضاع سنوات عمره بلا هدف، بلا

غايةٍ يسعى إليها، فقط تفلّتت من بين يديه، يتنقل بين أزهار الحديقة يرْشف ـ ما لا يملك ـ من عبيرهن، وها هوالآن وحيداً، وكأنما خلت الحدائق من أزهارها، أولكأنها جفّت الأزهار..

لم يهتم يوماً لتلك الوحْدة التي يعيشها، والتي غمره الشعور بها في ليلته تلك، تُري ما الفارَق ؟ ما الفارق الذي حدث ليهبط عليه طائر الوحدة بجناحيه مُغَلَّفاً بالحزن والأسى ؟ قد والله اقتصّت لزهرات الحديقة اللاتي تلاعب بهن..

هل أضاع عنوانه...؟!!

يعالج الباب بالمفتاح مرات ومرات، لكنه المفتاح ذاته، والباب نفسه.

الشقة تبدومختلفة، ليست ككل ليلة، هل هذا هوالمكان الذي يبيت فيه كل ليلة ؟! ما هذه البرودة.. أثلاجة موتى هذه..؟! كيف تأتّى له النوم في مثل هذا المكان طيلة تلك السنوات ؟ لتكوننّ ليلة ليلاء...

يخلع حذائه كعادته عند دخوله الشقة غير أنه لا يعبأ به، إذ ما عَمَد به إلى مكانه المعتاد، وفي بطء يلقي بنفسه على الأريكة ذاتها، يعود برأسه إلى الخلف، رافعاً قدميه على الترابيزة أمامه، يعيد التفكير في يومه، وما حدث فيه، وتراخى جفناه، وثقلا، يحاول جاهداً رفعهما لأعلى إلا أنهما تثاقلا عليه كجبلين عظيمين، وأظلم المكان....

***

استوقفها صوته يناديها باسمها مُجَرّداً، وقلّ أن يفعل، حتى ظنته نَسِيَ

اسمها، إنما دأْبُه في حديثه معها أن يكون مباشراً، لا يحتاج إلى اسمها في شيءٍ، إنما هي أوامر ونواهٍ، وليس في حاجةٍ أن يُعَيّنها باسمها، فليس ثمّة غيرها.

رفعت رأسها لأعلى، تأخذ شهيقاً طويلاً، تنظر إلى يدها اليمنى على مِقْبض الباب، فيما تحمل كتابها ـ على صدرها ـ يدها الأخرى، ثم تستدير إليه، تنفث نيران صدرها.

ـ خير.

ـ دايماً ما بيجيش من ورايا غيره، لكن انتي بقى... على فين كده ؟

ـ مش عوايدك يعني تصحى بدري..؟!

ـ حظك الاسود بقي،وبعدين ما تلفيش وتدوري على سالم، رايحه فين ؟

تنظر إلى امها القابعة في ركن تتابع في صمتٍ، وكأنما بتلك النظرات ترجوها الزود عنها، أومساعدتها، فإن لم يكن فمشاركة الحديث.

ـ يا ابني خِف عنها شويه، مش كل يوم كده ؟ وبعدين معاها كتابها هتروح فين يعني ؟

ـ ايه، هتذاكر... مش مستاهله، هوحِتّة دبلوم، وكمان دور تاني ؟

ـ اما يكون معايا دبلوم أحسن ما اكون جاهله

ـ قصدك ايه يا بت..؟

وفي خطوة واحدة كان أمامها، لا يفصل بينه وبينها شيء، يجذب منها الكتاب يمزقه نصفين، ويلقي به على الأرض.

ـ آدي الدبلوم بتاعك.

ويجذبها من ياقة قميصها إليه، ليطير زرّ القميص العلوي، وقد بدا مفرقٌ لنافرين اجتهدت أن تُخفيه، تتحركَ إَليه بقبضتها، لتقوم مقام الزرّ، تنهمر دموعها من عينين تدوران في مِحْجَرَيْهما فَرَقاً، ورُعْباً، تتوسلانه أَن كُفّ، كأنها طفلة دون السادسة، بين يدي أَبيها يؤدبها.

على أنّه سيطر عليه شيطانه، وانصاع لوسْوَسته، إلا أنّ بارقةً من رقّة أحيتها دموعها المنهمرة ـ أربكته ـ فلم يجد شيئاً يُنْهي به هذا الأمر إَلاّ صفعةً على عارضها أسقطتها أرضاً قبل أن يَهْرب من عينيها..

الفقر والجهل، إذا اقترنا خرج من الإنسان أسوأ ما فيه..

تعتدل جالسةً على الأرض، وتتكئ على كفيها، تسحب جسدها إلى الخلف، لتعود بظهرها إلى الحائط، حيث تتتابع دموعها في صمتٍ، تغسل عارضها الذي ارتسمت آثار أصابعه عليه، ترمق أمّها في صمتٍ، تعلوقسمات وجهها نظرة حادة ملؤها الازدراء، فيما تقترب منها أمّها تمتد يدها إليها ماسحةً من دموعها.

ـ ما علش يا بنتي مش قادره عليه.

تدفع سلمى يد أمّها ببطء، فيما تُنَحي وجهها عنها، ولسان حالها يقول :ـ أن كُفِّي، فما يجدي ماً تفعلين ؟

تقف عنها أمها يعلونحيبها، يوافق دموعها المنسابة، فيما سلمى على حالتها، وقد جَمُدت في مكانها، لا يتحرك منها إلا صدرها النافر يعلوويهبط، فيما تحجرت الدموع في عينيها، تعض على أضراسها.

قد تفرض عليك ظروفك المعيشية، أوالبيئية أشياء لوأنك في بيئةٍ غير البيئة لازدريت فاعلها، ولأطلقت لسانك فيه تعيبه خُلُقاً.

صورة مثالية للفقر والجهل يُغلفها عقوقٌ وجحود.

أسرة من ستة أفراد فقدت عائلها موتاً في بداياتها، ومن ثَمّ ابنتها عقوقاً، وها هي الأسرة المفككة ـ فقراً وجهلاً وعقوقاً ـ لا حيلة لأمها في شيءٍ، إذ لا تملك من أمر نفسها أوأسرتها من شيء، ضعفاً ومرضاً وجهلاً، وفوق ذلك كله فقراً، فهي لا تعول أسرتها، إذ للمال قوة وسطوة، وأمراً نافذاً فيمن يَحُفّهم بظلاله.

تَمَلْمَلت الأم في جانب من البيت، يعتصر الألم قلبها، والحزن جسدها، حتى أوْهَنا ذلك الجسد، فكانا أقدر عليها من سنوات العمر التي قضتها في جنبات هذا البيت المتهالك مُذ أُنْشيء.

تجمعت عند سلمى أسباب عِدّه كي تحذوحذوسابقتها، فتمشي على خطاها، حيث الحُلم الذي طالَما أمّلت وتمنت، حتى تخرج من هذا البيت، وقد عقدت العزم..

تلمح بعينيها ذاك الزرّ يلمع بجوار الكرسي، فتميل إليه تضعه في كفها تنظر إليه، ثم تجمعَ أصابعها تعتصره، لتعود وتلقيه أرضاً، فيما

تتجه إلى غرفتها، تدوس بقدمها على كتابها، أوما تبقى منه.

ـ ما كانت سلمى إلا ضحيّة من ضحايا البيئة التي تعيش فيها، وما أكثرهن من ضحايا قد أُبْتلي المجتمع بهن وبهم.

تقف أمام المرآة، وقد بدت أثار أصابعه على عارضها واضحةً، تتحسسها بأصابعها، تعض على أضراسها في غضب، ثم تهبط بيديها إلى قميصها تفك أزراره؛ لتسحبه من الجيبة، وتقوم بخلعه وإلقائه على الأرض، تقف أمام المرآة في قميصها الاسود الذي يُبدي بياض بشرتها، وقد احتضنت أصابعها خصرها في تَحَدٍّ بالغ..

من الجهل أن يُعجب المرء بعمله مهما كان، والأجهل منه هوأن تُعجب وتتباهى بما لا فضل لك فيه، فما الجسد جميلاً كان أوقبيحاً من فضل صاحبه أومن ذنبه في شيء، فكلاهما فتنةٌ واختبار، فإما أن تحمد الله وتشكر عظيم فضله فيزيدك، أوتصبر وتحمده على ما كان ـ أنّه لم يكن بدايةً في دينك، ثم إنّه لم يكن أكبر مما كان، فمناط الأمر بيدك وعاقبته من سابق فعلك، ومَرَدّه إليك..

تتحرر يدها من خصرها إلى جيب جيبتها حيث هاتفها.

ـ ألو.... إنت فين...... وهو..... أكيد طبعاً، ما انتومالكوش غيرها، سبعه بالظبط هستنى تليفونك، تشوفلي السكه...... آه خارجه بالليل.... ما انت بتاخد حسابك اول بأول.

ثم في ضحكة ماجنةً مصطنعة ترسل إليه من خلالها ما تأسره به، وتتم.

يبقى بقيت حسابك تاخده الليله الجايه، هتبقى ليلتك لوز.

وتعود إليه بذات الضحكة المصطنعة تختم بها حديثها معه، قبل أن تختفي هذه البسمة المزيفة ليحل محلها حزمٌ وجديّةٌ، فيما تنقر بأصابعها فوق شاشة هاتفها الصغير.

ـ الو.......المكان اللي قولت عليه، جاهز..... تمام..... لسه مش أكيد.... هكلمك وانا خارجه.

تغلق الهاتف وتلقيه على السرير، وتعود إلى مرآتها..

***

استيقظ بجوارها في السرير نصف عارٍ، صدره المرتفع، وعضلات بطنه المقسمة الواضحة، ذراعين قويين، جسد رياضي لم يقصر صاحبه في الحفاظ عليه وتدريبه، فيما تغط هي في النوم، يدنومنها ـ عصفورة بين يديه ـ يُنَحّي خصلات الشعر المتناثرة على وجهها؛ ليطبع قُبلةً على خدها قبل أن يسحب ذراعه من أسفل رأسها مُعْتدلاً في السرير :ـ

ـ ايه... بقالك اسبوع ما نمتيش...!!

يميل إلى الكوميدينوبجوار السرير يلتقط سيجارة يشعلها، ويستدير ناحيتها ينفث دخانها فوق رأسها، ثم يتحول إلى كرسي بجوار السرير يجلس عليه مادّاً قدميه على السرير، يتابعها بعينيه تتقلب في السرير،

تُغَمْغم في صوتٍ غير مفهوم لا يخلومن شعور بالمتعة، يرفع حاجبيه مستفسراً، وقد مال برأسه ناحيتها محاولةً منه للفهم.

على انها لم ترى منه ذلك إلا أنها أتمت بوضوح، فيما تتقلب في سريرها:ـ أكتر من اسبوع... ولا نسيت آخر مره كنا فيها مع بعض.

يرفع رأسه لأعلى، رافعاً حاجبه الأيسر محاولاً التذكر، ثم ينفث دخانه في سقف الغرفة، يهز رأسه نفياً.

ما كانت بالنسبة له إلا وعاءً يقضي فيه برغبته ـ كما لم يكن هوإلا مثل ذلك، بلا قيود أوارتباط أحدٍ بصاحبه، كل يقضي حاجته فتهدأ النفس وتَقَرّ، ويعود الجسم إلى نشاطه وحيويته، وهكذا كانت حياتهما، وقناعتهما... أن لا قيود.

ـ عملت كام علاقه في السفريه دي.؟

ـ وليه الإحراج دا بس ؟.... ما احنا متفقين.

ـ مجرد فضول... تعرف ان رغم الاتفاق اللي بتقول عليه ده، إلا إني ألْزمْت نفسي ما اعددش علاقاتي.

ـ دا حبٌّ بقى.

ـ ما اظنش... ممكن تقول اني ما احبش أعُك، أو....أوعلى رأي الشاعر، بقيةُ من عقل في زمن اللا عقل.

يقوم متجهاً إلى الحمام، بعد أن وضع عقب السيجارة في مثواها

الأخير فيما يقول :ـ ما تقعديش مع الناس دي كتير..

ترفع صوتها ليصله بعد ان اختفى داخل الحمام.

ـ ما تنساش انك عرفتني في وسط الناس دي.

وينخفض صوتها كما لو تُحَدث نفسها، تستذكر معها ما كان بينهما.

... سَحَرْتني وانت بتكلمني عن الفن والأدب، وسَحَرْتني أكتر بتحررك وثورتك على القيود... وتبتسم ثم تضحك على استحياء، ثم تكمل..

... بعد كده اتضح لي ان دي ادوات الصياد الماهر، وانك ما لكش في أي من الفنون دي.... آه، لكنك استاذ في فن تاني.

وهي تمرر أصابعها على شفتيها، ثم نزولاً إلى رقبتها، وقد أغمضت عينيها، فيما تستمر اصابعها هبوطاً، تناديه.

ـ كارم، تعالى...

توقفت يدها فجأة، وفتحت عينيها، وكأنما عادت إليها ذاكرتها.

ـ دعاء...

تميل على جانبها، تمتد يدها إلى الكوميدينوبجانب السرير، حيث هاتفها المحمول.

ـ غريبه... مغلق أوغير متاح.

تتكئ على يديها وتسحب جسدها للخلف، واضعةً وسادة خلف

ظهرها؛ لتعود إليها برأسها، وفي جِدٍ تعيد الإتصال.

ـ ايه الحكايه..؟!

يخرج كارم من الحمام، يحيط رقبته بالمنشفة، وقد دسّ وجهه فيها.

ـ تعرفي..." يخرج وجهه من بين طرفي المنشفة ينظر إليها "

.. لايق عليكي القميص بتاعي.

تحني رأسها تنظر إلى القمص المفتوح إلا من زرٍّ واحدٍ جمع طرفي القميص أعلى السُرّة.

ـ طبعاً، انا بيليق عليه أي حاجه.

ـ أكيد طبعاً، كنتي بترني على مين ؟

ـ دعاء، مش متعوده منها تقفل تليفونها.

يلقي المنشفة على السرير، ويتجه إلى الدولاب، ينظر بتمعن إلى القمصان المعلقة يختار بينها، وسرعان ما جذب أحدهم، يلقي بشماعته في أرضية الدولاب، يقول فيما يرتديه :

ـ عادي، تلاقيها مع زبون.

ـ لا، دي وعدتني خلاص، وبعدين كانت هتقابل واحد.....

ـ زبون يعني.

ـ لأ، ده مختلف.... وبعدين، وبعدين انت بتلبس رايح فين.؟!

فيما يُدخل زرّ بنطاله الجينز في عروته، بعد أن دَسّ طرفي القميص فيه.

ـ عندي meeting مهم، business.

ـ تعرف إنك بايخ.

يقترب منها ودون أن يتحدث يميل بشفتيه إلى خدها بجانب فمها، ويطبع قبلة طويلة، ثم يتحرك بشفتيه قليلاً لتغيب معه عن عالمها إلى عالمها، أغمضت عينيها، وتراخا ذراعاها، وسقط الهاتف من يدها، فيما عَلَتْ يُسراه عارضها الأيمن في رِفْق، ومن ثمّ تحركت أصابعه إلى شعرها، فيما تضغط يمناه على ذلك الخَصر في نعومةٍ أفقدتها السيطرة على نفسها، وأنْستها كل شيء.

تفارق شفتاه شفتيها في بطءٍ عن صَوْتٍ مسموع، يحرك أصابعه على شفتيها الحمراوتين، وقد توردتا وجنتاها، يدنومن أذنها يهمس.

ـ هكلمك فون.

لم تشعر بنفسها، وكأنها مُغَيّبة عما حولها، أولكأنه ألقى بها في جُبّ النشوة، والرغبة، وتركها تتقلب على جمر الشوق، لم تُفِق من حلمها إلا على صوت غلقه لباب الشقة.

إنزلقت في السرير تعلوها ملاءةً خفيفة وقد أرسلت يديها بين ساقيها وانكمشت كجنين في رحم أمّه.

***

ـ مالَك.. شكلك مش طبيعي.؟

لم يُحرك محمود ساكناً ينظر إلى هاتفه الصامت بين يديه، فيما دَسّ كل من يونس وعامر وجْهَه في الورق أمامه على المكتب، ما زاد من تساؤل اسماعيل.

ـ ايه يا ولدي... وبعدين طول الليل مستنيين جنابك، كُنت فين ؟

باين الموضوع كَبير قوي.

تتكدس الأوراق أمام محمود، لا يحرك عينيه عن هاتفه، فيما شفتاه مطبقتان لم تنبسا ببنت شفة، فيما يحاول زملاؤه تحريك هذا الصخر الجاثم على صدره، ليفْضي إليهم بما أَلَمّ به، إلا أنه ومع محاولاتهم المتكررة ـ لتحريك صمته ودفع حُزنه ـ يزداد حَنَقاً وغضباً.

ودون أن يرفع عامر رأسه عن الأوراق أمامه.

ـ أكيد حُب جديد يا يونس.

ـ يا بخته يا سيدي، يطير كالفراشة بين الأزهار، يرْشُف من هذه ومن تلك.

ـ يا سلام يا سُمعه، هودا الكلام..

ـ أمّال يا بني، دا اسماعيل دا نطاط قديم، من ورده لورده، لحد ما رشق في أمّ العيال، ومسيره يرجّع اللي فات.

ـ لاااا، احنا عايشين على مغامرات صاحبنا، وبعدين الزهره اللي

عِنْدي شَديده حبتين... هي صحيح جَفّت، إلا أنها لم تخلو من عبيرها.

ثم في شيء من الأسى والحزن الذي بدا على ملامحه..

... صحيح انبعجت، وتضخمت إلا أنها.....

يقاطعانه ـ عامر ويونس ـ في صوتٍ واحد : ـ أُمّ العيال...

ويضج الثلاثة بالضحك، فيما يُنَحِّي محمود الأوراق جانباً، ويقف تعلو وجهه مِسْحةٌ من حُزنٍ لم تُفارقه مذ دخل عليهم.

ـ عَلَى فين، وَقّف عِنْديك..

ـ سيبني يا اسماعيل دلوقتي...

ـ يمين عظيم ما هسيبك، أُمّال اصحاب كيف يعني..؟

بصوا يا ولاد، الشغل بتاعي أنا ومحمود قسموه بيناتكم، همشي معاه شويه ع الرصيف ونتقابلوا بالليل..

***

*الصديق.. هو أنت في صورة مختلفة.

هو ذلك الذي تُفْضي إليه بمكنون صدرك، فيحمل عنك.

هو ذلك الرفيق الذي لا يَمَلّك وإن مَللْت نفسك.

هو ذلك الفيء والنسمة المبهجة في قيظ الصيف وسخونته.

هو ذلك الضوء الخافت الذي تراه من بعيد في ذلك النفق المظلم

يدلك على الطريق فلا تنحرف.

هوذلك الطريق الممهد تخطوعليه دون أن تنظر موضع قدميك.

هوذاك.... هو... هو... الصديق وحسب.

*ولكن..

ليس كل من يدعي ذلك فهووما ادّعَى، فَقَلَّ من يَخْلُص له صديق صادق، فمتى ما وجدته، فقد وجدت نَفْسَاً أخرى تعينك على أمرك، تأخذ على يديك، وتأخذ بهما، تُقَوّمك حال اعوجاجك، فتنصح عن حُبّ، لتأمن بها حال خوفك، وتَقرّ بها حال زعْزعتك، وتَثْبت بها حال ترددك

***

تعلوملامحه الكآبة والحزن وكأنما فقد مفقود...

ـ انا ماشي جارك أهَه، لحد ما تفُك وتنطق لحالك..

يمشيان في عِنانٍ يُتبع اسماعيل خطواته خطوات صاحبه على رصيف الميناء، ترسوبعضٌ السفن هنا وهناك، عن يمين محمود البحر وعن يساره صاحبه، يقف به محمود ويتجه إلى البحر، فيتبعه اسماعيل وقوفاً ينظران إلى الماء في صمتٍ، تسبح فيه الأسماك فِي صورة جمالية رائعةٍ يفتقدها الكثير من البشرِ، حيث يتبع الصغارُ أمّهم، فإذا أكلت منٍ مخلفات السفن والطحالب أكلوا، وإذا غاصت كانوا خلفها، ومتى ما ارتقت إلى السطح ـ تأخذ شيئاً من الأوكسجين ـ ارتقوا، وكأنها تدربهم.

في ناموس البشر قَلّ من يُعَلّم أولاده ويدربهم، قَلّ من يسوس بيته كما يجب، قَلّ من يُعلّم أولاده الصواب من الخطأ، الحلال من الحرام، الصدق من الكذب، بل جُلّ الناس على وتيرة واحده، وصِفةٍ واحده، إلا ما رحم ربي " المأكل، الملبس، المكان الذي تنام فيه "

هؤلاء الثلاثة نُصْب عين كل أحدٍ، وكل أحدٍ في دائرة البحث والجهد والامل لتوفيرها، ثم الرفاهية بعد.

أمّا التربية الحقّة، التوجيه، التقويم.... فالجهل بها عنوان كل بيت إلا القليل.

إنه قانون البشر، هكذا وَضَع الكلُّ نفسه ـ أووُضِعوا ـ في دائرة الحاجة والبحث عنها، لا يألون جهداً في ذلك، فيُبْذل بذلك الجهد من أجل بناء الجسد، أما الروح، النفس، الكيان، فمناط بنائها جميعاً مَرَدّه إلى التَجْرِبة، والرِّفقة، والبيئة مجملة.

أخذهما منظر الأسماك تتبع أمّهم تدربهم على فنون الحياة، فوقفا دون حراك، دون كلام، يتابعان ما يحدث، وقد أُنْسيا ما كان من أمرهما، أوهكذا ظن إسماعيل.

ـ أظن المنظر دا ينسيك أي حاجه.

ـ عارف الآية اللي بتقول " ويضيق صدري ولا ينطلق لساني..."

.... حاسس اني هنفجر، والكلام مش راضي يطلع.

ـ إنت كده بدأت، واني سامع، وزي ما بيقولوا كُلي آذان...

يسترسل اسماعيل مُتماً بعد أن رأى الغضب يلوح في قسمات وجه صاحبه

... خلاص، أنِي هسأل وانت رُد.

... حاجه في الشغل. ـ لأ.

... الحج تعبان بَرّه ولا حاجه. ـ لأ.

.... العربيه عطلانه.

حدجه محمود بنظرةٍ ظاهرها الغضب، فيما يمسك على ابتسامةٍ أن تتفلت

التلقائية البحتة، هكذا هو.. يُلقي النِكات والقفشات دون أن يتحرك له طرف، أوتلمع له عين، وكأنها اسلوب حياته، دون انفعال،أوافتعال، أوتَصَنُع، أوتَكَلُف، إنما هي طبيعته يتحدث في استرسال وسلاسةٍ ثم لا يضحك بعد، ولا يتعمد إضحاك غيره، إلا انه يفعل، فلا تعرفُ هل لأسلوبه، أولهجته الصعيدية التي ما تخلّى عنها طيلة سنواته التي قضاها في مدينة الإسكندرية.

ـ أُمّال ايه طيب.... يبقى مفيش غيرهم، النسوان، صُح.

يومئ محمود برأسه أنْ نعم.

*النساء.. كما في الحديث الشريف : أنّهن خُلِقْن من ضلعٍ أعوج،

وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته استمتعت به على ما به من عِوَج.. هكذا كما جاء في الحديث، أوفي ذات المعني، والرجال فيهن مذاهب، فمنهم من رفعهن إلى منزلة الإله تقديساً، ومنهم من وضعهن في منزلة الإماء إذلالاً وضِعَةً، وبين هذا وذاك اختلفت المفاهيم، والرؤى، والثقافات، والأيدولوجيات في الموضع الذي تستحق المرأة أن تكون فيه.

ولكن.. سلك الجميع ذات المسلك، إذ كان التفكير من زاوية واحدة، وكأنهن إنما خُلِقن لتتم بهن سعادة الرجل أوشقاؤه، فهن هبة السماء للرجل الكادح في هذا العالم...!!

واختلف الناس منذ بدء الخليقة في توصيف هذا المعنى، وتعميق مفهومه بما يتماشى، والبيئة المحيطة، والفكر المسيطر، والعقيدة القائمة.... وما أنصفهم في ذلك إلا دين الله، فوضعها ـ أمّا كانت، أوأختا، زوجة، بنتاً، عمّة، خالة... ـ حيث يجب أن تكون وأوصى بها صاحبها تكريماً لها..

ـ ما يغركش الرّطْرطه والكلام الكَتير، أخوك حبيب قديم... فُك عن نفسك يا صاحبي وقول.

ـ أقول ايه بس.؟

ـ من الأول..

يمشيان معاً على رصيف الميناء، يُفضي محمود بمكنون نفسه إلى

صاحبه، عَلّه يجد عنده التسلية وهدوء النفس والترويح عنها، أوأملاً في العثور على بُغْيَتِه في كلمةٍ أوإشارةٍ ربما غابت عنه.

جعل محمود يُفضي لصاحبه، يوافق حديثه إشارات من يده، فيما يهز اسماعيل رأسه إيجاباً مرّةً ونفياً أخرى.

ـ ساكت يعني، أُمّال خبره، وحبِّيب قديم.

ـ عايزني اقولك ايه يعني،إنت لا أخدت تليفونها، ولا عرفت هي بتشتغل ايه، ولا حتى ساكنه فين.

إمتعض محمود لهذا التأنيب وهذا الجفاء، ينظر إلى صاحبه ولسان حاله يقول : ما جئت بجديد..

فيُتم اسماعيل مسترسلاً : ـ بس ليها حل.

تهللت أساريره بشراً، ينظر إلى صاحبه ينتظر هذا الحل.

ـ العَيّل بتاع الكافيه، طالما يعرف اسمها واسم صاحبتها، يبقى فيه احتمال انه يعرف رقمها.

بداية أمر لمع كبارق في عينيه، ينظر في الفضاء كأنما يستجمع خيوطه معاً، يستعيدُ الأحداثَ في ذاكرته، يؤلف بينها، يمحوويُثبت، يهدم ويبني، حتى استقام في مُخَيّلته بناءً ظنه شامخاً يلتقيها في أعلى طوابقه.

ـ أنا غبي.

ـ أنا قولت كده برضه.

ـ لأ بجد، أنا غبي.

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله.

ـ يا عم ما تحاولش، أنا غبي

ـ إنت زعلان ليه، انت أدرى بنفسك، يلا بينا.

ـ على فين.؟

ـ على فين ايه..!! انت ناسي انك موظف، تمضي انصراف...الحب وسنينه يا راجل..

***

ـ ماله الحب، انتي مش عارفه اني بحبك ولا ايه.

ـ نعم، بتحبني، ها ها ها، إنت آخرك برشامة ترامادول، ولا حقنه، ولا حتة حشيش، تظبط بيها دماغك وتنسى اللي حواليك.

لوأنه ثمّة مرادف للقسوة، فليس أفضل من سلمى تعبيراً عن هذا المعنى، لكأنها نُسجت من قسوةٍ، أوقُدّت من ريحانةٍ ظاهرها ريحُ طيب، باطنها مُرٌ علقم، إذ لا تُلقي بالاً لمشاعر الآخرينً، إلا تُقْية حتى إذا اطمأنت لما أرادت عادت إلى سيرتها الأولى، حيث القسوة تُغَلفها رِقاقةٌ من جمال.

يقف بها لوز على كورنيش البحر في منطقة الرمل، حيث تنعكس أضواء المحال وأعمدة الإنارة على صفحة الماء السوداء تتلألأ كنجوم

الليل، يمسك بيدها في قوة، فيما تنظر إليه بتَحدٍ، وقد اتسعت حدقتا عينيها، يتحرك بؤبؤهما يميناً وشمالاً، كأنما تُحذره المحيطين بها، ولسان حالها يقول : أنْ كُف وإلا صرخت.

ينظر إلى المحيطين بهما وقد امتلأ الكورنيش برواد البحر، يترك ذراعها رافعاً قبضته في وجهها محذراً بسبابته.

ـ سعد لوز، مش عَيّل صُغير عشان تضحكي عليه.

ترفع يدها تُعيد قبضته إلى جانبه، في ثقة وثبات.

ـ كنت بتاخد حقك أول بأول، ولا نسيت..؟

وهي تُغلق زِرّ القميص الذي آثر بقاءه في مكانه، فتفلّت خارجاً من عِرْوته، ليكشفَ عن مِفْرقٍ لنافرين يضغطا عليه، فيما عينا لوز تتابعان في نهَمٍ.

ـ بس انا لسه ما خلصتش حقي.

ـ إنت خلاص، اتفطمت.

وتتحرك، يتبعها يستشيط غضباً، يتطاير الشرر من عينيه.

استعملته حتى وصلت إلى ما تريد، ثم ها هي تغسل يديها منه، ذاك الفتى الوضيء الوسيم، الذي تختلف ملامحه وهيئته تماماً عن ذلك الطريق الذي أقام نفسه فيه، يتبع اخاها في دَرْبه، ولوأنها قابلته عَرَضاً في الطريق لتقربت منه، أولتمنت ذلك... غير أنها تعرفه " سعد

لوز"، المشهور في مِنْطقته تابعٌ لأخيها، ورفيقه، ونديمه، وصاحبه، ويده اليمني في بيع الحشيش[١] الترامادول، والأقراص الجنسية[١] وغيرها....، فهولسان أخيها ويده، إلا أنه ارتضى منها بقبلةٍ هنا، أوهناك، ظناً منه أنها يُحكم قبضته عليها، وأنها مِلْك يمينه، يلعبَ بها كيف يشاء إذ يؤمنها من أخيها، غير أنها أتقنت اللَعبة، إذ رأت في عينيه مثل ما رأت في عيني غيره، فاستعملته إلى حين..

يجذبها من ذراعها في قوةٍ غير عابئ بمن حوله، وقد التقت عندهما العيون.

ـ آه...

ـ ما تفكريش إن سعد لوز لعبه، تِطَمّعيه بـ بوسه ولا حضن، لااااا، فوئي.... أنا ممكن أجُرّك من شعركَ لحدَ اخوكي... ولّا على ايه، أ رن عليه يجي يخلص عليكي هنا..

تقابله بذات النظرة الحادة، فيما تسحب يدها من يده، ثم بضحكةٍ ملؤها السخرية، أشعلت فيه جذوة الغضب، وأجّجت فيه نارها.

ـ شوف، إنت قدامك حل من اتنين، أصَوّت وألّم عليك الناس دي كلها واقول انك عايز تغتصبني، يا إما أروح لـ سالم، أخويا، وصاحبك، اقوله انك بتهددني... ويتهدج صوتها كأنما تبكي فيما تُتم تتمثل ذلك.

عايزني في الحرام يا اخويا، ما رعاش الصحوبيه اللي بينكم.

وتعود إليها نظرتها الحادة كلبُؤةٍ جائعة، فيما أُسْقط في يديه، ومع

هذه النسمات الجميلة التي يَلْقي بها البحرُ رواده، إلا أنه تَعَرّق، فجعل ينظر إليها تدورا عيناه كالمغشي عليه، لا يجد ما يقول، وأنّى له بذلك، فقد أحكمت الأمر حوله، بل وأحكمت وثاقه فلم يستطع الحراك، تتم تقول، فيما لمحت عيناها سيارة تقف بجوار الرصيف :ـ

ـ شاطر، دا بقى الحل التالت، تاخد بعضك زي الشاطر، وتروح على صاحبك، تقوله انك شوفتني بركب عربيه مع واحد، ومش راجعه تاني، وتتركه يدور رأسه، بل تحقق في رأسه معنى دوران الأرض، فيما تركب السيارة يتابعها بعينيه تختفي وسط الزحام.

إذا كان هذا حاله مع من لا يعرفه من رواد البحر يتابعونهما، يتندرون به، وقد رأوها تتركه إلى صاحب السيارة، فهوفي أعينهم ذاك الفتى الفقير الذي تركته محبوبته إلى آخر أيسر حالاً، أوهكذا ظن كل من رأى المشهد، فكيف به في حارته التي ذاع صيته فيها ـ فتى ترغب فيه فتيات المنطقة، وسامةً، وجرأةً، وما خلا جيبه من مالٍ، من حلٍ كان أو....بل من حرام.

كيف سينظرون إليه ؟ كيف سيكون له كلمةً فيهم ؟ سيتندرون به ولا ريب

ولكن، عجباً...!!! لما هذه الحيْرة، فلا يعرف أحدٌ بما كان بينهما، ولوعلم أخوها لكان له معه شأنٌ آخر، إذ هوإنما يتبعها لأمره، ينقل أخبارها إليه ليس إلا.

هدأت نفسه شيئاً، فشيئاً، يشعل سيجارةً منتفخةً، يأخذ نفساً عميقاً،

يطلق دخانه في الهواء، ثم نفساً آخر ومن ثم يُتبعه سابقه في الهواء

، ثم لم يلبث أن علت ضحكاته، فأثارت الريبة فيه عند من حوله يتساءلون :هل أتلفه الحب ؟ أم تراه لجأ لمثلها ليمحومن ذاكرته ما ألَمَّ بقلبه، ينفث مع دخانها آلام القلب الجريح، إلا واحداً منهم اقترب منه في هدوء.

ـ باين عليه صنف عالي قوي.

ـ ها... آه، قوي، قوي، قوي.

وهوينقل عينيه ما بين لفافة التبغ بين أصابعه والفتى الواقف أمامه، إذ لا يخفى على خبيرٍ مثله، ما يدور بعقل أمثاله، فيناوله إياها..

ـ مساء الفل.

ـ مساء الورد..

لم يلبث الفتى أن التقمها تَتقد مقدمتها من شهيقٍ كاد يأتي على ما تبقى منها، يستمتع بنافورةٍ من الدخان تخرج من فمه.

... حاجه عاليه قوي... ألاقيش معاك...

ـ كل اللي انت عايزه، سعد لوز، علامه مسجله، سعد لوز، توصيل للمنازل، سعد لوز، الزبون دايما على حق.

ـ يااااه، كل ده، طيب الـ..

ـ ولا يهمك، دي كادوه....

ويقترب من أذن الفتى يُسِرّ إليه، قبل أن يتركه فيما يُتم

... ما تنساش، سعد لوز...

ويتحرك سعد مبتعداً عنه يصله صوت الفتى خفيضاً.

ـ حد ينسى الموز برضه.. يضحك سعد، ويتوقف ينظر إلى البحر يضبط ياقة قميصه، ثم بأنامله يمسح اللا شيء عن كتفه، يُلقي بعينيه إلى سواد البحر تتلألأ فيه أضواء المصابيح المنعكسة على صفحته كأنها نجوم السماء ارتسمت على وجهه.

إنك تراه أول ما ترى ـ لوسامته، ووضاءته ـ فتى من فتيان الجامعة، المُرْهَفين، المُرَفّهين، وذلك فقط حتى يتحدث، فإن فعل عرفت من يكون.

وصدق القائل " المرء مخبوء تحت لسانه "

فإذا تحدث ذلك الفتى الجميل، رأيتَ فيه صورة متناقضةً من الجمال الخارجي مع أسوء ما تنطوي عليه دخائل النفس البشرية ـ دناءة، وسوء خلق وسوء طَوِيّة ـ ذاك الذي لا يتورع عن شيءٍ في سبيل نفسه، نفسه وحسب.

فلا صديق يحفظ غيبته، وإنما الخيانة دأبه.

ولا جار يأمن بوائقه، إذ الدناءة طبعه.

ولا إنساناً كائناً من كان يَرِق له، إذ القسوة دَيْدَنه.

يبحث فقط عما يؤمن له عيش يوْمِه سعيداَ، وتمام ذلك وآيته في أنواع المخدرات التي يَتّجر فيها على اختلاف الوانها، وانواعها مما يؤمن له المال، وأحضان النساء اللاتي يبعن أنفسهن لقاء المال من غيره، أوالحماية وتأمين المزاج منه.

إن ذلك الكائن الظلامي إنما تتمثل فيه سَوْءة المجتمع، بل أسوء ما يوجد فيه، بل لكأنها جُمِعت فيه المساوئ كلها، فخلا من كل جميل إلا غُلافة ظاهرية خادعه.

ـ مساء الورد يا ريس.

ـ ايه يا لوز، كل دا تأخير ؟!..

ـ غصب عني يا ريس، انا بنفذ أوامرك.

ـ أوامر ايه، مش معقول سلمى تتأخر لدلوقت، يبقى كنت فين بقى..؟

تُكَرْكِر الشيشة بين يديه وقد التقم خرطومها، ينفث دخانها فوق رأس لوز، فيما يشرب سعد كوب الماء على الترابيزة ويُتِم يُجيب.

ـ مشوارع السريع يا ريس.... أمّا بالنسبه للأبله، هي ما اتأخرتش، لا مؤاخذه هي خلعت..

يضرب سالم على الترابيزة أمامه بخرطوم الشيشة في عنف.

ـ نقي كلامك يا لوز، وشوف انت بتقول ايه.

عَلَى أنّه قابل كلام لوز بقوةٍ وحسم، إلا أنه ولِوَهْلةٍ أربكته كلماته

ـ يا ريس دا أنا سعد، سعد لوز، كلامي متنقي، وعارف جاي منين ورايح فين لا مؤاخذه.

جعلت الأفكار تضرب برأسه، فيما يتابعه سعد بعيني صقر، مترصد، يُحدث كل منهم نفسه :ـ

ـ آه يا سلمى، دا انا ادبحك فيها لوعطيتي الكلب ده فرصه.

ـ فرصه وجاتلك يا لوز.

ويتم رافعاً صوته في شيء من السخريه.

ـ ساكت يعني يا ريس.؟

يقف سالم، ويلقي خرطوم الشيشة على الأرض مفتعلاً الغضب.

ـ شوف يا لوز، انا مش فايقلك، أنا ما صدقت أظبطها.

ـ طب اقعد بس يا ريس أرسيك عالدور، عشان نعرف نخرس كل لسان، وانت عارف، ما هيصدقوا..

تأكد لسالم ما كان يشك فيه، واستوثق من فعل أُخته، فجلس في هدوء، وترك نفسه وأذنيه لهذا اللوز يقص عليه خبرها.

ـ ما تزعلش نفسك يا ريس، الموضوع بسيط خالص، ودي مش أول مره يعني.

يكتم سالم غيظه، يعض على أضراسه، وقد جمع قبضته على الترابيزة

يود لويفتك به غير أنه أتم وعلى نفس الوتيرة، وذات الاسلوب الساخر، وكأنما تحول لسانه إلى سَوْطٍ يضرب به مع كل كلمة.

ـ هي صحيح هربت في عربيه فَخْمه مع حتة عَيّل، زي لا مؤاخذه الأبله زاهيه... بس دي ليها حل، آه.

كلمات كأنها الرصاص، تتتابع يوجهها لوز لصدر سالم، الذي ضاق كما لو أن جبلاً أطبق عليه؛ فجعل الحزن الذي يكتمه ينضح على ملامح وجهه، وقد تَعَرّق، تتقد عيناه، يتابعه لوز بعينين ثاقبتين يُمسك على ابتسامة صفراء، وقد حَطّ الصمت على سالم بجناحيه، فيما يغلي داخله كأنه مِرْجل يكتم أزيزه، إذ جعلت لهذا المسخ، يدا وسلطاناً عليه، ولا أقل من أن ينشر الخبر فيكون مُضْغة كل فم، فكيف له أن يخرج فيهم ؟ كيف له أن يُقيم أناساً ويُقعد آخرين ؟

لم يشعر سالم بغياب لوز عنه، وقد فاجأه عائداً من داخل المقهى يحمل كوباً من الماء، يضعه أمامه.

ـ إشرب يا ريس، روّق دمك أُمّال.

نظرة انتصارٍ تتلألأ في عينيه، فيما يضرب سالم الكوب بقبضته.

ـ لأ، لأ... مش عايزين حد يحس بينا، وليها حل يا كبير.

عَلَى أنه نال منها ما سمحت له به، إلا أنه ما وصل إلى غاية مراده منها كي يستوثق من يديه حول عنق سالم يُطْبق عليه بها، وعلى الرغم من ذلك فهولن يخرج من هذا الأمر خالي الوِفاض، وقد أَلْقت إليه بما

يعينه على أخيها، وإن تركته إلى غيره، ورُبّما كان مكسبه وما يجنيه أكثر مما لونال منها مأربه، فها هي أظفاره ينشبها في ظهره.

كلاهما وجهان سيئان لعملة واحده، ما اجتمعا على خير قط، فكلاهما لصاحبه صديق سوء، فالأول رأس الأمر في ذلك، والثاني تابعه وتلميذه ـ على أنّه حقيقٌ بأن يُتّبَع في ذلك.

الأول يعلم ما يدور في خَلد الثاني غير أنه يحتاجه كتابع له، يضرب به، فيُحْكِم قبضته على هؤلاء البسطاء، والثاني يتمنى زوال الأول، فيحل محله، غير انها ما حانت الساعة بعد، إذ لم يزل يتحكم في أمور التجارة، فهما في ذلك كعقلٍ يُدبر، ويد تضرب وتسوس.

يٌد لا غنى لها عن عقل يدبر أمرها، إذ يأمرها، فتطيع، وعقل لا غنى له عن يدٍ تمتثل لأوامره، وتنفذ مبتغاه.

المسافة بين المقهى ومنزل سالم، لا تزيد بحال عن عشرة دقائق سيراً على الأقدام، لكنها طالت على غير العادة، وكأنها عشرة ساعات، هل يعود إلى الوراء ؟!! صورٌ تتكرر أمام عينيه، وجوه كالحة مُغبرة أرهقها الفقر وأوهنها الجوع.

حلْقةً مفرغة يدور فيها أوهكذا يظن، يستوقف امرأةً، ينظر إليها ـ لكأنها أمّه، بل تشبهها كثيراً، فالفقر نفسه والجهل عينه ـ ينقل عينيه ما بينها والطريق خلفه، يقول في غير ثقةٍ منه :ـ مش لسه مقابلك عند أول الشارع يا ام شاديه.

ـ شارع ايه يا بني، انا لسه جايه من الصيدليه، حتى ما لقيتش الشريط.

ـ صيدلية ايه يا ولِيّه، انا لسه.....

ويعض على أضراسه غضباً وقد لمح في يدها شريط اقراص فارغ، يتركها ويكمل طريقه يصله صوتها يخبو.

ـ آدي آخرة البلاوي اللي بتشربوها.

الشوارع كما هي، والناس كما هم، لكنه ثمّة تغيير واضح، الدكاكين هي، هي، الضوضاء المعتادة من ورش الصنايعيه ذاتها، بل .. بل لعلها زادت كما لوتزف خبراً تزلزل به أركانه، نفس الحفر التي يمر بها كل ليلة، الروائح الكريهة ذاتها تنبعث من أكوام القمامة المتراكمة هنا وهناك، تلك التي وإن أغفلتها العين ـ لضعف الإضاءة بالشارع، أولكسر لمبات الإضاءة مرات ومرات عن قصد لمحب أومُرَوّج ـ فإن روائحها تُعلن ولا ريب عنها، وهذه القطط والكلاب الضالة ترعي فيها فتبعثرها هنا وهناك.

" الفقر، الجهل، المرض " أضلاع مثلث الضياع.

إذا لم يكْذبه ذاك الكذوب، ولما استطاع في مثل هٰذا، غير أنه كان أمل. يجلس نصحي في ركن من البيت، فيما تنتحب أُمّه في ركنٍ آخر، تحيط رأسها بكلتا يديها، وماً إن رأته حتى ابتدرته.

ـ شوفت آخر عمايلك فيها يا سالم، راحت زي اختها.

ـ بس... مش عايز اسمع ولا صوت، ولا كلمه.

ـ ايه، وجعتك قوي يا سالم ؟

ـ انت مش حاسس بيها يا نصحي ؟!!! ولا خلاص اتعودت.؟!!

ينظر إليه نُصحي، يهز رأسه نفياً، ويريد الباب، تستوقفه أمه.

ـ على فين يا نُصحي..؟

ـ ماشي، اتخنقت، ومن الآخر كده، اللي يقعد معايا على عيني وراسي، وربنا يقدرني على مصاريفه، واللي يمشي برغبته ما يستاهلش اني أدور عليه...

نُـصحي.. الأخ الأكبر الذي عُهِد إليه بالأمر بعد وفاة أبيه، فآلى على نفسه إلا أن يحمل العبء.

أربعيني بدا الشيب في رأسه وفي لِحْيَتِه، حتى أنه ليوحي مع نحافته بعمرٍ يفوق عمره الحقيقي بسنوات، أَدِمَ اللون، أقنى الأنف، لم يؤت حظاً من وسامةٍ أوجمال، فهوولا ريب يملك ملامح المُتَوَفَّى، وكأنما خُصّت نساء هذه الأسرة بالجمال دون رجالها، فلم يكن يوماً مَطْمعاً لفتاة، أومرغوباً فيه من إحداهن، إلا واحدة ألقت بحبالها ولم يكن ثمة مَفَرٍّ من سقوطه في شباكها.

ولكنها ما فعلت حباً، أورغبةً في ميزةٍ يمتاز بها عن غيره من أقرانه في ذلك المكان البائس، إنما اتخذته مَعْبراً وسُلّماً، تتحول به من فتاةٍ لا تملك من أمر نفسها من شيء يتحكم فيها ذووها إلى زوجةٍ ـ وربما أمٍ على أنها

عَملت مذ ليلتها الأولى أن لا تكون ـ ثم مُطلقة بعد ثلاث، ثلاثة أشهر لا َ غير، لم يَدُم زواجه إلا تلك المُدّة القصيرة، ثم اختلعت منه، وما كان اختلاعها كما نص قانون الخلع بإجراءاته المعهودة والمعلومة، فقد أجبرته بخدعة شيطانيةٍ بمباركةٍ من أمها حتى أُرْغم على طلاقها.

ترك أمّه وكأنما غُلّت يديها إلى عنقها، وأُلْقى بها في بحر متلاطمة أمواجه، وقد فقدت تلك القشّة التي كانت تظن بها خيراً غيرَ أنه خاب ظنها، فلم تجد أمامها إلا سالم تقول ودموعها تنساب على وجهها.

ـ وانت، هتعمل ايه. ؟

ـ انتومش حاسين بحاجه، انتي آخرك تقعدي قدام البيت، ويمكن تحبسي نفسك هنا، ما حدش هيسأل عليكي...

وهومش فارق معاه متعود على كده، قبل كده مراته، واخته..

في غضب وحزم لا يتوافقان مع ضعفها تكيل له الصاع صاعين بل لعلها زادته، وحقيقٌ هوبأن يُكال له.

ـ مراته ما عندهاش أصل وطلقها، وأخته اللي بتقول عليها، تبقى اختك برضه..

ـ لاااا، لما زاهيه مشيت، كنت صغير مش عارف حاجه.

ـ وأديك بقيت شحط، طول بعرض، ورينا هتعمل ايه.

عندما تتحدث عن قصف الجبهة، وحُسن التخلص، فهذا مثالٌ

حيّ، على الرغم من جهل الأم وأمّيتها إلا أنها استطاعت أن تُفْرغ شيئا من غضبها، وما ذلك إلا لسوء خلقه معها ـ ومعهم جميعاً ـ ما دفعها لأن تصفعه تلك الصفعة عَلّه يُفيق... ولكن.

لم يكن برّاً أوشفقةً أورحمةً في هذا القلب المتحجر منعتها منه، لا، بل بقيةٌ باقية من عقل، ولولا أن يُعَيّر بها لأطلق يده فيهما معاً، لم يجد سالم إلا ذاك الكرسي المتهالك القابع في ركن المنزل ليُتم معه ما بدأه سابقاً كي يُفرغ فيه غضبه..

" الفقر، الجهل، المرض " أضلاع مثلث الضياع

عاد سالم إلى الطريق التي جاء منها، بوجه غير الوجه ونفس غير التي قَدِم بها، يحمل على كاهله عِبْء انتشار هذا الخبر في الناس وكيف سيواجهه، لم يجد بُدّاً من حبة ترامادول يُلقي بها في حلقه، محاولاً الهروب بها من واقعه، إلا أنها عجزت عن تلبية مطلبه إلى عالمه الإفتراضي الذي يألف، فثنّى بلفافة تبغ منتفخةٍ ينفث غضبه مع دخانها الأزرق حتى ساقته قدماه إلى مكانه المعتاد، حيث صاحبه.!

ـ أنا قولت كده برضه.

ـ انت لسه متلقح هنا.؟

ـ أصل لا مؤاخذه، عارف انك مش هتستحمل البيت واللي فيه، وقولت أكيد راجع لمكانك، وصاحبك لوز.

ينظر إليه ثم يرفع رأسه إلى السماء، وينفث دخان سيجارته، فيما

أسرع لوز إلى علبة صغيرة أخرجها من طيات ملابسه؛ وقد أخرج منها قرصاً يناوله سالماً الذي رَدّ يده متعللاً انه بالفعل لجأ لمثلها، فيلقي بها لوز في فمه، فيما يقول :ـ تسمع مني يا كبير.

لم يحرك سالم ساكناً غير أنها شارفت لفافة التبغ على نهايتها، فيتم صاحبه :ـ الحل بسيط..

هنا نال لوز شيئاً من اهتمام سالم، يرفع حاجبه الأيسر يستزيده.

تُري طوق نجاة، أم حبل يلتف حول عنقه.؟

قشّة يتعلق بها، أم ثقلٌ على كاهله يغوص به في الأعماق.؟

ولكنهما خَلَتَا يداه من كل سببٍ، وكان عليه أن يستمع.

هكذا المكلوم، هكذا المصاب الجلل يفعل بصاحبه، ما إن ينزل به يَذْهل عقله وينسى أبجديات التفكير، فيكون ساعتها ضحية كل ذي رأي، بل لعله ينشد الرأي في غير أهله.

الآن... الآن وحسب صار لهذا اللوز يداً عليه، وعليه أن يحفظها له حتى يأمن جانبه...

***

يا لها من حَيْرةٍ، هوولا ريب لا يعرف عنها شيء، ليس سوى اسمها الأول وحسب، دعاء، ولكن ما يغني ذلك عنه، فلا هاتف، ولا عنوان، ولا مكان عمل، ولا تَتِمّة اسمها، فقط دعاء... ذات الوهج الأحمر.

يقف أمام باب الفندق مُتَحيّراً، كيف سيسأل عنها ؟ إلا أنهما ـ ولفرط شوقه ـ تحركتا به قدماه ليجد نفسه قد جاوز المدخل إلى الـ RECEPTION حيث يقبع موظف الإستقبال في نهايته، يقف متردداً، لا يعرف هل يذهب إليه، ولكن... ما يقول له ؟

آثر السلامة، فجلس عن يمين المدخل، حيث مجموعة من رواد الفندق أونزلاؤه، وفي مواجهته تماما تتابعانه عينا ذاك الوضيء المبتسم دائماً، أوهكذا يظن، يلتقط محمود مجلة يدس فيها وجهه ينظر بين الحين والآخر رواد الفندق عَلّه يجد مراده بينهم.

فربما تدخل من الباب الآن، أولعلها تهبط درجات ذلك السُّلم، تدورا عيناه كلما مرّ مارّ، أولاح ظلٌ لحركةٍ..

اجتهد يرفع جفنيه تلاهما بؤبؤ عينيه من أعلى المجلة، سُحْقاً لهذا الأمر، لقد آلمته عيناه، يفرك عينيه، لكأنه صيادٌ يُحِد النظر يبحث عن فريسته، ولا يجدها حتى ظن بعينيه شرّاً، أولكأنهماَ أصيبتا بِرَمَدِ الطير، تريان كل شيء إلا الطير، يخفض رأسه جاعلاً سبابته وإبهامَ اليمنى على عينيه يعتصرهما، كمن يمسح زجاج سيارةٍ بعد يومٍ مَطير.

ـ مساء الخير يا افندم.

توقفتا أصابعه على عينيه، يرفع رأسه ببطء ليجد موظف الإستقبال أمامه، تملأ وجهه ابتسامته.

ـ أعتقد ان حضرتك مش نزيل عندنا.

لم تفارق الابتسامة وجهيهما،

ـ فيه حاجه أقدر اساعد حضرتك فيها.

ـ في الحقيقه، أنا كنت منتظر صديق....في الواقع صديقه.

ـ نزيله عندنا.؟

ـ أعتقد، الآنسه دعاء.

ـ دعاء ايه حضرتك..

يهز محمود كتفيه مع ابتسامةٍ.

ـ JUST دعاء..

يرفع رأسه لأعلى، وقد أغمض عينه اليمني، عاضاً شفته السفلى، مسترجعاً أسماء رواد الفندق،

ـ لأ، لأ... دعاء... آه.

تهللت أسارير محمود بشراً، فوقف للرجل، إذ لاح له بصيص أملٍ، وظن أنه إنما وجدها، فيما يتثنى الرجل أمامه كحبلٍ أُلْقى مُفْرداً في البئر

ـ حضرتك أكيد تقصد دودي، صح ؟

ـ دودي..!!

ـ آه، دودي، بس اللي اعرفه إنها مركزه على العرب أكتر.

ـ نعم..!!

ـ وأحياناً رجال أعمال، وأظن حضرتك مش..... وعلى فكره دا مش اسمها الحقيقي.

ـ كمان..!!

ـ طبعاً... هي معروفه في الوسط بـ دودي، لكن اسمها الحقيقي،...، هوعتيق شويه، لحظه.

يستدير ناحية الـ RECEPTION وقبل أن يخطو، يعود إلى محمود، تتهلل أساريره وكأنما وجد ضالته..

ـ زاهيه... اسمها زاهيه،

ـ زاهيه... !! لأ، أكيد لأ.

ـ عموماً طالما هي آنسه تبقى مش دودي خالص.

ويهتز جسده ضحكاً، فيما يبتسم له محمود على مضض، وقبل أن يسترسل الرجل، يسمع صوت رنينٍ.

ـ عن إذنك...

يومئ له محمود برأسه مبتسماً، يتابعه فيما يتراقص في بنطاله الذي التف على فخذيه الممتلئين.

ـ زاهيه...!! هوفيه كده.؟

ما جال بخاطره لحظة أنّ هذه هي تلك، لم يشك ولولحظةً واحده، بل نَحّى عقله تلك الفكرة تلقائياً، فلم يَعمل عليها، غير أنه استوقفه

أمرٌ آخر جال بخاطره، فأعمل فيه عقله.

أمِنْ ليلةٍ التقاها، وموعدٍ أخلفته، يبحث عنها ؟!!!

كيف لم ينتبه لذلك ؟ كيف واتته الجَرْأة ليبدأ هذا البحث المحموم، بل كيف كان سيواجهها لوالتقاها في ذلك الفندق باحثاً عنها ؟ كيف سيبرر ذلك لها، إنها ليلة واحدة، موعد واحد وعلى غير اتفاق، يرفع يده يتحسس جبينه المُتَعَرّقة، أمحمومٌ أنا ؟ أم تراها لوعة الحب وحرارته؟

إيهٍ أيها القلب.. ما بالك تتقلب على جمر الهوى، وتخفي ما أظهرت العينان، بل ما أظهرت الجوارح كلها، ولكن.. كيف يكون ردها إن صرّح لها فوقفت على دخيلة نفسه ؟هل تجيبه وما أراد ؟ أم..

يضرب بيده الهواء كمن يذب ذبابة لا فكرة تدور بعقله.

انتشله رنين هاتفه من هذا الجدل المقيت الذي لن يخرج منه بشيء.

ـ الو.... ايوه يا اسماعيل....لأ جاي....قولتلك جاي، خلاص بقى.

إذا هم ينتظرون ولا ريب قد قَصّهم إسماعيل الخبر، فأدلى كل منهم بدلوه، ولا ريب يعيدون الحديث إذا ما حضر فيهم.

ولكن... لابد له من أحدٍ يَبُثُّه ما في نفسه، لابد له من أحدٍ يخبره حقيقة ما يشعر به، ولابد من مواجهته إياهم، عاجلاً أوآجلاً، فلتكن تلك الليلة وليتندروا به ما شاءوا، فربما ساعده ذلك في الخروج مما هوفيه، وربما وجد من بين الهزل جِدّ..

كانت الساعة قد شارفت على العاشرة ليلاً، بينا يمشي على كورنيش البحر، وقد انقطع آخر خيطٍ كان يظن أن يصل به إليها، تحملانه قدماه إلى حيث ينتظر أصدقاؤه، فيما عقله مُغيّب في حُلم صنعه، إذ يراها مُقْبلة عليه بذات الشعر الأحمر المتوهج، وذات الثغر البّاسم أبداً، وذات القد الممزوج بشيءٍ من ليونةٍ كأنه غصن، تقول :

ـ اتأخرت عليك ؟

ـ انتظرتك كتير. ويأخذ يدها بين راحتيه، فيما يتم

ـ ومستعد انتظر كمان، طول العمر.

ـ للدرجه دي.

وتخفي عينيها عن عينيه إلى الأرض في حياء

ـ حاسب يا عم، انت نايم ولا ايه..؟!

تختفي صورتها من أمام عينيه؛ لتحل محلها صورة بائع أيس كريم، و

قد اصطدم به محمود فأسقط ثلاث بولات من يده، قبل أن يصل بها إلى أمٍّ لثلاث.

ـ أنا آسف، والله ما أخدت بالي.

ينحني إليها الرجل يتملكه الغضب، يجمعها على ورقةٍ، ويرسلها إلى البحر، فيما يقول :ـ أصل انا قولتلها بلاش، دا يوم باين من أوله، حَكّمت رأيها.... لازم تنزل شغل.

ـ دي مين دي يا اخويا.

ـ أمّ العيال، يا ام العيال، وآدي أول استفتاح، ايه دا يا استاذ ؟

ـ تمن التلاته اللي راحوا.

ـ خلاص يا استاذ اتوكل على الله.

ـ يا ريس انا اللي غلطان، و...

ـ لا غلطان ولا بتاع بقى، قولنا اتوكل على الله.

ـ خلاص يا عم، انت هتزعق ليه ؟... طيب اديني واحده.

ـ اتفضل يا سيدي.

نقده محمود ورقه ماليه فئة عشرين جنيهاً، وقبل أن يعيد البائع الباقي يمسك محمود يده ويدنو منه.

ـ خلاص.. يمكن تكون ام العيال عدّاهم ولا حاجه...

يضحك الرجل ملء شدقيه، فيما يتابع سيره يصل صوته إلى محمود.

ـ احنا لا مؤاخذه رجاله قوي.. بولا، بولا، بولا..

جميل أن تضع بسمةً على وجه إنسان، أن تكون سبباً في ابتسامةٍ تعلووجه أحدهم، لا أن تكون وحدك أنت، أنت وحسب، إذ لا تدورً الدنيا في فلكك أنت، فثمة آخرون..

ينحني وبابتسامةٍ تمتد يده إليها بالبولا، تنظر الصغيرة إلى أمّها،

فتومئ لها إيجاباً، تعلووجهها البريء ابتسامةً تنشرح لها الصدور، وتزول بها الهموم.

هكذا الأمر إذاً، ليس إلا أن تنفتح على آخرين، لا تنغلق على همومك وحدك، فتموت كمَداً، بل شاركها مع آخرين، فيخف الحمل، ويقل أثر الحزن في الوجه والقلب، هذا فقط إن شاركتها مع من تثق.

فإن تَصَدّق عليك أحدهم بابتسامةٍ تهلل لها وجهك بشراً، وانبسطت أساريرك، ثم جعلتها أنت عنوان حديثك مع الناس، عَمّت بذلك البهجة وانتشرت الأُلْفة بين الناس.

كان لابتسامة الصغيرة، وضحك الرجل على ما به من فاقة، أبلغ الأثر على نفسه، إذ هدأت، وخبت جذوة النار فيها، وأيقن أنه بذلك الحزن قاتلٌ نفسه لا محالة، لذا عليه أن يُقَدر الأمور بقدرها، فيضع كل شيء في نصابه، ولا يزيد.

***

اصفرار يعلوملامح الوجه، ضيق بالصدر، صعوبة بالتنفس، غُصّة بالحلق تكاد تذهب بالنفس، حيث تقف على كورنيش البحر في الجهة المقابلة للفندق الذي تقطن فيه صاحبتها، لا يقر لها حال، مضطربة، يعلوصدرها ويهبط كمن أنهت سباقا للعدو، تُسْرع إلى هاتفها، تنقر بأطراف أصابعها على شاشته، ليأتيها نفس الرد، للمرة الخامسة والعشرين " هذا الهاتف ربما يكون مغلقا...." تدْفع بالهاتف من جديد في جيب بنطالها الخلفي، وقبل أن تعود يدها بدونه، تحمله مرةً ثانية كما

لوالتصق بأطراف أصابعها، تبحث في قائمة الأسماء، كارم، وتضغط اتصال، فيما تستدير ناحية الفندق لتراه خارجاً، فتغلق الهاتف وتعيده إلى مكانه، تود لوتطير عبر الشارع إليه.

ـ ها... عملت ايه.؟

ـ حيوان..

ـ ايه، حصل ايه ؟

ـ الحيوان اللي في الـ RECEPTION، لّمّا سألته عليها، بيعرض عَلَيّه إقامه في الفندق مع الخدمه بأسعار أقل، وفيه غيرها كتير.

ـ المهم، لقيتها ولا لأ.

ـ لأ، لأ، وبعد كده يا ريت ما تحطنيش في الموقف دا.

على أنه متحرر الفكر، إلا أنه آلَى على نفسه أن لا يَرِد مَوْرداً ولغت فيه الكلاب أوتَرِد، فاستشاط غضباً من ذلك الرجل، عَلى أنها مهنته، وما تقتضيه متطلَباتها..

لم تُلق سعاد بالاً لغضب كارم، وقد تملكتها رعشة، تفرك أصابعها بعضها ببعض، وبدا الإضطراب عليها واضحاً، إذَ أسبغ الخوف

عليها بجناحيه، تحدث نفسها، فيما تخطويتابعها في صمتٍ.

ـ وبعدين، دي تليفونها مقفول، خايفه يكون حصلها حاجه

ويلوح بذاكرتها ما حدث لها سابقاً، فتتسع حدقتا عينيها، لتتحرك

أصابعها في تلقائيةٍ تكتم صرخةً من فمها، يجذبها من ذراعها

ـ فيه ايه، مالك.؟!

ـ خايفه، ممكن.. ممكن يكون حصلها حاجه.

يخبرها في ثقةٍ أنه لم يحدث لها شيء، فتسرع عيناها تسألانه بنظرةٍ حَيْرَي، فيتم :

ـ كانت مع زبون بالليل، وسابت الفندق الصبح بدري.

ـ مش حقيقي، انت اكيد بتكدب.

تسترسل سعاد فيما يشبه الإعتذار، وقد رأت في عيني كارم شيء من الغضب، إذ نعتته بالكذب..

أصل، أصل هي وعدتني.

ـ دي انسانه حياتها كلها كده، مش بتعمل كده عشان الفلوس وبس، لأ، دي أصبحت مريضه، زي أي ست بتبيع نفسها سواء بفلوس، أومن غير فلوس.

يا للْصدمة، ما انتظرت منه مثل هذا الكلام، لكأنه تقلّد قوسه، فشد وتره وأطلق، فأصاب منها القلب والعقل معاً، كان لوقع كلماته التي رمى صاحبتها بها، فأصابتها من طرْفٍ خفِيٍّ ما أجج الغضب في صدرها، فأشعل فيه ناراً ما ظَنّت يوماً أن تشتعل بسببه، جمعت أصابعها في قبضتها تعتصرها إلا السبابة ترفعها في وجهه تُحَذّره، فيما عيناها

تقولان الكثير تؤيدهما دموعها، وتلك الرعْشة تملكتها، ثم ترفع يديها إلى أذنيها تَصُمُّهما، فيما يحاول الاعتذار دونَ جدوى.

ـ مش قصدي.... ما تفهمنيش غلط... طيب استني.

اضطربت في عقلها مفاهيم عِدّه، واختلجت نفسها بمشاعر شتى، فقد انزلق الحق على لسانه، ونطق به في غفلةٍ منه ودون شعور، فعاقبة الأمر في ذلك عليهما معاً، إلا أن الناس كل النّاس يُعَوّلون في ذلك الأمر على المرأة وحدها، إذ هي الزينة التي تُطلب، ويُسعى إليها بكل نفيس، فلا يصح بحالٍ أن تُتّهم امرأةً في مثل هذا ويُبَرّأ الرجل، أن تُنْكر عليها فيما لا يُسْأل هو فيه، أن تُؤخذ به فيما لا جريرة عليه....

بل الجريرة عليهما معاً، إذْ كلاهما شَرَكٌ في الأمر، وعليهما يقع الوزر، وبهما لا بأحدهما يتم الأمر، فكما تبيع المرأة نفسها لقاء متعةٍ أومالٍ، يفعل صاحبها.

أيُّ ألم يعتصر القلب ؟! بل أيُّ حَيْرةٍ لا تقر معها النفس، فإلى أين، وإلى من ؟؟؟.

ساقتها قدماها إلى حيث رفاق الكلمة، إلى قصر الثقافة، حيث رفيق درب الفكر والأدب، علّها تجد عنده من العقل والرأي ما تهدأ به نفسها، وتقر عينها؛ فليس أصدق منه لساناً، وأوعَى جناناً، وأحرص عليها فيمن تعرف، لتطارحه فكْراً بفكر، ورأياً برأي تثق فيه، ولكن كانت الضربة الثالثة بعد فقد صاحبتها، وتعكير صفوٍما بينها وخليلها.

ـ مساء الخير استاذ والِي.

ـ مساء الخير يا استاذه، حَلَلْتِ أهلاً.

تتحرك عيناها في المكان الخالي من رواده على غير ما تنتظر.

ـ هو مش كان فيه ندوه الليله.

ـ كان، وسبق وأعددنا لها، غير أن أحد المتحدثان قد اعتقل، فلما علم الآخر آثر السلامة، ولَزِم بيته.

ـ ايه، اعتقل، مين ؟!

ـ شاعر الفصحي، لسان العامة والخاصة، بقيّة من ضميرٍ ظنناه فُقِد، فلما استوثقنا منه... فُقِد.!!

ـ عاطف...!!! امته، وازاي.... وليه ؟؟؟!!!

ـ كنتُ وهو على موعدٍ في هذه الدار، نُعد للندوة الشعرية، فلما انتهينا، واجتمعت لنا اسبابٌ نجاحها على الوجه الذي نرجو، كان ما لم أتوقع، على أنه حدّثني أحدهم به.... لكأنهم هبطوا من السماء، إذ ما رأيتهم حال قدومي، ستة أوسبعة لا يقِلُّون، في زيهم الأسود، مدججين بالسلاح، مقنعين لا يُري منهم غير سواد أعينهم تدور في بياضها، ما سأل أحدهم، أوتكلم، ما هو إلا أن أحاطوا به، فغيبوا رأسه في كيس أسود وكبلوا يديه خلف ظهره واقتادوه، هَمَمْت ساعتها أن ألحق بهِ، فنظر إلَيّ كبيرهم بعينين حادتين ولسان حاله يقول :ـ

ـ إياك، إجلس وإلا ...

ـ وبعدين... رُحْت وراه.؟

ـ قد والله ضحكت من نفسي حد البكاء، إذ لمّا أفقت من شرودي وجدتني جالس على الأرض، وقد مرّت عليَّ دقائق كأنها أيام، لا أعرف ما أفعل، غير أنه خطر لي خاطر، فَرُحْت إلى الباب ثم قَفَلْتُ راجعاً، وظللت هكذا أروح وأجيء حتى تذكرت صاحبنا الثاني، فهاتفته، فلما علم من أمر صاحبه ورفيق دربه ما علم؛ أغلق هاتفه، وآثر السلامة، ولَزِم بيته

***

يعمل منذ مُدّة كمدير لقصر الثقافة، خمسيني، مثقف، من أرباب الكلمة، وأصحابَ الرأيً،على استحياء يحاول الموازنة بين صدق الرأي والبقاء في مكانه، يغازل النظام مرّةً، ويعارض أخرى، مُحب لِلُغته العربية ومن الدعاة للحديث بها، وهوما تعجز سعاد عن مجاراته فيه والكثير غيرها، غير أنها تفهم عنه، وإن قصّر لسانها عن مجاراته.

***

امتلأت عيناها بالدموع وقد ألجأها الخبر إلى أقرب المقاعد فجلست.

ـ وليه عاطف ؟ ليه ؟!!

ـ شأنه شأن آخرين سبقوه، ويلحقوا به.

ـ لكن عاطف عمره ما كان له نشاط سياسي، ما عندوش غير الكلمه!!

ـ ليست كأي كلمه، فهي أقوى من الرصاص، وأمضى من السيف.

ـ ازاي ؟! الرصاص بيقتل، الكلمه لأ، الرصاص بينشر الرعب، الكلمه لأ

ـ أضحكْتِنِي في غير موضع الضحك... يا عزيزتي، إنما تقتل الكلمة، وما تنطلق الرصاصة إلى هدفها إلا عن كلمه، وإنما يتفرق الجمع، ويجتمع المتفرقون عن كلمه، وما عاطف إلا كلمه، إنما يدور الحق على قلبه ولسانه، فهوأثقل وأمضى من أصحاب الرصاص والقنابل.

تفلّتت الدموع رغماً عنها، فتتابعت على وجنتيها، وزاد احساسها بالوحدة، واستشعرت في نفسها ضعفاً ما أَحَسّت به من قبل، فقد فقدت في يوم واحدٍ ثلاثتهم، صديقتها التي كانت تتعرى أمامها من دواخل نفسها، فتخبرها بما أَلَمّ بها، تنشد عندها راحة النفس وطُمَأنينتها، وصديقها الذي كانت تتعرى أمامه فِكْراً، وعقلاً تنشد عنده سداد الرأي، واستيقاظ العقل، وانتباهه، وثالثهم خليلها ذاك الذي كانت تتعرى معه جسداً، تنشد معه راحة هذا الجسد وهدوء ثورته، فلم يكن يوماً بالمحب الذي ينفطر قلبه، إنما هوتوافق عقلي حيث الفكر المتحرر، وجسدي حيث الرغبة الجامحه.

فإلى أين ؟ وإلى من ؟ إلى أين ؟ وإلى من ؟

ألا أيها البحر... إنما هو حديث النفس للنفس تشهد عليه.

***

كُلُهنَّ يتشابهن، كأنهن صورة واحدة تم تكرارها، مع الاختلاف في الاسماء وبعض الملامح التي تميز الواحدة عن صاحبتها.

هكذا هُنّ أمهات هذا الحي، وكل حيّ كأنهن وُسِموا بطابع واحد وهيئةٍ واحدة، وكأنّ القدر قد نسجَهُنّ من طيّات هذه البيئة التيَ يَعِشْن فيها، ثقافةً، وخُلقاً... لكأنه خَلْقاً أيضاً.

جاورتها شبيهتها في جلستها أمام بيتها كما هي عادتها، خمسينية شارفت على نهاية العقد السادس من عمرها تشبه أمّ نُصحي في كل شيء، غير أنها أدِم لونها فصارت تمتاز عليها بِسُمْرةٍ خفيفةٍ تلمع معها وجنتاها؛ لسقوط ضوء الشمس عليها كم ا لوبرزت في كل وجنةٍ نجمةٌ برّاقه.

ـ بقول ايه يا ام نُصحي... أدِيلي يومين تلاته مش شايفه سلمى، هي تعبانه ولا حاجه.

امتقع لونها، وجالت بعينها دمعةٌ كادت تنساب على وجنتها غير أنها عاجلتها بأصابعها، تفرك عينها أن لا ينكشف أمرها.

ـ يا اختي التراب مالي الشارع.

وتتم تقول :ـ بس انا زعلانه منك، وعلى العموم ألف مبروك.

ـ مبروك على ايه، وايه اللي مزعلك.؟!

ـ هتخبي برضه، ما كانش العشم.

ـ يا ختي العشم موجود، وبيزيد، بس انا مش فاهمه حاجه.

استطاعت ام نصحي بذكائها الفطري أن تقود جارتها إلى حديثٍ آخر بعيداً عن سلمى، فانساقت خلفها، وقد أخذها الفضول تستوضحَ الأمر من جارتها أم نصحي.

ـ بقى تخطبي للواد، وأعرف من بَرّه.

ـ سيد...!! وحياتك ما حصل، انا عارفه مين اللي قالتلك، بس مش وقتها، ليها رُوقه...

وتُتِم أم سيد، فيما أم نصحي تتنفس الصُعداء، وقد هدأت منها نفسها بما ظنت أنها نجحت فيه.

بس كويس انك فتحي الموضوع، ما كنتش عارفه ابدأ معاكي ازاي

ـ موضوع ايه.؟

ـ خطوبة سيد... طبعاً انتي عارفه سيد كويس، وعارفه...

وانطلقت أمّه تعدد مزاياه وتَذْكُر مآثره، ولا يخفى عن جارتها حاله، مذ كان صغيراً حتى شَبّ، وامتهن الحلاقة، وسرعان ما اشترى موتوسيكلاً، ثم لم يلبث أن أستبدله سيارة ـ ١٢٨ ـ وكان ذلك يوم عيد لأمه حيث جاورته فيها تدور معه في شوراع المنطقة، وقد أقسمت عليه

أن لا يخرج منها حتى تدور حولها بالبخور، ثم إنه ما انفك يعمل جاهداً حتى استبدلها بأخرى احدث منها عقداً من الزمان، هوولا ريب الفتى المثالي من أبناء المنطقة.

ـ وانتي اللي مربياه، وعارفاه كويس.

لكنها تعرف ذلك كله، فما حاجتها لأن تعيده، وتعدد مآثره.

ـ وبعدين يا حُسْنيه، عايزه تقولي ايه ؟

ـ الواد من زمان وعينه من سلمى..

ـ سلمى....!!!

ـ بس انا قولتله أبداً، ما افتح بُقي بكلمه مع ام نصحي إلا لما تجهز نفسك، قولتي ايه يا اختي، وانتي عارفه ما فيش غيري انا وهوه، وهشيلها جوه عيني.

أُسْقط في يدها، وأُلْجمت الصمت، فكيف ستجيبها ؟ وبأي شيء تتعلل ؟

وإن تهربت منها اليوم، فكيف بالغد ؟ وما بعده، وما بعدهما ؟؟.

ـ ساكته يعني.. مالك يا فاديه، انتي ما أخدتيش حباية السكر النهارده.؟

ـ أخدتها، ما تقلقيش، دوخه بسيطه وهتروح.

ـ واد يا سالم، يعني طالع من الباب بسرعه كده كإنك مش شايفني.

يقف لثواني يرفع رأسه لأعلى ينفث نيران غضبه، ويعود إليها بوجهه، وقد ارتسم الغضب على ملامحه، كأفضل ما يكون عمل الرسّام.

فتتم المرأة :ـ ارمي السلام طيب، دا السلام لله.

ترفع أمُه عينيها إلى عينيه، وكأنما تعيد توجيه السهم الذي أصابتها به جارتها إلى سالم.

ـ أم سيد جايه تطلب سلمى لابنها.

ـ ابنها مين...؟

ـ هي عندها غيره..؟! سيد...

مفاجأة لم يكن يحْسِب لها حساباً، ولم تَدُر بباله ولا ببال أحد، غير أنه كان عليه أن يتملص منها إلى حين، فكان وما نفث لوز في روعه.

ـ إحنا نودوها لغاية البيت يا ام سيد.

ـ تعيش يا سالم، أصيل من يومك.

ـ بس، سلمى بقالها كام يوم عند خالتها في البلد، بتذاكر عشان الامتحان، وما يصحش نشغلوها بالحاجات دي دلوقت..

ـ طبعاً، أُمّال ايه.

ـ يبقى بعد الامتحانات، أمّا ترجع بالسلامه.

ـ عين العقل يا سالم..

تنظر إليه أمه باستغراب، فيما حدجها بنظرةٍ ساخرةٍ قبل أن يتركهما.

ـ أهوسالم دا رغم انه حِمَقي وبتاع مشاكل، بس ساعات كلامه بيعجبني، مبروك عليكم سيد يا ام العروسه.

يا للفاجعة، وأنت أيضاً، لكأنما الفؤاد فرغ، والبال خلا، والنفس هدأت، حتى يكتمل الأمر بكِ، قد والله أتت هذه وقبل أن يندمل الجرح، فنكأته بسكينٍ حادٍ، فسال الدمُ من جديد.

إن هي إلا أيام وينقضي الإمتحان، ويوضع الجميع في امتحانٍ أكبر، وما أمّ سيد إلا لسان أنثي، هي كلها... وكأنما اجتمعت جوارحها في لسانها، ما سكتت عن أحَدٍ قط، وما تَهَيّبت أحداً قط؛ فيبقى سيفها في غِمْده، فما بالك والأمر يخصها، وهذا ابنها، وحيدها، لتكونن مَقْتلة بَلسانها، وهوأحَدُّ من السيف وأمضى منه.

فكم من قتلى لهذا اللسان.! فإن فعلت، فسيكونون مضغة كل فم، وستأتي بالقديم إلى الجديد، وتعيد ذكرى ما كان إلى ما حدث.

إن هي إلا أيام وستطلب عروس ابنها، إن هي إلا أيام...

جعلت الأفكار تروح وتجيء بعقلها، وقد غلبها الحزن فعاجلتها قطرات من عينها أسرعت إليها بطرف كُمّها أن لا تلحظها جارتها.

ـ مالك يا فاديه، انتي بتبكي..؟!

ـ أنا..لأ... أصل، أصل سلمى وحشتني اليومين دول.

ـ أُمّال لمّا تيجي عند سيد هتعملي ايه.؟ وبعدين سيد ابني حِمِش، هوصحيح طيب، وابن حلال، بس مش كل يوم والتاني تلاقيها عندك، آه.

ما هذه الثقة ؟! لكأنها عَقَدَت عليها، واستوثقت منها عروساً لابنها، لتكونن المفاجأة مدويه، ولتكونن الفضيحة على نفس المستوى، بل أكثر دوياً وصخباً، ولكن، لابد لسالم من رأي فيما اتخذ، ولن يلقي بسمعته بين فَكّيْ هذه المرأة، وهوأعلم بها، فإن كان الناس يهابونه، فهيبتهم لها أعظمٍ وأجَلّ، ولا شك هومنهم، فكلاهما يتهيب صاحبه، ويقيم له حساباً، ووزناً، إذ قد تجرأ مرّة وحاول بسط نفوذه على وليدها، ذاك الغِرّ الضعيف، الذي يحمل أثقل ما يحمل مِقَصّا ومشطاً، إلا أنها جرّدت لسانها من غمده، وأطلقته فيه وصاحبه ـ لوز ـ كلبُؤةٍ تذود عن جَرْوِها، فما كان منه إلا أن أرسل إليها لسانه ـ لوز ـ مهدئا ومُرَوّعاً، مُطَمئناً ومُخَوّفاً، فكان الإتفاق الغير معلن، والغير مكتوب، والذي لم يتلفظ به أيهما، أن تُمْسك لسانها عنه، ويُمْسك يده عن صغيرها.

ـ سلاموعليكم.

ـ وعليكم السلام... جاي بدري يعني يا سي نصحي.

تعلووجهها ابتسامةٌ عريضة في تغنج لا يليق بهذا الجسد المنبعج من جهاته الأربع، ولا وتلك السنوات من العمر، تنظر إليها أم نصحي في تعجبٍ، فيما يرد نصحي في غير نشاط.

ـ تعبان شويه يا ام سيد، هريح شويه وعندي نوباتجيه بالليل.

ـ الف سلامه على بدنك يا سي نصحي، أعملك حاجه،أي حاجه، انت تؤمر أمر.

ـ تشكري يا ام سيد.

تتابعه حُسْنيه بعينيها حتى غاب داخل البيت، فيما تتبع عينيها عينا أمّه.

ـ والله خساره الجدع، طول، بعرض، والله يا فاديه ما هيصلح حاله غير بت الحلال.

ـ ما انتي عارفه انه مجرب قبل كده.

ـ لا يا اختي، مش كل النسوان زي بعض، وبعدين انتي ما قولتيلوش ليه على موال سيد وسلمى... انا هقوم اقوله واسمع رَدّه بوداني..

تجذبها من ذراعها لتعيدها بجوارها، على أنها ما فارقت مِقْعَدَتِها مكانها، إن هوإلا أن مالت قليلاً تتهيأ للوقوف.

ـ اتهدي يا وليه واقعدي.

تأيّمت عليه، وأبت إلا أن توقفَ نفسها له، على أنّ أحداً لم يطرق بابها، ولم تَدُرْ ببال أحد من رجال المنطقة، بعد أنْ وَلّى عنها والد سيد وتركها أرملةً، لم تكن أًبداً مطمعاً لأحدٍ، لا مال، ولا جمال، وزِدْ على ذلك كونها مَعِيلة.

أقنعت أم سيد نفسها، ودأبت على تكرار ذلك أمام نساء المنطقة،

أنها إنما أوقفت نفسها على ولدها، فأضاعت لأجله شبابها، ومضى منها قطار العمر في رعايته وتربيته... وآن لها.

نعم، آن لها، ولم تجد غير ذلك الفتى نصحي، فليس لأي منهما مَيْزة يطمع فيها صاحبه، أويمتاز بها على الآخر، فينفر منه أًويطمع فيما هوأفضل، غير أنها حاجة يقضيها كل منهما، فتقر النفس وتهدأ.

لم يكن أمامها غيره لتلقي عليه بظلالها، حتى تلحق معه القاطرة الأخيرة من قطار عمرهما..

كل انسان لا محالة يوضع في زمنٍ ما موضع الاختيار، في وقتٍ ما، في مرحلة ما من عمره يختار، ويترتَّب على هذا الاختيار مسار حياته بعد، إلى أن يكتشف خطأ اختياره فيندمِ ـ حيث لا ينفع ندم ـ أوصواب اختياره؛ فيحمد الله إذ التوفيق منه ما بَلَغْتَ من علم ومعرفه.

لا ريب عَنّ لكلٍ منا أموراً حار فيها، لا يعلم كيف تأتّى له أن يفعل فيها كذا ؟ أوأن يقولَ كذا ؟ أوأن يكون اختياره على هذا الشكل، وإلى هذه الناحية ؟ بل كيف تأتّى له أن يتخذ ذلك القرار الذي لوعاد ثانيةً..

عاد ثانيةً..!! العَوْد، لا ريب تمنّى كل أحدٍ ذلك يوماً، أن يعود به الزمن إلى الوراء؛ ليختار غير الذي اختار، ويرافق غير الذي رافق، إذ قِلّة هم من وُفِّقوا في اختياراتهم، ولكن هيهات، إذ لا عَوْد، فكلٌ مَرّ باختباره وكان ما كان من اختياره.

واعلم أنك لوعُدت إلى زمن الفتى العشريني الذي تتمنى، فلن تعود بعقلية الأربعيني ذاك الرجل الناضج فكْراً، وعقلاً، ووعياً ! بل إنك ستعود إلى ذات العمر بذات العقل، وذات الفكر، والثقافة ذاتها، وقِلّة الخبرة نفسها، وعمدة ذلك وتمامه في قول الحق تبارك وتعالى " ولَورُدّوا لعادوا لما نُهوا عنه " صدق الله العظيم،

وذلك إنما هوتمام الحكمة وقِمّة العدل، إذ كلٌ مَرّ باختباره.

***

تُدَوّي ضحكاته في الشقة، ثلاثيني، تبرز حول رقبته سلسلة ذهبية تتدلي داخل ملابسه، أمرد إلا من شارب كخط قلم أسفل أنفه، يميل إلى قنينة الخمر القابعة في منتصف ترابيِّزة السفرةً بجوارها كأسان، يملأ أحدهما، يرشف منه رشفة ثم إلى الشرفة، حيث تقف تتجه بعينيها إلى البحر يتطاير على جسدها قميص شفاف، يدنومنها يطبع قبلة على كتفها العاري، فيما تمتد يده بالكأس إليها.

ـ جواز ايه بس، دي قيود ما لهاش لازمه.

تتناول الكأس منه، تنظر إليه فيما تقول :ـ قيود..!!

ـ طبعاً، بزمتك يا سلمى، مش كده أحسن.

ـ بس يا شريف انت قولتلي..... يقاطعها.

ـ قولتلك اللي انتي عايزه تسمعيه، لكن الصح غير كده خالص.

تدور رأسها من كلماته، وما قارب الشراب فمها بعد، يرفع يدها بالكأس إلى فمها، يستعين به مع وسْوَسته أن يصل بها إلى ما يريد، ترشف منه، فيما يتم :

ـ فاكره أول مرّه شربتي فيها، كلمتيني عن الصح والغلط، واللي ينفع واللي ما ينفعش، اللي لومشينا بيه ما كنتيش سيبتي بيتك بالطريقه دي.

تحاول الدفاع عن نفسها، فيضع أصابعه على فمها ويكمل.

– أنا مش بعايرك، لأ... انا بحاول أوَصّلّك ايه الصح.

لحظات من الصمت، تنظر إلى الكأس بيدها، ترشف ما تبقى فيه؛ لتعمد إلى قنينة الخمر، يلحق بها واضعاً فمه في أذنها، ينفث فيها سمومه يهمس كفحيح أفعى، فيما تملأ كأسها.

ـ الصح إن الجمال دا يعيش في شقه على البحر، يكون عنده حساب في البنك، يركب عربيه... تعيدها همساً

ـ عربيه..!!

ـ طبعاً، شهر والتاني ندفع مقدم عربيه، وشويه كمان نفتح حساب في البنك... دي ممكن تكون هديه.

ـ عربيه.. هديه..!!

لعبت كلماته برأسها كفعل الخمر التي تشرب، فجعلت تحلم بما يمنيها ويُزَيّن لها، حتى رأى في عينيها بريق رضاً، وما كان ذلك عن سلطانٍ له عليها، إن هي إلا وَسْوسة شيطان وجدت بيئةً خِصبةً للانحرافٍ، وَسْوَسة شيطان وجدت عقلاً سئم الفقر، قلباً سئم الحَزن، جسداً سئم التحكم فيه وكبح جماحه.

لم تكن سلمى يوماً بالفتاة ذات الدين التي تجد وازعاً من دينٍ يَحُدُّ حركتها فلا تنفلت، ويُقَيّدها فتنضبط، لم تجد يوماً أباً أوأماً أوأخاً يُقَوّم سلوكاً فيُصَوِّب الخطأ، ويـُثْني على الصواب، ومن ثم يعمل لديها وازعٍ من ضميرٍ يؤرقها حال الخَطأ، كانت سلمى بين يدي هذا الشيطان لقمة

سائغة، إن هي إلا دقائق زيّن لها ما تتمنى، وما حلُمت به دوماً، حتى سال لعابها فلاكها بين أسنانه، ولا ريب يفعل، إذ هي سلعة رائجة يطمع فيها كل ذكَر فضلاً عن ذي مالٍ ونفوذ، وذلك دَيْدنه في تصيّده للفتيات يستخدمهن إلى حين، ثم إنها بعدً تستقل عنه، أوتعود إلى رُشْدها، فيعيد الكَرّة بعد الكرّة باحثاً عن غيرها، وهكذا حاله، وهكذا يكون صيده، وهكذا يلقي بشباكه، وقلّما يخيب في سعيه، فثمّة عوامل كثيرة تساعده في سعيه، فتكون عوناً له على صيده..

" الجهل، الفقر، المرض "

مثلث الرعب، مثلث الضياع، الذي قَلّ من ينجومنه، فمن عاش رَدْحاً من الزمن بين جدرانه الثلاثة، يتقلب بينهم، يتخبط يميناً وشمالاً، لا يتورّع يوماً عن مسلك يخرج به خارج هذا المثلث إلى دنيا يؤمِّل عيشها، وقَلّ من ينجوفالوسيلة تبررها الغايةُ، أياً كان هذ ا المسلك وهذه الوسيلة.

آفة المجتمع هؤلاء الفسدة، إذ لا يفسد فاسدٌ بذاته وحدها فينحصر ضُرُّه على نفسه وحسب، لا، بل به يفسد غيره، وبغيره يفسد آخرون، وبالجميع يفسد المجتمع بالجملة، فيسقط في جُبٍّ لا قرار له.

ـ احنا رايحين على فين ؟

ـ من الليله، هتبدأ حياه جديده ليكي، يعني اللي فات ترميه ورا ضهرك، كأنك ما عشتيهوش، دا على فرض انك كنتي عايشه أصلا.

تنظر من نافذة السيارة تُتَابع الصور التي تَتَتابع في سرعة في عكس اتجاه السيارة، فيما يتم.

.... هاتي تليفونك ؟

تخرج هاتفها من الحقيبة تناوله إياه.

ـ افتحي الغطا وطلعي الخط..... تمام.... حطي الخط على التابلوه وهاتي الفون.

يفتح زجاج السيارة ويلقي الهاتف.

لم تنطق ببنت شفه، لم تحرك ساكناً، فقط، اتسعتا عيناها، وأسرعت بناظريها إلى الَخلف ظناً منها تودع هاتفها العتيق بنظرة حَيْرى، ثم تعود إليه بذات العينين تسألانه.

ـ أولاً ما يليقش بيكي، ثانياً مش عايزك تغلطي وتفتحيه، وحَد يرن عليكي.... افتحي التابلوه اللي قدامك.

ـ ايه ده... دا تليفون جديد.

ـ وبالخط بتاعه، وما عليهوش غير اسمي بس، شريف حمدي.

ـ الله، دا جميل قوي.

ـ يا حبيبتي دا اللي يليق بيكي.

يتوقف بهما في جانبٍ، تنظر من نافذة السيارة.

ـ وقفت ليه ؟.

ـ انزلي وهقولك.

تضع سلمى علبة الفون في حقيبتها، وتتبعه خارج السيارة، حيث تعلوالمكان يافطة كبيره " بيوتي سنتر ميمي "، تناديه همساً، وقد سبقها إلى الداخل.

ـ شريف.. شريف.

إنها المرّة الاولى التي تدخل فيها سلمى مثل هذا المكان، فلم يكن لديها رفاهية التزين خارج غرفتها، وجُلّ ما كانت تملك من أدوات الزينة مصفف الشعر، وقلم روج يكاد لونه لا يُرى، وزجاجة عطرٍ من تلك التي امتلأت بها أرصفة الشوارع، تراقبه من بعيد يتهامس مع سيدة قبل أن يشير إليها فتلحق به.

ـ سلمى اللي كلمتك عنها، ميمي أختي، صاحبة المكان.

ـ يخرب عقلك يا شريف، ايه الحلاوه دي.

ـ متشكره.

ـ لا يا حبيبتي، انا عايزها تطلع من هنا حاجه تانيه.

تمسك ميمي بيد سلمى

ـ لفي يا قطه.... يا بني دي مش محتاجه حاجه، دي أحلى من اللي خارجين من هنا.

ـ يعني آخدها وامشي.

ـ لااااأ... تمشي ايه، سيبهالي وامشي.

تدور ميمي حول سلمى، ترفع عينيها إلى رأسها حيث طرحة تستر شيئاً من شعرها :ـ أظن دي ما لهاش لازمه دلوقت.

وتجذبها عن رأسها فينطلق شعرها أسوداً طويلاً كأنه الليل،فاتسعت عينا ميمي :ـ مش بقولك، مش محتاجه حاجه.

تنادي ميمي إحدى الفتيات، فتسرع إليها.

ـ خُدي سلمى، foundation بس، انا اللي هكمل معاها.

تنظر سلمى إلى شريف، كأنما تطلب منه إذنا، فيومئ لها، فتتحرك مع الفتاة، فيما تسحبه اخته من ذراعه إلى الباب.

ـ جبتها منين دي ؟!

ـ مش قولتلك معايا صاروخ

ـ وناوي على ايه.؟

ـ دي بقى غير اللي فاتوا كلهم، وبعدين لسه عروسه، والعريس لازم يكون تقيل قوي.

ـ خلي بالك، المانجه لما بتكتر في السوق قيمتها بتقل.

ـ لاااا خلاص، انا اتعلمت من اللي فات، الـsystem هيتغير، والمانجه هحافظ عليها في تلاجتي، مش هتنزل غير للزبون اللي يستاهل.

ـ هنشوف.... محفوظ جهز الكاميرا..

عالمٌ آخر، حياة أخري، زينة تخطف الأبصار، وتسحر العيون، وتأخذ بعقل اللبيب، انطلقت سلمى من هذا المكان، لتتحول عن بيئة تظنها ضحلة إلى أخرى ربما تكون أكثر ضحالة، غير أنها تتلألأ نجومها عن وَهجٍ، وأقمارها عن حجارةٍ.. زينة خادعه.

***

بكالوريوس تجاره، عشريني، شارف على نهاية العقد الثالث، نحيف ذوملامح تتسم بشيء من الوسامة، أقنى الأنف، أدق الذقن، وجهه أقرب إلى المثلث المقلوب قاعدته جبهته العريضه، ورأسه ذقنه المستدق نوعا، أطلق لحيته في غير استطالةٍ، فاستتر منه شيء من استطالة وجهه، ونحافته؛ فأكسبته شيئاً من الوسامة، وكأنما تحقق فيه قول أمّ المؤمنين حيث أقسمت " والذي زيّن وجوه الرجال باللحى " وما كان إطلاقه اللحية عن تدين، أولرأي فيها، إنما هي زينة يتزين بها، كما تتزين المرأة بعقال الرأس ـ بأشكاله المختلفة ـ عقدته تُبدي شيئاً من شعرها أسفله أوتستر الكل، يرشف بين الحين والحين من كوب الشاي الموضوع أمامه، ينظر في هاتفه، يحدث نفسه :

ـ إتأخرت ليه ؟!

وقبل أن يضع الهاتف أمامه على الترابيزة يعلورنينه بصوت أم كلثوم بعيد عنك حياتي عذاب، ارتسمت على وجهه ابتسامة أضاءت لها قسمات وجهه.

ـ ألو..... ايوه يا مُنَى........ انا منتظره في القهوه....انا قولتلك

الأول، وبعدين كان لازم اشكره.....طيب هكلمك بعدين، سلام دلوقت...

يقف عن مقعده يستقبل محمود يصافحه

ـ أهلاً يا بشمهندس.

ـ ازيك يا فوزي، عامل ايه.

ـ تمام يا هندسه، الحمد لله.

ـ طبعاً عارف المهندس اسماعيل.

ـ طبعاً، قابلته مع حضرتك قبل كده.

يجلسا فيما يسرع فوزي إلى داخل المقهى يحضر كرسياً ثالثاً.

ـ كيفك يا فوزي، وكيف الشغل عند الشرنوبي.

ـ الحمد لله يا هندسه، ماشيه، والبركه في المهندس محمود.

ـ خَلِّي بالك، شغلهم كَتير، وهتاخد خبره كَبيره معاهم.

ـ دا صحيح يا هندسه، وبعدين أول ما عرفواني بفهم في كاميرات المراقبه، الاستاذ زكريا خلاني مشرف عليهم جنب شغل الحسابات.

يلمح فوزي في عيني محمود استغراب، فيتم قائلاً :

.... يعني لوحاجه عطلانه أبلغ الاستاذ زكريا، واشوف الشرايط لوفيه حاجه غريبه أديله فكره، وكده يعني.

تشدوأمّ كلثوم من جديد بعيد عنك حياتي عذاب، يتناول فوزي هاتفه ينظر إلى شاشته المضيئة، ثم يقف.

ـ أنا بس حبيت أشكر حضرتك يا هندسه.

ـ على ايه يا فوزي، لوفيه أي حاجه كلمني.

ـ ان شاء الله يا هندسه، سلاموعليكم.

ـ وعليكم السلام...

... اتنين قهوه والشيشه يا بني...

لم يَخْل بال محمود بعد، فلم يزل القلب ينبض بها، والجرح أعمق من أن يندمل، أوتُنسيه الأيام ذلك الوَجْد، فقد ألقى بنفسه وقلبه وجوارحه بين يديها، وأمّل ساعتها أن هي، هي، ولا أحد غيرها، وكأنما خُلقت له وخُلِق لها، وكأنما مُذ عَقِل وهويبحث عنها في وجوه الفتيات اللاتي قابلهن، وأنه مذ تلك الليلة وقد أقلع باختياره، أورُغْماً عنه عن ليالي المجون والعربدة ـ في شقة العجمي التي يملكها أحد أصدقائه ـ ولم تكن تلك الليالي في جملتها نظير أجر لفتيات الليل، وإن لم يَخْل الأمر من ذلك، بل كانت استفادة مزدوجةً، يقضين ليلتهن يأكلن ويشربن ويرقصْن، ويهْزين، و... و... حتى ترتفع الشمس، ويجد الواحد منهم نفسه أورفيقته، أوكلاهما معاً مستيقظاً في الحمّام، أومسْتَلْقٍ على الأرض بملابسه أوبدون، وقَلّ أن تجد أحدهم في سرير.

فقد اتفق له مرّةً أن استيقظ ملقىً في الصالة رأسه في فخذ امرأة

نصف عارية، يسرع إلى الحمّام يُطلق العَنان لمثانته، يتألم لذةً وقد انطلق الماء حتى أفرغ كيسها، يلقي بناظريه إلى مرآة الحمّام؛ فإذا وجهه ملطخاً بالمكياج كما لوعَمَدت إحداهن إلى وجهه تُعده إلى فقرةٍ في السيرك، حيث جاوز الروج شفتيه مُحلّقاً حولهما، واحمرّتا وجنتاه، وبرز الكُحْل أسفل جفنيه وأعلاهما في خطين أسودين يدوران معهما، فصارت عيناه كقِدْرين دمّمتهما النار بالسواد، ألوانٌ شتى في لوحةٍ سيئةٍ، أولمهرج مبدع، جعل يتفحص وجهه، ينظر عارضه الأيمن، ثم الأيسر دافعاً لسانه في جانبي فمه، ومع هذه الألوان التي تداخلت في وجهه لم يلحظ ذلك !!

بل أفرغ مثانته ونظر في المرآة كما هي عادته، ولم يلحظ ذلك.!!

يتجول في الشقة باحثاً عن صاحبها ـ صاحبه ـ حتى وجده ملقى في

الصالة خلف أريكة تجاوره فتاة شقراء في نصف ملابسها، وقد أَلْقم كلٌ منهما قدمه في فم صاحبه، وشيئاً فشيئاً يعود إليه وعْيه، ويأخذه الضحك، حتى ألجأه إلى الأريكة بجوارهما.

استيقظا لضحكه، فجعلا ينظران إليه ويضحكا، هيستيريا من الضحك المتواصل تملكت الجميع، يشير صاحبه إليه، فيما يتقلب على الأرض، يبكي ضحكاً، ثم كانت المفاجأة التي أضحكته حد البكاء.. نعم حد البكاء، يرفع قدمه اليمنى على اليسرى، وقد هدأت نفسه قليلاً، فيرى ركبتيه وقد انحسر عنهما الرداء، يا للفاجعة، إنه قميص نوم حريمي...!!

ضحك وضحكا، وقد انتوى يومها أن لا يعود... إلا انه عاد، حتى

التقاها.

ـ ها، يا سيد.... فُكّها بقى، ربنا يفكها عليك... لِسّاك بتفكر فيها.؟

ـ فيها وفي غيرها، افتكرت كنت فين وبقيت فين..

ـ كنت في البيت، وأديك في قهوه والبحر قِدامك... ما تبصليش إكده، بضحك معاك..

الْتقم اسماعيل الشيشة يسحب نفساً طويلاً، يرفع رأسه لأعلى يُطلق الدخان في الهواء، ثم يتم فيما يراقبه محمود ممسكاً على ابتسامة.

... كَمّل يا غالي، قوووول، كُلّي آذان صاغية... وشيشه عَمْ بتكَرْكِرْ.

... ايه، مالك، شارد في ايه..... آه، عاجباك البت المِسَلْوَعَة دي، وتقولي كُت وبقيت، واتغيرت، والحب بيغير، تلاته بالله العظيم اللي فيه داء ما.... ايه على فين.؟!!

انتفض محمود من مكانه، واسرع يُهرول خلفها، في ذهولٍ من اسماعيل، وفي غير ثقةٍ من أنها هي يناديها.

ـ سعاد، سعاد...

توقفت سعاد واستدارت إلى مصدر الصوت، وانفرجت أساريرهما معاً، فيما يتابع اسماعيل المشهد من بعيد في ذهول.

ـ محمود.!!

والتقت أيديهما في شوقٍ، ولهْفةٍ وكأنما التقى كل منهما في الآخر بُغْيته،

وكأنها التقت فيه صاحبتها، وكأنه التقى فيها حبيبته.

ـ أخبارك، وأخبار.... دعاء.؟

بدأ ذلك البريق في عينيها يخبو، وتلك الفرحة تنزوي وتذهب.

ـ أنا كنت هسألك عليها..

ـ ازاي، هي مش معاكي.؟!

ـ المفروض انها معاك انت.

ـ معايا انا، هي قالتلك كده.؟

ـ هي ما قالتش حاجه، تليفونها مقفول من آخر ليله قابلتك فيها.

ـ يعني، كانت هتقابلني فعلاً.؟

ـ أيه ده، انت ما قابلتهاش..؟!!!!

اغرورقت عيناها بالدموع، تمسكه من ذراعه تستوثق منه، فيما تقول:

- انا وصلتها بنفسي لحد الكافتيريا.

ـ انا انتظرتها طول الليل في الكافتيريا، لكن هي ما جاتش.

تحركت يدها في تلقائية إلى صدرها ـ الذي أخذ يعلوويهبط كما لوأنهت لتوها سباقاً للعَدْو تمسك على ما فيه تعلوقسمات وجهها علامات الفزع

ـ يعني ايه.؟..راحت فين ؟ انا طول الأيام اللي فاتت، وانا مُعْتقد ان

هي اللي رافضه تقابلني، ورغم كده دَوّرت عليها.

ـ بالعكس، دي كانت سعيده جداً.

وتنساب دموعها مع نهْنَهةٍ عَمِلت على ان لا تصل لأحد.

... أكيد حصلها حاجه...

*السراب، من أكثر الأشياء مرارةً " يحسبه الظمآن ماءً....." إنما هوسراب، ظنّه الظامئ ماءً يروي عطشه ويُرَطّب كبده، فإذا ما وصل إليه

لم يجده شيئاً فتملكته الحسرة واليأس.

تلك هي الحسرة ولا ريب، والألم يأخذ بالنفس، أن تؤمِل أملاً ثم لا تجد من أملك هذا شيء، بل تعود صفر اليدين خالي الوفاض إلا من حسرة تعتصر القلب، وألم ينخر بالجسد، وضيق يطبق علَى صدرك كأنك غريق يبحث عن الهواء فلا يجده، فتتمنى ساعتها لوظل أملك هذا أملاً تحلم به عمرك كله، ولا تُحصّله، فقط شيءٌ يبقي على حياتك.

عاد كل منهما صِفر اليدين، وقد تمنى لولم يقابل الآخر.

يا للأقدار... إن الإنسان مهما بلغ من علم فمحدوده، ومهما بلغ من معرفة فقليلها، وإن أكثر ما يؤرقه ويقض مضجعه، هوجهله، وتمام جهل الإنسان إنما هوفيما غاب عنه، فهوولا ريب يجهل الغيب، ولا يعلم إلا ما تدركه حواسه بصورةٍ مباشرةٍ أوما يُخْبَر به، فهودائماً يبحث عن من يخبره بما غاب عنه.

إنك لتراهم حال لقائهم ورؤيتهم كلٌ لصاحبه، ثم أنت تراهم حال فراقهم إنه النقيض في أتم صوره.

بين فرحٍ وحزن... وأملٍ ويأس.

فرحٌ وسعادة وأمل ورجاء، ورغبة في الإحتواء كما لويضم كل منهما الغائبة بين ذراعيه في شخص الآخر، وعلى النقيض من ذلك، حزن وضيق وألم، ويأس وفراغ يدين إلا من إحساسٍ بالضعف وقلة الحيلة ورغبة في ما لولم يتم هذا اللقاء أبداً.

ما هذه الحال، لكأنهما غُلّت أيديهما إلى أعناقهما وألقي بهما في البحر.

استيقنت سعاد أن ليس لها أحد، وقد فقدت الأمل الذي كان، استيقنت أنها إنما على الحقيقة فقدت صاحبتها، فقدت رئتها الثالثة، تلك التي تستعيض بها عن رئتيها حال ضيق صدرها وصعوبة التنفس، والآن وهذه الغُصّة، وهذا الصدر يطبق على ما يحميه، حتى كاد يعتصر رئتيها وقلبها المكلوم.

فمن أين ؟ وإلى أين ؟ وإلى متي.؟

ألا أيها البحر... يا من يُفضَي إليك بكل سِرّ

... يا ملجأ الحيارى والحزانى

... يا قِبلة المتألمين والمجروحين.

جلست سعاد على شاطئ البحر وحيدة على كثرة المحيطين بها،

حزينة على كثرة السعداء حولها..

***

بالتلميح مرّة، وبالإغراء أخرى، تحاول التقرب منه بشتى الصور، وعلى الرغم من علمها بخِطْبته من أخرى، إذ مثله ـ في ظنها ـ يُطلب، إلا أنها ألقت بشباكها، وانتظرت حراك الصيد فيها.

وعلى الرغم من جمالها إلا أنه أمسك، ولم يكن ذلك تديناً منه تُعينه لحيته، ولكنه لسابق سيطرة خطيبته عليه، ولقلة خبرته، وحيائه الذي يُشبه في كثير حياء الفتيات.

ـ اتفضل يا استاذ فوزي.. الشاي.

يومئ برأسه مع ابتسامة مقتضبة، فيما لم تجاوز عيناه شاشة المراقبة، يمسك على بؤبؤ عينه أن يدور ناحيتها، فيما تقف إلى جواره.

ـ محتاج سُكّر.

ـ لا، شكراً يا أمينه.

ـ مش هتدوء.

ـ ها..

ـ تدوووء..؟

في تغنج، وقد ألصقت كتفها بكتفه، واتكأت بمرفقها على المكتب أمامه، فبدا منها شيء مما تخفي مثيلاتها، غير أنها قصدت إلى ذلك.

غصّ بريقه وبدأ العرق يفيض من جبينه، وتسارعت قطرات تهبط على عارضه، فأسرع بكم قميصه إليها.

ـ على كده بتشوف كل حاجه من هنا.

ـ آه، طبعاً، طبعاً... كل حاجه، كل حاجه.

ـ وبتشوفني وانا رايحه وجايه ؟

ـ ها... كل الناس، ككل الناس بشوفها...

يلمح زكريا في الشاشة أمامه قادما فيتنفس الصعداء ويتم..

ـ حتى شوفي، الاستاذ زكريا، جاي علينا..

ترفع عينيها إلى الشاشة أمامه لترى زكريا قادماً؛ فتسرع من فورها تضبط ملابسها،تغلق زرًّا تفلّت من عروته حال انحنت؛ فثقل عليه ما يستر خلفه، تأخذ صينية الشاي في يدها وتتأخر خطوة عنه.

" هكذا اللص، حتى وإن لم يسرق..."

تتجه ناحية الباب، وقبل أن تصل يدها إليه يُفتح لتجد زكريا في مواجهتها، تخفض عينيها حيث حذائه.

ـ بتعملي ايه هنا ؟

ـ أبداً كنت جايبه الشاي.

يعود زكريا بعينيه بين فوزي الواقف أمام الشاشة، وأمينة المرتبكة أمامه، تعلوجهه ابتسامة المدرك للأمور، العليم ببواطنها.

ـ اقفلي الباب وراكي.

ـ ها... ايه الأخبار.؟

ـ تمام يا ريس، كله تمام.

ـ فَرغت الكاميرات.؟

ـ ايوه، والامور طبيعيه، لكن فيه حاجه بسيطه.

يرفع زكريا عينيه إليه مستفسراً فيتم فوزي.

.... كاميرا رقم ٩ ... اللي هي..

ـ مالها..؟

ـ فيه ساعتين مفقودين من التسجيل، مش موجودين ودي مش اول مرّه

ـ ازاي يعني، حد مسحهم ؟

ـ لأ، ما اتسجلوش أصلاً، من الساعه ١٠ لـ ١٢ بالليل، زي ما تكون الكاميرا فصلت في الفتره ده.

يَزُم شفتيه ويفرك ذقنه..

ـ ممكن تكون عطلت، أوالكهربا فصلت... الاسباب كتير، المهم ان ما فيش حاجه حصلت، والأمور طبيعيه.

ـ مفيش يا ريس، كله تمام.

يومئ برأسه مع ابتسامة صغيرةٍ، ويتجه ناحية الباب يستوقفه فوزي.

ـ لوممكن تليفون الزميل اللي كان قبلي.. أنا شايف ان الكاميرا سليمه، وممكن تكون حاجة بسيطه ونصلحها.

يزُم زكريا شفتيه مع صوتٍ مكتومٍ، ويهز رأسه، مستديراً إليه.

ـ ما تشغلش بالك، وان كان على الزميل فعنوانه ما يتوهش، في الأرافه.... أصله عمل حادث بالعربيه، خلّي بالك من شغلك، ولا عايز تحصله... قصدي تسيب الشغل يعني.

ـ لأ طبعاً.. انا ما صدقت.

ـ يبقى تركز في شغلك، وما تشغلش بالك بأي حاجه تانيه.

رَبَتَ على كتفه فيما تعلووجهه ابتسامة ساخرة، وقد امتلأت عينا فوزي خوفاً، إذ كانت كلمات زكريا تهديداً واضحاً بترك العمل، ومن ثَمّ العودة إلى الشارع، وقد بدت صورته القديمة تتراءى أمام عينيه، ينادي رواد الشاطئ : فريسكا، فريسكا.

يهز رأسه كما لويمحوتلك الصورة عن ذاكرته، ويعود بعينيه إلى الشاشة أمامه، يتابع زكريا مع العمال يشير هنا وهناك.

جعلت تلك الكلمات تدور برأسه، وتذهب به كل مذهب، فلم يستقر له موضع ولم يهدأ له بال، فجعل يقف وسرعان ما يعود إلى مقعده من جديد، ثم يتوجه إلى الباب، وقبل أن تتحرك يده بمقبض الباب يعود قافلاً إلى شاشته، هكذا أتم يومه وعلى تلك الحال.

ما هذه الحَيْرة، من أين لمثله برأي فصلٍ في أمره..؟ وتلمع عيناه ببريق المنتصر الذي وجد ضالته، فيعمد منًّ فوره إلى تليفونه الملقى بجوار الشاشة، وتسرع أصابعه تنقر الرقم..

***

لوأردت أن ترى الاضطراب في حركات جسدٍ، والحَيْرة في عيْنَيْ رجل، والخوف يطغى على ملامح وجه، فذا مثال حيّ على ذلك.

ـ إتأخرتي ليه ؟

ـ هوفين دا ؟ يا دوب على ما خلصت.

وتتكئ بيديها على كورنيش البحر، وتنظر إليه..

ـ... إيه..

ـ ها، آه..

فيحيط خصرها بكلتا يديه، يرفعها لأعلى، تجلس فيما يقف أمامها.

ـ مالَك، مش على بعضك ليه ؟ استنى قبل ما تحكي، ريقي ناشف، هاتلي ايس كريم.

يومئ برأسه مع ابتسامة الفتى المطيع، يسرع ملبياً، يصله صوتها غير بعيد، تتم :... مانجه بالحليب.

يتحرك فوزي يدور بعينيه في المكان المزدحم في منطقة المنشية أمام النصب التذكاري للجندي المجهول، ملتقى أواسط الناس، وعامتهم،

تُدله أذنه على مكان البائع حيث يصدح مُعْلناً عن بضاعته :ـ بولا، بولا.

يسرع إليه كما لوخلا الكورنيش إلا منهما وذاك البائع غير عابئٍ بالزحام :ـ حاسب يا حمار.

يستدير معتذراً بإشارةٍ من يده، وابتسامة مقتضبة فيها يُكمل سيره.

ـ بسرعه وحياتك، لأ، بالحليب.

نقده ورقة فئة خمسة جنيهات، وعاد إليها يحمل في يده بولا بلوني المانجووالحليب، يناولها إياها.

ـ ايه... اتأخرت ليه كده يا فوزي.

ـ ها... يا دوب، على ما....

ـ ما تسيبنيش لوحدي تاني، بتعاكس.

اتسعتا عيناه مُحَدّقاً فيها، وفغر فمه، كمن أصابته الدهشة، غير مُصَدق، ولسان حاله يقول :ـ ومن يجرؤ..؟!!

وليس ذلك خوفاً منها، ولا منه.

لا لنقابٍ ترتديه فيدفع عنها ـ غالباً ـ ألسنة الشباب لا أعينهم.!

ولا لحرسٍ يدفعون عنها، ولا لِدينٍ عَمّ الأمّة فصَلُح شبابها.

ولا لذي سلطانٍ يأخذ على أيديهم فيرتدعون.

بل لصورتها المكتملة في ذاتها، فلم تكن بالتي تأخذ بالعين حال تُرَى

قسمات وجهها، فتدفعك دفعاً للنظر إلى جسدها، ولم تكن بالتي تزدريها العين كذلك، فتنفر منها النفس وتشمئز، لم تكن بالتي تتزين وجهاً، ثم هي تكمل صورتها برداء يلفت الأنظار إليها، ولا هي بالتِي ترتدي ما يُسيئ لهذا الجسد فيلفت الأنظار ايضاً، فهي بَيْن بَيْن، ذاك الهَمَلُ الذي لا يُلقي له أحد بالاً، فإنك قد تمر بجوارها لا تلحظها إلا أن تُصدر صوتاً يعلن عن وجودها، فتجذب انتباهك للحظات، ثم أنت وطريقك بعد.

إذ ليست بالجميلة التي تعلق صورتها بذهنك، فيضطرب لها قلبك، وينشغل لها فكرك، ولا بالقبيحة التي تزدريها العين وتمجها النفس، فتعلق بذهنك قبحاً حتى تمحوها صورة أجمل،أوينسيك القدر ما رأيت.

ومع هذا، فهي تسيطر عليه كُليّاً، كما لوخلت الأرض من النساء إلا منها.

فيما تُطَوّف بلسانها حول البولا، يتابعها فوزي في صمتٍ.

ـ ما جبتش لنفسك وحده ليه ؟

ـ ها... ما، ما انتي ما قولتليش.

ـ هوانا لازم اقولك على كل حاجه... خلاص هسيبلك حته، ها... ما قولتليش، ايه بقى اللي ملخبطك ؟

جعل فوزي يقصها ما كان، ويسرد لها الأحداث بكل تفصيلة، حتى أنه ولسذاجته، أوعفويته، ما أغفل أمر أمينة وتحرشها به، على أنها لم تلق لذلك بالا كما لم يحكها شيئاً، فيقلب لها الأمر على كل وجه..

ـ ساكته يعني..!

وهي تُلقي بآخر قطعةٍ من بسكوتة البولا في فمها متناسية سابق وعدها.

ـ انت يا بني تافه، ما فيكش مُخ خالص.

ـ وطّي صوتك طيب.

تخرج منديلا ورقياً من حقيبتها، تمسح به أصابعها وفمها، ثم تلقي به خلف ظهرها إلى البحر، وتُحس أثراً للأيس كريم على أصابعها.

ـ بتلزق، شوفلي مايه...انت لسه هتلف وتدور، قدامك حَل من اتنين، يا مالح من البحر، يا تشتري إزازه بتلاته جنيه.

... ها، فهمت ولا لسه.؟

يدور بعينيه يبحث عن من يَبِعْه زجاجة ماء، ثم يتوجه إليها.

ـ أمرك لله بقى، هجيبلك شوية مايه من البحر... ثواني.

تقبض على تلابيبه فيما يحاول القفز على رصيف الكورنيش إلى البحر، امتثالا لأمرها.

ـ عرفت انك تافه، وما عندكش مُخ.

ـ تاني...!

ـ زكريا دا، الدنيا كلها في ايده، يعني لوقالك هاتلي لبن العصفور، تشوفه فين وتحلبه عشان خاطره... لوعملت كده، هتلاقي المايه المعدنيه

أم تلاته، وخمسه، وعشره لوعايز، لوما عملتش هيكون قدامك البحر، المالح، تسرح كل يوم بالفريسكا... فاكر.؟

يا لهذه القسوة، وتلك البلاغة ـ على بساطتها ـ في التشبيه وضرب المثل، إلا أنه وبعد صمتٍ محاولاً البحث في كلماتها علّه يفهما.

ـ يعني انتي مش عايزه إزازة مايه ؟

تنظر إليه لا تعرف، أتبكي أم تضحك، ترفع يدها لتصفعه أمام الجميع، أم تُلقي بنفسها إلى البحر، فتكْفه مؤنة إحضار المياه....!!!!

يلمح في عينيها هذا الغضب الجارف، فيُتم مُستدركاً.

ـ انا فهمت والله، بس بشوفك عايزه ازازه ولا لأ.

ـ يعني فهمت... الحمد لله... هاتلي ازازة مايه بقي.

ـ ثواني.

وينطلق يعدويعبر الطريق تتابعه بعينيها، غير عابئٍ بمرور السيارات كأنه ظِلّ لرجل، تحدث نفسها.

ـ يللا.. ضِلّ راجل.

***

سياره BMW سوداء تقف أمام بوابة فيلا، الستائر السوداء تحجب الرؤية من الخارج، يفتح الباب أوتوماتيكيا، تدخل السيارة في طريق

طويل إلى الفيلا يَحُفّه من الجانبين الورود وأزهار الزينة في حديقةٍ كأنها جَنّة، تقف السيارة أمام باب الفيلا؛ ليخرج شريف منها، فيما يتحول السائق إلى الخلف يفتح باب السيارة الخلفي؛ لتنزل منه سلمى في ثوبها الجديد، أتقنت ميمي إعداد الصورة، فجمّلتها كأحسن ما تكون.

امرأة مكتملة الأنوثة، تامة النضج، ميك أب كامل لمحترف زادها جمالاً وأنوثةً، شعرٌ أسود فاحم مرسلاً يغرد على ظهرها، فستانٌ قصير مكشوف الصدر حتى بدا مِفْرق ما بين النافرين وشيءٌ منهما.

تقف سلمى مُتحيّرة، وقد أخذها المنظر، وخطفت الأبّهة عينيها، تعود بهما إلى الحديقة يحيط بها السور المرتفع يحجبها عمّا حولها، ثم البوابة الرئيسية تُغْلق على ما فيها.

ـ ايه، مالِك.؟

ـ ها... أبداً، بس...

ـ انتي لسه شوفتي حاجه، عالم تاني، وفلوس بالكوم، الجنة اللي كنتي بتحلمي بيها.... اتفضلي يا برنسيسه.

تستدير إلى باب الفيلا المفتوح حيث يقف ذاك المتأنق.

ـ أهلا استاذ شريف.

ـ أهلا ايمن بيه.

ـ لاااا، المرّه دي زوقك مختلف فعلاً.

ـ قولت لسيادتك، الباشا أكيد هيكون مبسوط.

يُصّعِد أيمن عينيه فيها ويهبط، ومع ابتسامة صفراء ذات مغزى يفرك ذقَنه بأصابعه، ويتقدمهما إلى الداخل، فيما تنظر سلمى إلى شريف الذي يومئ إليها أنْ هيّا، ويبسط كف يمناه لتُسَلّمه يسراها، ويتحركا إلى داخل الفيلا.

ما أثقل هذه الخطوات،على خفة الجسد ورشاقته !

وما أطول تلك المسافة،على قصرها !

يتداخل في نفسها إحساسا الخوف والأمل، خوفٌ من مجهولٍ مُقْبلة عليه، وأمل في تحقيق أحلامها.

عندما تُقبل على عالَمٍ لم تعِشْه غير أنك حَلُمت به، وتمنيته، حياة لم تعرفها غير أنك سمِعتَ عنها، إنها ولا ريب الجنة التي حَلُمْت بها وسمعت عنها.... هي ولا ريب تشبهها الجنة.

جعلتا عيناها تدوران في المكان، تكشفان ـ ولا ريب ـ عن انبهارها، وذهولها بما ترى، أهكذا تكون الجنة ؟

ـ دي فيلا من تلاته، دا غير الساحل.

ـ طبعاً يا أيمن بيه، نار على علَم.

ـ طبعاً يا شريف انت مش جديد على المكان، عن إذنكو دقايق.

ـ أكيد يا افندم، خُد راحتك.

ـ مبهوره طبعاً، مش تقوليلي جواز وعيال ومنلاقيش ناكل.

غَصّت سلمى، فأسرع إليها بكأس الماء.

ترفع الكأس إلى شفتيها المكتنزتين، فيما يتحرك بؤبؤ عينيها في محجريهما أن لا يفوتها من شيء، وما هوإلا أن أحاط الماء بمركز التذوق في فمها حتى أغمضت عينيها، تستلذ به، وقد أحسّتْه ينساب إلى أعضائها عضواً عضواً، كالمنقطع به أيّاماً تستقبله كأس باردة تحت ظلِ شجرةٍ مورقة، تنظر إلى الماء في الكأس، كأنه ماء غير الماء، إن له طعماً مُختلفاً، ولا ريب ماء الجنة كذلك، ما تَعَهّدته يد بشر، ولا مرّ على عيني أحدٍ قبل، بلِ... بل لكأنها السماء ألقت به في ذلك الكأس الفضي المطعم بالذّهب، يا لَهذا الكأس..!! لا شك يعدل ما كان ينقدهم نُصحي كل شهر، إن لم يعدل ما كان يتقاضاه بالجملة، أويزيد.

ـ عَجَبِك ؟

ـ ها... آه.

تناوله الكأس وتدور حول نفسها تتم :ـ كل حاجه عجبتني، العربيه الفخمه، الجنينه اللي تاخد الروح، ولا الفيلا.

ـ شوفي يا حبيبتي، البلد دي مِتْقَسّمه، ليها اصحاب وفيه ناس شغالين عندهم، وناس على الهامش، احنا بقى شويه نشتغل، وشويه على الهامش... الزكي بقى.....

ـ شريف.

يستديرا إلى مصدر الصوت، حيث أيمن يهبط السُلّم من الطابق العلوي يحمل في يده ظرفا أبيض.

ـ الآنسه سلمى، مش كده برضه.؟

قبل أن تنطق يُسرع شريف مؤكداً ذلك.

ـ طبعاً يا أيمن بيه، زي ما وعدتك، الباشا هواللي هيقص الشريط.

ـ عظيم، ممكن تتفضلي هنا، وانا هاخد شريف منك خمس دقايق.

جعلتا عينا شريف تتبعان حركة يد أيمن صعوداً وهبوطاً، يميناً وشمالاً حيث الظرف الأبيض وفيه ما يؤمّل أن يكون.

ـ بُصي يا حلوه، انا هشوف الباشا عايز ايه، ولواتأخرت عليكي، العربيه الفخمه هترجعك لنفس المكان، ترني عليه أجيلك، سلام.

يُسْرع شريف في أثر الظرف الأبيض، فيما فغرت سلمى فمها، وأطلقت يدها تستوقفه لكنها ابتلعت كلماتها قبل أن تنطق بها، وقد اختفى شريف في أثر طريدته.

جعل صدرها يعلوويهبط، مُرتعبة مما هي مقبلة عليه، مُضطربة النفس، فما خَبرَت هذا الأمر قبل، وما جرّبته، غير أنها تعلم تمام العلم ما سيكون فيه، وكيف ستكون بعده.

حانت منها التفاتة إلى ماء الجنة، فجلست وملأت الكأس وأخذت تَجْرع منه، طلباً لهدوء النفس، وسكينتها.

عادت برأسها إلى الخلف، وقد أخذت الثريا المعلقة بالسقف عينيها، فجعلت تتلألأ فيهما، وثَقُل عليها جفناها، فأسدلتهما على ما أمّلَت، تتراءى صورتها أمامها، تهبط سُلّم الفيلا مُمْسكة بطرف فستانها المرصع تتخايل فيه تجره خلفها، يلمع وجهها بين ضوئين ساطعين، تاجٌ مُرَصّع يعلوشعرها الأسود الفاحم، وقد عقصته خلف رأسها إلا من خُصلتين تتراقصان مع خطواتها، وهذا العقد الماسي حول جيدها تنتهي دُرّته بين مِفْرق لها، صورة مكتملة من الجمال أتقنت سلمى تخيلها، يُشرق وجهها من ابتسامةٍ، تنحني امامها الخادمة.

ـ سلمى هانم.

ـ MISS SALMA.

وتهزها من ذراعها، تُفيق سلمى من حُلْمها حيث الخادمة الفلبينية تقف أمامها تنحني مع ابتسامة.

ـ MISS SALMA. تبتسم لها سلمى، فتتم الخادمة مع نفس الإنحناءة.

ـ... please follow me.

وتتحرك الخادمة خُطَيّات، وتعود بعينيها إلى الخلف لتجد سلمى على حالتها جالسة تتابعها، فأسرعت تشير بيدها إليها أنْ هَيّا، تقف سلمى وتَجْرع آخر ما بقي بكأس الجنة من مائها، وتتبعها صـــعـــوداً.

***

الحُزْن آفة الإنسان، ناحلة جسده، ناخرة عظامه، آكلة كبده، مُعْتصرة

قلبه، ماحقة شبابه، إذ تستدعي شيخوخته على عجل، وفي غير زمانها، ثم ينْضح ذلك كله على قسمات وجهه، وآية ذلك كّله في قول الحق " فابيضت عيناه من الحزن فهوكظيم " حاكياً عن أبي يوسف يعقوب عليهما السلام إذ غُيّب عنه زمناً فِلْذة كبده، والصّفِيُّ من أبنائه، والهدية فيهم خَلْقاً وخُلُقاً، فكان من تَبِعات الحُزْن أن ابيضت عيناه، إلا أنه أمسك على ما في قلبه من حزن وألم إذ هونبي، ومع هذا ابيضت عيناه، فكيف بضعاف القلوب، ضعاف الإيمان، ضعاف العقيدة.

واعلم أنه من عظيم نعم المولى، أن المُصاب ما جَلّ وعَظُمَ إنما يقل بمرور الوقت، ودوران الأيام، وانشغال الناس بالناس.

كانت من الكآبة والحزن بمكان بحيث ذبُلت عيناها، وخبَت بهما لمعة كانت ـ حال تغدوابنتها أمامها وتروح ـ تَتّقد وتلْمع، وكأنك ترى فيهما ابنتها تَرْفل في لباس العرس.

انطفأ ذلك النور وذهب ذلك الأمل أدراج الرياح، فكَأب الوجه ونحل الجسم، يا لَقسوة الحزن..!! إن هي إلا أيام، غير أنّه اجتمع القديم بالجديد.

تكَوّمت المرأة في جانب من البيت، ولولا أنينها ما كانت لتَلْحظها عين، كأنها هَمَل اعتادته الأعين فألِفته، أوكَسَقطِ المتاع الذي لا قيمة له..

ـ يا فتّاح يا عليم، مش هنبطل النواح ده.

ـ حتى انت يا نُصحي، ما كُنْتش بالقسوه دي

ـ خلاص، اتعلمت، ما عادتش حاجه تفرق معايا.. كله محصل بعضه.

ـ وفضيحتنا قدام الناس.

ـ مش قولتلك ما عادتش تفرق معايا، أوزي سالم ما قال " اتعودت "

ـ وسيد وأمّه.؟!

ـ سيد وانتي عارفاه، وإن كان على أمّه انا عارف ايه اللي يرضيها.

أُفْردت في هذه الدنيا إلا من إحساس بالحزن يعتصر قلبها بعد أن غادرهَا في قسوةٍ لم تعهدها منه.

أحس أنه إنما تحرر من ثُقْل على كاهله، فبسط يديه حذْومنكبيه رافعاً رأسه إلى السماء، مغمضً العينين، يستشعر برودة الصباح تتخلل ملابسه، تضرب في أوصاله، يفتح عينيه فإذا أمامه يافطة تعلودكاناً " صالون الشباب، الاسطى سيد " تعلووجهه ابتسامة، سرعان ما تحولت إلى ضحكٍ، فيما يُكمل طريقه، يحدث نفسه.

ـ مالها أمّ سيد، أهي ست زي أي ست، وعندها اللي عند غيرها.

.... صحيح عشر سنين فرق، لكن...

كان هذا لسان حاله مع نفسه، أوحديث النفس للنفس، وقد استوقفته مُقْبلة عليه، كغيْـمة هبطت من السماء، تميل يُمْنةً ويُسْرةً كما لوأصابها قِصَرٌ بإحدى قدميهاً، أوكأنها هَوْدج أعْلَى بَعِير يميل به هكذا

وهكذا

ـ قولت أْلحقك قبل الشغل.

ـ القلوب عند بعضها.

ـ صحيح يا نصحي... يا سي نُصحي.

ـ إلا صحيح، ما انتي عارفه يا ام سيد.... ولا نخليها حُسنيه احسن.

ـ يوه جاتك ايه يا سي نُصحي..

وتهوي بكفها على صدره.. دعابة هي.

غير انها استعانت بثقل جسدها كقوةٍ خلفية دافعة، فكانت الضربة أقوي من أن يتحملها ذلك الجسد النحيل؛ فسقط أرضاً.

لم يكن جسده الضعيف في نحالته مانعاً لديها في إتمام رغبتها، وكذلك لم تكن تلك السنوات العشر عندهما، بل لعلها كانت حافزاً، ودافعاً كي تلحق بشيءٍ مما فاتها كما أمّلْت وترجو.

إلا أنها سنوات العمر ما إن تذهب.... تذهب.

***

عندما يتملكك الخوف فأنت بين أمرين لا ثالث لهما.

إما أن يقعد بك فلا حراك، تتيبس أطرافك، تتقيد حركتك، وكأنما غُلّت يديك إلى عنقك، تنظر قاتلك يضع مُدْيته في خاصرتك، وأنت أنت مُقيد لا حراك بك، فإن لم يقعد بك الخوف، فإنه على النقيض من

ذلك تزداد حركتك وتضطرب، تُلقي بلكماتك في كل اتجاه لا تُحسن لها توجيهاً، وربما أصابت من يدفع عنك، أوارتدت إليك... هكذا الخوف صنيعه بالنفس البشرية.

جعل فوزي يده في جيبه، وكأنما يُمسك على شيءٍ مخافة أن يفر، يقف هُنَيْهة ثم لا يلبث أن يعود فيجلس، فهومضطرب لا يستقر على حال، يرفع كوب الماء إلى فيه يرشف منه رشفةً ثم هي لم تكد تستقر في جوفه حتى يقف من جديد.

اضطراب وفزع لفت إليه أنظار مرتادي المقهى، كفتاةٍ أهلت في مجتمع ذكوري تنظر إليها كل عين، أوكعاقلٍ في مجتمعٍ من المجانين يشيرون إليه ولسان حالهم ذاك المجنون الأوحد.

ازدادت قبضته قوة تمسك على ما في جيبه، فيما استشعر حرجاً وقد التقت عنده الأعين، تتحرك يسراه بورقة نقدية فئة خمسة جنيهات يلقي بها بجانب كوب الشاي الممتلئ، ويسرع الخطى غير عابئ بتلك النظرات، وهذا الهمس، وتلك السخرية في ضحكاتهم تصل إليه خافتة حتى اختفى عنهم، وقد ازداد منه اضطرابه وبدا عليه الخوف، فجعل لا يخطوخطياتٍ حتى يستدير ينظر خلفه وكأنما يخشى أحدَهم يتبعه، أوكأنما كل الأصوات المحيطة به إنما هى ألْسنة تناديه يضرب رأسه بكفه المحرّرة قبل أن ينظر إلى الخلف، ثم يعود برأسه إلى كفه،

وكأنما فقد عقله.

استمر على حالته تلك، مشغول البال مضطرب الفكر، زائغ العينين،

يخشى مُتَتبّعه، أولكأن الناس جُلّهم مُقتفٍ أثره، حتى انتشله من حالته تلك رنين هاتفه، فالتصقت يُسراه ـ في حركة آليّة ـ بجيبه تعلوه من الخارج تمسك على يمينه المُكبّلة داخل جيبه، وينطلق يعدوتشيعه أنظار المحيطين به على كورنيش البحر في منطقة الرمل حتى توقفتا به قدماه في منطقة تكاد تخلومن رواد البحر، تدورا عيناه في مِحْجريهما يُمْنة ويُسْرة، قبل أن تتجافى يسراه في بُطءٍ عن جيبه؛ ليتضح رنين الهاتف يشدوبصوت أم كلثوم، لتفسح المجالَ ليده اليمنى كَيْ تخرج بالهاتف وقد أحكم أصابعه عليه...

ـ ألو.... أيوه يا هندسه..... لا لا أنا جيت فعلا، وانتظرت حضرتك..... انا آسف، جالي تليفون مهم وكان لازم أمشى....... لا أبدا دا موضوع بسيط كنت محتاج رأي حضرتك فيه...... لوتسمح ممكن نخليها مره تانيه...... شكرا يا افندم، مع السلامه.

يدس الهاتف من جديد في جيبه، تقبض عليه يمينه، وقد وقف إلى البحر يتنسم من عبيره قبل أن يعود بوجهه إلى الطريق متجها ناحية المنشيه.

تفتق زهنه لوهلةٍ عن شيءٍ، فوقف يرفع يده اليسرى يشير إلى تاكسي، ثم قبضها إليه في سرعةٍ وكأنما لدغته عقرب، أوبدا له رأى آخر، يحدث نفسه بصوت يكاد يصلُ أذنيه :ـ لأ، بلاش....

وتسرع يسراه في تلقائيةٍ تتأكد من يمينه في سجنها تقبض على هاتفه، وقد أسرع الخطوعن يمينه كورنيش البحر وعن يساره ميدان المنشية،

هي بعد لم تكن سوى خطوات لكنها بالنسبة لغيره لتَسَارعها وتقاربها أقرب للعَدْو، دقائق أخرى تلوح فيها أمامه القلعة يزيد حجمها شيئاً فشيئاً يدنومنها، تضرب الشمس رأسه، وقد تصبب عرقاً يمسح جبينه المتَعَرّقة، فيما تنطلق قطرة من العرق من مؤخر رأسه تهبط مسرعة يشعر ببرودتها وقد اتخذت طريقها إلى أسفل ظهره، وقد استوقفته مظلةً أَلْصق ظهره بأحد أعمدتها، يميل بظهره فى كلا جانبيه يجفف عرقه، ثم يجافي ما بين ظهره والعمود مكملاً طريقه؛ ليبدوخطاً طولياً من الماء على قميصه، وكأنما قصدته السماء دون غيره، تغمره بين الحين والحين نسمة من نسمات البحر تمر ما بين جلده وقميصه الملتصق بظهره؛ لتمده بشيءٍ من البرودة.

بدت القلعة امامه في حجمها الطبيعي يعبر الطريق إلى الناحية الأخرى متوقفاً امام مبنى واجهته زجاجية تعلوه يافطة..

DREAM FOR TRAVELING

تمتد يده في تلقائية وسرعة إلى الباب الزجاجى، فيما يترامى إلى مسامعه صوت ضحكات؛ لصوتٍ يعرفه، لتبدوأمامه صاحبتها ـ خطيبته ـ يهتز جسدها لضحكاتها المتتالية، وقد استغرقت في الضحك تضرب بيدها يد أحدهم..

ـ مش تخبط يا بنى آدم..

كان لصوته المرتفع، وقوته الجسدية ما ألجمه الصمت، فجعل يلقى بناظريه إليها، وقد بأبأ وتأتأ كمن ضاعت منه مفردات اللغة تستدير إليه

:ـ فوزى.....!!! ايه اللي جابك ؟!

ـ تعرفيه...؟

في صوتٍ لا يخلومن السخرية، يوحى بأنها إنما استسلمت لأمر الله فيه، فرضيت به، تقول :ـ خطيبى..... ثواني يا شاكر.

ـ انا مش قولتلك ما تجيش الشغل..

وهى تسحبه من ذراعه إلى الخارج كطفلٍ تُعنفه أمه، فيما تكمل.

ـ ما كلمتنيش في التليفون ليه.؟

ـ التليفون.....

وكأنما ذكرته بما لم ينس، فأسرعت يسراه لتتأكد منه.

ـ مالك، فيه ايه..؟!

ـ أنا... أصل الـ..

ـ انت لسه هتقول أصل وفصل... تعالى.

ومن جديد تجره من ذراعه تعبر به الشارع، فيما يتبعها منقاداً لها كصغيرٍ يتبع أمّه يخشى عقابها.

إن أردت أن تنظر إلى تمام سيطرة امرأة على رجل،فهذان مثال حَيّ على ذلك، تُحكم قبضتها عليه، لا يدور حيث يدور إًلا من خلالها، فلا ينظر إلا بعينيها، ولا يتحدث إلا بلسانها، ولا يقطع برأيٍ فى أمرٍ صَغُر أوعَظُم إلا بعد رأيها فيه.

تتهادى الأمواج في حُنُو تضرب في الصخور المترامية على جانبى القلعة، فيما أعتلت صخرةً يقِّف أمامها.

ـ ها... انجز بقى عشان مش فاضيه.

يخرج يده اليمنى من جيبه في صمتٍ وقد بدت مُتعرّقة، يجافي ما بين أصابعه والهاتف فى صعوبةٍ وكأنما التصقت به، يمسح شاشته المبتلة فى صدره قبل أن تسرع اصابعه نقراً عليها، وفى أدبٍ جَمّ..

ـ اتفضلي..

ـ ايه ده....؟ دا فيلم ولا ايه ؟ مش فاهمه حاجه، جاى المشوار دا كله عشان اشوف دا ؟!!!!

ـ زكريا.

ـ زكريا مين ؟.... آه، هواللي في الـ...

وتعود بعينيها إلى الهاتف، وشيئاً فشيئاً تتجمد ملامحها المتجمدة، تنظر إليه فيومئ لها برأسه، تغلق الهاتف وتسرع به إلى حقيبتها، ولكن.... أين ؟ تلقى بعينيها عبر الشارع تتذكر إذ تركتها حيث كانت..

ـ جبت دا ازاى..؟!

ـ هحكيلك على كل حاجه، من غير ما تتعصبى.

تُحد النظر إليه تستمع إليه يحكيها كيف وصل إليه هذا الفيديو، أوبالأحرى كيف تملكته الشجاعة مرّة واتخذ قراراً دونها، في خطوة

جريئة لا تتناسب وشخصيته المترددة، لكنها ولفرط ذكائها وكي لا يعتاد الأمر؛ فينحل وثاقه عقدة عقده، لم تترك الأمر دون تعقيب.

ـ من غير ما ترجعلى..؟!

ـ أنا آسف، مش عارف عملت كده ازاى ؟!

إن هي إلا نظرات حادة كانت كافية؛ لتشعره بفداحة ذنبه، وسوء صنيعه.

ـ خخخلاص بقى... مش هتتكرر تاني.

ـ هنشوف..... والكاميرا دى ممكن حد يشوفها...؟

ـ لأ... وبعدين أنا شلتها خلاص.

لحظات من الصمت تدير الأمر في رأسها، فيما يُتِم

ـ انا محتار مش عارف اعمل ايه، كنت خلاص هقول للمهندس محمود..

ـ إياك... انت ما بتفهمش حاجه خالص.

ـ أنا..!

ـ غبى وهتضيع نفسك، فاكر زكريا قال اللي قبلك حصله ايه.

ـ قصدك....

ـ طبعاً.... الفيديودا تنقله على تليفوني، وشغلك تروحه طبيعي.

ترفع الهاتف أمام عينيها فيما تتم.

ـ وانا هتصرف..

في قميصها الأسود القصير، مستلقيةً على سريرها، أوبالأحرى سريره، مغمضة العينين، تعلوملامحها ابتسامة زادت من اشراق وجهها، تميل على جانبها الأيمن تمتد يدها اليسرى أسفل الوسادة تتأكد من وجودهم، ثم تسحب يدها فى هدوءٍ تمررها تحت أنفها، تملأ رئتيها برائحتها مع ابتسامة أكبر من سابقتها، وأندى لهذا الوجه الذي ازداد اشراقاً، تلمع ثنيتاها، لمعان اللؤلؤ في محارته.

ـ ريحتهم حلوه... مش كده يا سلمى

تفتح عينيها حيث يقف أمامها يحمل في يده كأساً يقترب منها يجلس بجانبها يرشف من الكأس، ثم تمتد يده به إليها..

***

ـ مش شايف انها غريبه..؟!

ـ غريبه ليه..؟

ـ يعنى... يقولك عايزك ضروري، وكمان ياجى لحد هنه، وبعدين يمشى بالسهوله دي..

ـ قال انه جاله اتصال مهم.

يمط اسماعيل شفتيه ويميل برأسه ينادي.

ـ الشيشه يا بني... أطلبلك واحده تفاح.

ـ لأ.

ـ شايف القطه اللي هناك دي.. ماسكه الشيشه ازاى، كأن فيه حالة عشق بيناتهم، يا سلام... التقمت الخرطوم كطفلٍ يلتقم ثدي أمه.

ـ يا سلام... ايه الحلاوه دي.

ـ لا دي قريتها في كتاب.

يتضاحكا، فيما يلتقم اسماعيل خرطوم الشيشة يجتهد في إشعالها لتصعد سحب الدخان فوق رأسيهما، فيما استغرق محمود في أفكاره، فانفصل عن محيطه يسترجع ليلته الوحيدة تلك التي عاشها.

تلك الليلة التي يمكن أن يحكى عنها أنها إنما تُحتسب من أيام عمره التي مضت، وربما فيما هوآتٍ من عمره.

اختلف الناس في تقدير عمر الإنسان، وكيف يحسبونه ؟

هل هوتلك الدقائق والساعات التي تُجمع بعضها إلى بعض لتكتمل بها سنوات العمر ؟ أم هوتلك اللحظات من السعادة تَعْلُق بذاكرته.. وقليل ما هي.

أضحت حياته تتمحور ـ في كل صورها ـ لتدور حول ليلته تلك، آملاً في يوم ما أن تعود إليه، فجعل يستحضر صورتها أمامه يتصنع لقاءً بها بعد لقاءً، استغرق محمود في حُلمه، يطلق عينيه في الفضاء لا تريان غير ما يُتقن صناعته من صورةٍ جميلة تحجب ما دونها عن عينيه.

ـ خُدي يا حجه وادعيله.

تدس العملة النقدية في كيسها، وتنطلق إلى غيرهما فيما ترفع صوتها بالدعاء.

ـ ربنا يشفيه، ربنا ياخد بإيده.

يهزه اسماعيل من كتفه

ـ ايه يا أخينا.... السّت واقفه قدامك، وانت ولا انت هنا.

ـ سِتْ...!!! سِتْ مين ؟!

يرفع عينيه حيث تمشي منحنية في ثوبها البالي يصله صوتها خفيض تدعولآخرين، فيتأسف لصاحبه متعللاً أنه لم يرَها.

ـ كيف ده، دا انت عنيك مفنجله كيه فَصّين الأضاليا..

ـ خلاص يا اسماعيل، ما كنتش مركز... أمّال العيال فين.؟

ـ هيكونوفين يعني، مع امهم..

ـ يا أخي مش دول.... قصدي عامر ويونس.

يتضاحكا يضرب أحدهما يده بيد الآخر، فيما يؤكد اسماعيل أنهما لا مكان لهما غير المقهى، وأنهما لا محالة قادمان، ثم أردف يحدثه عن تلك الفتاة ـ تهاني ـ التي سألت عنه، وأنها كما نص كتاب النساء، لَيّنه، طرية، ندية، تأخذ بالعين، فجعل محمود يضحك، يضرب برأي صاحبه في النساء عُرْض الحائط، إذ الفتاة التي ذكر سمينة مكتنزة أبعد ما تكون

عن هذا الكتاب، وما ذُكِرت فيه إلا على سبيل التمثيل لمُسْتقبح.

ـ عموماً دي مسألة أزواق، وانت... أهو المقاطيع هلّوا.

ـ السلام عليكم..

ـ نِشَهِدوهم بقى، ونشوف زوقك ولا زوق أخوك.

ـ خلاص يا عم، كل فوله وليها كَيّال.

النساء جميلات في جملتهن، كل النساء كذلك ـ حتي تلك التي تراها قبيحة، يراها غيرك على غير ما ترى، بل ربما أخذت بلُبّه، فشقي بها يلومه الناس في ذلك، إذ هي في أعينهم غير ما تريان عيناَه.

والجمال الخارجي في جملته إنما هو جمال خارجي، طبقة رقيقة من الجلد البشري لو أزيلت لتساوَوْ جميعهن...

غير أنه قد يصل من هذه الرقاقة الجميلة شيء إلى الداخل، فإن كان استمر الجمال، وإن ذَبُلَت تلك الرقاقة...

***

تتحرك في بطءٍ داخل الشقة من مكان إلى مكان، وكأنما تودع الأماكن فيها، أو تستدعي في ذاكرتها أحداثاً جمعتها به في كل رُكن وزاوية منها، تجلس هُنَيْهةً على أريكة في الصالة تراه مُقْبلاً عليها، ابتسامته ملْءُ وجهه، يحمل في يده الكأس، يميل إلى شفتيها، فتميل يده معه، وقبل أن تتساقط قطرات الشراب من الكأس؛ تسحب جسدها من تحته

ضاحكةً، وتجري يتبعها بعدما أتى على ما في الكأس، وقد ألقى به حيث كانت تجلس، يصله صوت ضحكاتها تجلجل في المكان، فيما تختلس إليه نظرة خاطفة، وبينا هي تملأ كأساً آخر تحيطانها يداه من الخلف.

ـ حاسب، حاسب..

يرفع يديه عنها، فتنطلق ضاحكةً تقف عند باب الحمّام، وتستدير إليه تلمع عيناها ببريق السعادة والرغبة معاً، يدنو منها تعلو يسراه عارضها، يُنَحّي تلك الخصلات المتناثرة من شعرها عن وجهها، فيما احتضنت أصابع يمناه خصرها، ويدنو منها أكثر وأكثر....

تفيق سعاد من ذكرياتها على صوت معالجة المفتاح للباب، ترفع رأسها عن باب الحمّام، تمسح دمعةً غافلتها، وتسرع إلى غرفة النوم يصلها صوت غلق الباب، فيما تلقى الحقيبة على السرير، تحزم امتعتها

، يقف عند باب الغرفة يتابعها في صمتٍ.

ـ بتعملي ايه..؟ وليه ؟َ!

ذلك حال المرأة عندما لا تريد إنهاء العلاقة، فيما تدعي عكس ذلك وتتصنعه،إنه كبرياء المرأة،وإن شئت قُلْ طفوليتها، لذا عليك أن تبادر.

كانت أصابعها تغيب في دولاب الملابس كمن يتخير ما يرتدي لا كمن يحزم حقائب الرحيل، ثم هي تعود إلى حقيبتها بقطعة واحدة من ملابسها فتُحسن طَيّها وترتيبها وتهيئتها لتضعها إلى جوار أخْريات.

هى ولا شك غَضْبَى إذ هوولا شك جرحها، وأساء إليها أيّما إساءه،

غير أنها تباطأت في حزم حقيبتها، تتمنى لو يمنعها.

وقد كان........

ـ المكان دا مكانك، دى شقتك مش شقتى.

تضع قطعة أخرى في الحقيبة بعد أن أحكمت طيها، فيما تقول

ـ ازاي بقى، دي ملكك.

ـ أنا ايه وانتى ايه، مش واحد..

ـ لأ...

وتهدج صوتها، وتتابعت دموعها ثخينة، وكأنها كانت تحبسها حتى ضاقت بحرارتها، فأطلقت لها العنان فيما تتم.

ـ اتنين، ومختلفين قوي، حتى الحاجه اللي كنت فاكره انها بتجمعنا، انت شوهتها، ورخصتها قوى.

وتعود إلى ملابسها تحملها قطعة قطعه، فيما يحاول الاعتذار منها متعللاً أنه ما قصد شيئاً مما وصل إليها، وأنه ما كان ليُسيء إليها، وأنه، وأنها...، استدارت ناحيته بعد أن أغلقت الحقيبة في عنف، وفي صوتٍ متهدج وعينين ملؤهما الدمع.

ـ ما كانش قصدك...!! انت كان ناقص تقولها بصوره مباشره، صاحبتك بتبيع نفسها بالفلوس، وانتى ببلاش..

لم تكن الكلمات لتصل به عندها إلى ما يريد، ولا بد له من شيءٍ أقوي،

شيءٌ أكثر فاعلية، وأكثر مباشرة.

فلم يجِد بداً من ذراعيه القويتين، يضمها إليه فيما تجهش بالبكاء، تغوص بكُلّيّتِها فيه حتى كادت تختفي، تتتابع دموعها مع هنّات ضعيفةٍ وشيئاً فشيئاً يخبوصوتها، وقد جمعت ذراعيها على صدره كطفلةٍ بين ذراعى أبيها، ترفع رأسها، تنظر لأعلى حيث ذقنه.

ـ انت عارف اليوم دا حسسنى بايه..؟

يرسلها قليلاً وما ابتعدت عن ذراعيه، يرفع أصابعه إلى فمها، وقد التقت عيناهما، تلمع عيناه ببريق أسفٍ واعتذار، يأخذها من يدها في صمتٍ فتتبعه كالمغيبة..

إن للعينين حديث هوأبلغ من أي لسان، وأدق من أى لغة، وأقدر على ايصال المعنى الذي قد تحار فيه الألسنة، وتقف عنده المفردات اللغوية تشهد بالعجز وتُقِرُّ به، وآية ذلك وعُمْدته وبيانه في مختلفي اللسان تلتقى أعينهما، فتخبران بما يجهل اللسان معلناً عجزه عنه.

هي ولا شك تعلم تمام العلم، ومتيقنة تمام اليقين أنه في سفراته المختلفة إنما يختلف إلى أخريات، لكنها موقنة أيضاً أنه ها هنا إنما اكتفى بها ـ كما تفعل هى على أنها ما سافرت قبل ـ وقد ارتضت بذلك منه

***

يرفع هاتفه أمام عينيه، تضيء شاشته لتعلن ساعتها تمام التاسعة والنصف، يعيد الهاتف إلى جيبه الخلفي، يشعل سيجارة أخرى ـ

وسابقتها بعد لم تزل على الأرض في معظمها ـ وقد تسرب القلق إلى ملامحه، والاضطراب إلى حركته، لم تمض دقائق أخرى حتى عاد إلى هاتفه من جديد لتعلن ساعته عن خمس دقائق أخريات مضت، يتحرك خُطيات، ثم يعود إلى مكانه أسفل عمود الإنارة يفرك يديه، يحدث نفسه:ــ وبعدين... طوّلت يا لوز.

ينفث دخان سيجارته المحشوة فوق رأسه، ويخرج لفافة من السلوفان من جيبه ليفك عقالها، فيلقى حبة منها فى فمه، ثم يُثَنِّى بشهيق طويل من الدخان يبتلع به الحبّة، يغمض عينيه في بطء، وقد استتر القلقَ خلفً ابتسامة رضاً، وسكن الاضطراب تحت غطاءٍ من الهدوء، معلناَ عن فاعلية القرص تدعمه السيجارة المنتفخة.

يشعر سالم بحركة من خلفه، يستدير فى بطء ليجد كلباً ينبش كَوْمةً من القمامة، واستغرب ساعتها أنه لم يرها، كما لَم ترسل إليه برسولها فى رائحتها المميزة إلا حال رؤيته الكلب يمارس صنعته فيها؛ فبدت على ملامح وجهه آثار رائحتها المنتنة، عبثاً يحاول بيده إلى أنفه يدفع عنه تلك الرائحة كأنها ذباب يذُبّه بيده، إلا أنها تخترق الهواء إلى أنفه ليزداد اشمئزازه منها، يستجمع قواه وشجاعته الخادعة ـ تلك التى أكسبته إياها سيجارته وذاك القرص ـ فيعمد بقدمه إلى ذلك التعيس ركلاً.

كانت قوة الجوع فى هُزال الكلب وضعفه أعمق أثراً، وأقوى دافعاً في نفس الكلب من ذلك القرص وتلك السيجارة في نفس صاحبنا.

مال الكلب للخلف قليلاً ليتفادى ركلته، ثم اندفع فى قوة السهم

المتعطش للدماء يريقها بحقٍ أوباطلٍ... غير أنه أُطْلق.

كانت أسنان الكلب وأنيابه هي أقوى ما فيه، وقد أهزله الجوع وأضناه فى حيٍّ أمواتٌ أهله غير أنهم يتعايشون.

نشب الكلب أنيابه فى قدم سالم، وجعل لخفة وزنه يتحرك يمنة ويسره مع حركة سالم، تشخب جروحه دماً يتألم يصرخ في صوتٍ مكتومٍ

ـ آه، آه...

" لقد أسمعت لوناديت حيّاً.. ولكن لا حياة لمن تنادي "

غير أن البعض قد سمع ورأى، إلا انه استزاد الكلب من بعيد فى دعاءٍ ما استطاع أن يجاوز به شفتيه، أوأن يُرى به.

ثوانٍ معدودات غير أنها بالنسبة للفريسة زمنٌ طويل، لا يخاله ينتهى حتى رقّ له الكلب، أولعله سرى مذاق دمه إلى حلقه فما استساغه، انطلق الكلب لا يلوى على شيء يتقاطر الدم من شدقيه، فيما فريسته ملقى على الأرض يسيل دمه، ينظر إلى بنطاله الممزق، يقبض بكلتا يديه على ساقه أعلى جرحه يمنع بهما سريان الدم؛ ليمنع الألم.

تذكر صاحبنا أنه سالم فيهم، فجعل يستجمع قواه، يمسح ما ألَمّ بعينيه يكتم ألمه، يئن أنين مبتور كُمِمَ فمه.

انتشله من هذا الألم رنين هاتفه، يبحث عنه يتتبع الصوت ليجده ملقى بجواره على الأرض، لم يكن الألم والغضب حال رأى شاشة هاتفه بما أعلنت له عن اسم المتصل وصفته، لا... فقد تهشمت شاشة

الهاتف حتى أنه وبصعوبة مَيّز اسم لَوْز، عبثاً يحرك إصبعه على الشاشة إلا أنها لم تستجب، يرفع يده به فى غضبٍ وقبل أن يلقيه يسكن الرنين

فيعيده إلى جواره، ليعود بيديه إلى قدمه التى غاصت فيها أنياب الكلب.

هكذا الجوع صنيعه، إما أن يَقْـتُل صاحبَه أويدفعه لذلك.

فهذا الجائع إما أن يكون صريعاً للجوع، أويكون قاتلاً للجوع فى شخص من يظنه سبباً فى جوعه، أوحائلاً بينه وبين ما يسد به رمَقَه..

وقد تحقق ذلك في الكلب، إذ ضرب بأنيابه في قدم سالم، حيث منعه ما يسد به رمقه.

جعل يَحْجل، يقبض على ركبته، يمسك على ألمه، يتفصد جبينه عرقاً، يعتدل وَاقفاً يتحامل على قدمه، وقد لمح آتٍ من بعيد يقترب فى الضوء الخافت، يدنومنه يَحُد سالم النظر ولسان حالِه يقول :

ـ هو... هو..

ـ مساء الخير يا ريس.

كان غضبه منه، وذاك الألم ينهش قدمه، يدفعه دفعاً لافتراسه، فانطلق فى صوتٍ كأنه هزيم الرعد يجلجل لا يبالى بمن يصل إليه..

ـ انت ايه، ما بتفهمش، والجذمه اللى فى ايدك دى، لازمتها ايه، ما رنتش ليه من بدرى..

على أن الظلام ـ يساعده ضعف الإنارة ـ قد حلّ، فحال بينهما وكل عينٍ ترصد، أوأذن تتسمع، إلا أن صوت الرعد أسرع وأقوى من أن يحجبه الظلام.

جعل لوز ينظر يمنة ويسرة أن الا يراهما أحد أويسمع، يعض على أضراسه، فيما سالم وقد أحسّ بما أَلَّم به؛ فرأى أن يمتص غضبه، فيسوق إليه سبب هذا الغضب، ليلتمس له العذر فى غير طلبٍ أوتراجع منه، فأتم وقد غلبه الألم، فانحنى إلى ركبته يعتمد عليها.

ـ شايل التليفون ليه، منظره... آه.

انبسطت أسارير لوز بعد عبوسها، وتحركت عيناه تتبعان يد سالم

ـ ايه ده..؟ ابن كلب مين اللى عمل كده ؟

ـ كلب من كلاب السكك..

ـ مين يعني، وانا...

ـ قولتلك كلب..كلب.

ـ كلب كلب يعنى... طيب لازم مستشفى يا ريس، ممكن يكون...

ـ لا ما تقلقش... مشٍ مسعور، الجوع اللى طلع أنيابه، ما هوانت لما تيجى تحارب واحد على قُوته، ما يبقاش قدامه غير كده..

ـ أنا...!!

ـ الكلب.

فى تحدٍ واضح وقد فهم كل منهما عن صاحبه، ومع هذا التحدى، وهذه النبرة الواضحة إلا أن أحدهم لم يستغن عن الآخر ولن يفعل...

إلى حين.... يَحْذَر كلٌ منهما الآخر، إلى حين، إذ كلاهما متصل بحبلٍ واحد.

ـ إيدك على كتفي يا ريس، الصيدليه فى آخر الشارع

***

تمخر السيارة عُباب الطريق تثير الأتربة تستوقفها إشارة المرور، تدنوفي ثيابها الرثة المرقعة من زجاج السيارة المغلق، تنقر بأصابعها المجعدة المتعرقة، وقد بدت عروق يدها واضحة في ظهر كفها، تشي بسنوات عمرها التي ما رقّت لحال أحدٍ..

ـ ربنا يخليكي، حاجه لله.

تفتح سلمى حقيبتها، تنقد المرأة مالا، فيما يتحرك شريف بالسيارة

ـ لسه فيكي حاجه من العيشه القديمه..

ـ تقصد ايه..؟

ـ لا، ابداً، خلينا في المهم...

... شوفى يا قمر، شوقي بيه دا راجل تقيل، كله فلوس، ولما بيسكر ما بيعرفش هوقال ايه، ولا عمل ايه، والاهم بقى... ولا دفع كام.

ـ يعنى...

ـ بالظـــاااااابط.

ـ بقولك يا شريف... هواحنا هنفضل كده على طول..؟

ـ كده ازاى مش فاهم..

ـ نبيع نفسنا على طول كده.

ـ نعم...نـ ايه، نبيييع نفسنا، جبتى الكلام دا منين.؟!

ـ هواحنا بنعمل حاجه تانيه.

تتحرك أصابع يمناه إلى عارضه يحكه بأطراف أنامله، وسرعان ما تحولت ابتسامته إلى ضحك هيستيرى..

ـ آآآآه، شوفى يا قطه، فى مرّه من المرّات طلبت معايه دور حِنيّه، كنت ماشى مع واحد صاحبى في الرمل، طلعت جنيه اديته لواحد شحّات، تاني يوم لقينا نفس الشحات فى نفس المكان...

بينى وبينك زعلت.. دا عاملها شغلته بقى،وأخد منى الجنيه، وكنت خلاص هأدبه، صاحبى قال كلمه بقت قانون بمشي بيه، طول ما هوعايش لازم يشحت، عشان المَمّ.. الأكل يعني، ما هوالجنيه بتاعك دا ما حلش المشكله...

ـ يعنى احنا..

ـ عشان المَمّ... ما هي مرّه ولا اتنين ما حلّوش المشكله

- اتفضلى، وصلنا.

على أنه لم يكن بالأمر الجديد عليها إلا أنها لم تتغول فيه بعد، وما كانت تظن أن تفعل، إلا مَرّة أومَرّات تُعَد، أمّا أن يكون دأبها، ومهنتها، والأساس الذي تقوم عليه حياتها، فذلك ما لم تتوقعه

ـ الآنسه سلمى..

ـ آآآنسه...!!!

ـ طبعاً، سعادتك مقامك كبير عندنا.

يتناول يدها يرفعها إلى فيه، يطبع عليها قبلة حانية لا تتناسب وغلظته البدنيه، خمسينى ممتلئ نوعاً، انحسر شعر رأسه عنها إلا فى جانبى الرأس متصلاً إلى قفاه، يلمع أعلى رأسه، عاكساً ضوء المصابيح،يخنق ما بين إصبعيه السبابة والوسطى سيجاراً كوبياً دليلاً على الثراء.

ـ والآنسه سلمى، منين ؟

ـ اسكندريه يا شوقي بيه.

ـ عظيم، منين فى اسكندريه.؟

ـ وهي تفرق يا باشا...

ـ ايه يا شريف، هي مش بتتكلم ولا ايه.؟

ـ تحب تسمع ايه يا شوقي بيه..؟

ـ دي مش جميله وبس، لأ... دي دمها خفيف كمان.

ويضحك فيتضاحك شريف، فيما تبتسم سلمى على استحياء

ـ تأكد سعادتك، إنك هتكون راضى.

ـ واضح يا شريف، واضح..

فى نَهَم تأكلانها عيناه، يغوص في كل تفصيلةٍ من جسدها، وكأنه فنان ينحتّ هذا الجسد المشتعل انوثة، أوجائعٌ وقد اصطفت أمامه صنوف الطعام بأنواعها وأشكالها، فجعلتا عيناه تأكلان قبل أسنانه وتمضغان قبل أضراسه، بل وتهضمان قبل مَعِدَته.. حتى كاد يشبع فيما المعدة فارغه..

***

هكذا النساء في عَيْنَيْ كل جائع، ولوأطلقت عينيك فيهن فلن تشبع أبداً، بل تزداد جوعاً ورغبه، كالظمآن يرطب كبدَه ماءُ البحر، وقد وَرَدَه مرّة بعد مرّةٍ، فهل له من رِيّ ؟!

فذلك أنت حال تطلق عينيك فيهن، فقد تميل إلى الشقراء عن الصهباء، أوتجذبك إليها سوداء الشعر دونهن، أوالنحيفة عن السمينة، أوالممتلئة في تناسق عنهن معاً، أوتلك القصيرة في اكتناز، أوالطويلة الواهنة.

وعن العينين فحدث ولا حرج، فقتلاهن كُثُر، فقد تخطفك مُلونة العينان بنظرة منها، سوداء كانت، أوبُنية، أوخضراء، أوزرقاء...

إنه السحر ولا ريب، فكل النساء في ذلك من الجمال بمكان، فإن لم تكن هذه في عينيك جميلة، ففي عيني غيرك أفروديتُ هي.. وهُنّ كُثُر.

***

كانت في ردائها الأسود الطويل، مفتوح الصدر، مكشوف الظهر، مشقوقٌ جانباه من أسفل الخاصرة إلى الأرض، المتلألئ وكأنما هبطت نجوم السماء لتتعلق به، كانت تضيء في جملتها كنجمة تفردت فى كبد السماء، وقد خلَتْ السماء الحالكة إلا منها، فجعلت الأنظار جميعها تلتقي عندها، وكأنها قِبْلة يحجون إليها، يدورون في فلكها، تشيعها الأعين المتعطشة نَهَماً ورغبةً، وحسداً لهذين يصحبانها ينعمان بهذه النجمة المتقده.

انطلقت السيارة الفارهة تحمل ثلاثتهم، قَوّاد فى مؤخرة السيارة، وفريسة مَقُودة إلى جوار رأسمالى مفترس.

ـ هتنزل فين يا شريف..؟

ـ فى المكان اللى سعادتك تحدده.... ولوالرمل يكون تمام.

ـ القطه ساكته يعني...

وقبل أن يجيب شريف، يقاطعه شوقي وقد ركن السياره إلى جوار الرصيف في منطقة الرمل.

ـ في جيب الكرسي اللى قدامك ظرف، خده وانزل.

" هكذا تتم الصفقة وهكذا يتم البيع.."

يشيع السيارة بعينيه قبل أن ينظر إلى الظرف المنتفخ بين يديه،

وينطلق يخطوعلى السحاب لا على الأرض، يعبر الشارع مارّا بتمثال سعد زغلول يشيعه بابتسامةٍ عريضةٍ، وكأنما يقول له :

ـ ها أنا ذا، قد بدأت الصعود..

إن رجلاً باع رجولته، وامتهن مثل هذه المهنة لخليق بأن يبيع أي شيء، فقد سبق وباع نفسه..

صعد درجات السلم في خفة ونشاط، يحمل في يده كيساً يتوقف أمام باب شقةٍ ما، يخرج المفتاح من جيبه، ويدخل...

يضع تليفونه ومفاتيحه إلى جوار الكيس على ترابيزة السفرة، فيما ينادى..

ـ ميمي، مديحه...

تلوح على وجهه ابتسامة الخبير المُجَرِّب، وقد يَمّم صوب غرفة النوم يفتح بابها؛ ليجد ميمي مستلقية على السرير في قميص طويل، وقد انحسر إلى أعلى ركبتيها عن قصد، تتكئ على ذراعها الأيسر، فيما تتتابع أصابع يمناها ـ إلا الإبهام ـ نقراً على فخذها مع ابتسامةٍ عريضة، تلمع عيناها ببريق الرغبة، وقد أسدلت شعرها الأسود الفاحم، تتدلى خصلات منه على وجهها لتزيدها جمالاً وفتنه..

ـ أنا قولت كده برضه.

ويستدير إلى الصالة فتلحق به قفزاً لتقف عند باب الغرفة، وقد اتكأت بيسراها على الجدار، فيما تحتضن أصابع يمناها خصرها، تتابعه

حيث يضع كأسين بجوار الكيس ويفرغ محتوياته.

ـ ما تستعجليش، قدامنا الليل بطوله...

تختفي داخل الغرفة من جديد، فيما يصلها صوته يناديها، وقد عَرّجت على حقيبتها تخرج مبلغا من المال، تستثني منه خمس ورقات فئة المائة جنيه تدسها في حقيبتها، ثم تيمم إليه..

ـ ايه، روحتي فين ؟

تضع المال أمامه على الترابيزة، فيما يجرع من الكأس يبتلع به قضمةً من الكفتة قد غصّ بها، يتحرك بؤبؤ عينيه ما بينها والمال أمامه.

ـ كام..؟

ـ ١٥٠٠..

ـ ليه يا قطه.؟

تقترب منه تضم رأسه إلى صدرها.

ـ انت عارف، المصاريف، والبنات، و....

يدفع جسده بالكرسي إلى الخلف، ويجذبها من ذراعها في قوة وعنف، وقد أضجعها على فخذيه، تبتسم له فيما تعلو ملامحه بوادر الغضب.

ـ اوعى تكونى فاكره اني فاتحهولك هديه، أوانك اختي بجد.... لاااااا، فوقى.

ويدفعها في قوة لتسقط على الأرض، فيما وقف إلى الكأس يملأه،

يتجه به إلى أريكة يجلس عليها رافعاً قدميه على الترابيزة أمامه،وبينا يرشف منه، تدنو ميمي ـ مديحه ـ منه في خطاً متثاقلة تجثو عند قدميه.

ـ انت عارف انا بحبك قد ايه...؟

ينظر إليها يهز رأسه ساخراً، فيما تتم :ـ

ـ ولا عشان بقيت كارت محروق، خلاص يعني، نسيت ميمي، نسيت الفرخه اللى كانت بتبيض دهب.

ـ هه هه هه هه هه، كاااااانت.

ـ لوالفرخه خلاص، لكن عندها المكان اللي بيطلع كتاكيت، تشيل الرايه من بعدها.

ـ قصدك المكان بتاعى، اللي أنا حاطك فيه..

تمرر أصابعها في شعره، تستجلب رضاه، وفي نبرةٍ مختلفة.

ـ وانا ايه وانت ايه يا قلبي..

وفى مكر المرأة التى تدور بالحديث حيث شاءت، تستتبع خلفها العقول

ـ اخبار الفرخه الجديده ايه ؟

ـ الفرخه دى اكتشاف..

ويعود برأسه إلى الخلف بعد أن ناول الكأس فارغة لـ ميمي، فيما يتم.

– عندها شغل الليله.

ويرفع يديه إلى السماء في عفوية، فيما تحولت مديحه إلى حذائه تفك عقاله.

ـ ربنا يوفقها.

تتوقف أصابعها تنظر إليه مندهشة، يميل برأسه إليها يبتسم، فتتابعه، ثم يضحك، فتتبعه، وقد تملكهما الضحك..

***

عندما يصيبك التوتر والقلق، فضلاً عن الخوف، فإنك لا يستقر لك حال، ولا تقر لك عين، ولا يهنأ لك بال، فأنت صريع هذا الأمر الذي دعاك لذلك، فإما أن تقضي فيه، أويُقْضى عليك فيه.

جعل الشرنوبي يروح ويجيء في غرفة مكتبه عاقداً يديه خلف ظهره حيناً ـ لا يفارق السيجار ما بين أصابعه ـ وحيناً آخر يرفع أصابعه بالسيجار إلى فمه، فيما يسراه تتتابع أصابعها إلا الإبهام نقراً على المكتب حيث يجلس في مواجهة مكتبه، يأخذه من هذا القلق صوت أصابع تنقر على الباب لتتحول عيناه إليه تنظران القادم، يحمل ملفاً كرتونياً يعلوه نقشاً باللون الأزرق العريض ـ الفرافره ـ يضعه أمامه.

ـ ايه ده...؟!

ـ أرض الفرافره سعادتك.

ـ أنا طلبت أي ملفات، فين زفت..؟

ـ جاي حالاً سعادتك، مشكله بسيطه في المحطه مع العمال و.....

انتفض الشرنوبي واقفاً يضرب المكتب بقبضته

ـ عمّال ايه وزفت ايه..

ثم محذراً الفتى بإصبعيه الوسطى وسبابة اليمنى يتوسطهما السيجار الكوبي الشهير.

ـ انا قولت يجي حالاً..

ـ حالاً سعاتك، حالاً.

يخرج الرجل يتفصد جبينه عرقاً، يشفق على زكريا من لقاءٍ ينتظره، فيما امتلأ المقعد بالشرنوبي يضرب مؤخر السيجار بظهر الإبهامٍ ليترك ما احترق منه في الطفاية، وقد أعاد رجله اليمنى تعلواليسرى،

فيما يلج زكريا يحمل فى يده ظرف أبيض يستقبله سيده ـ الشرنوبي ـ معنفاً.

ـ ساعه، ساعه عشان تيجي.

ـ انا آسف سعاتك، مشكله بسيطه مع العمّال، و...

يقف الشرنوبي وقد تملكه الغضب محذراً بذات الإصبعين يكاد السيجار يلامس وجه زكريا.

ـ أنا... الشركه، الشغل، العمال، المجموعه كلها... أنا.

ـ أنا آسف سعاتك، أوامر معاليك.

يتحرك الشرنوبي إلى ثلاجه صغيره تقبع في ركن من المكتب، يتناول زجاجة مياه يجرع منها، ويعيدها مكانها قبل أن يقترب من جديد من زكريا.

ـ سيادة اللواء لسه مكلمني، فيه بلاغ من مجهول عن الشغل بتاعنا...

ويشير بإصبعيه من جديد ليبتلع زكريا لسانه قبل أن ينطق فيما يتم هو.

ـ...أنا قولتله نلغي خالص، قال لأ، الشغل يسافر عادى... لكن الحاجه تتأجل لحد الدنيا ما تهدى.

ـ بس احنا عتقنا، والحاجه زي العاده.

ـ جرى ايه يا زكريا، بقولك بلاغ، والشغل هيتفتش في المينا، انت ما بتفهمش ولا ايه...؟!

ـ تمام سعاتك، انا هتصرف.

يمم زكريا صوب الباب، وقبل أن تمتد يده إليه يلمح بها الظرف الأبيض، فقفل راجعاً.

ـ الجواب دا لسياتك..

ـ ايه دا..؟!

ـ مش عارف سعاتك، فيه حد سلمه للأمن على البوابه ومكتوب عليه خاص بمعاليك.

يشير إليه بأصابعه أن هاته، يقلبه وجهاً على ظهر، لا يجد ما يدل على راسله، يسحب مُدْيه صغيره من يد تمثال فرعوني صغير يزين المكتب يفض بها الخطاب، قبل أن يعيدها مكانها.

مجموعه من الصور رِفقة ورقة صغيره، اتسعتا حدقتا عيناه فيما تتابعان الصور واحدة واَحده، فيما يمّم زكريا إلى الباب، ومن جديد وقفت يده دونه، وقد جاءه من خلفه صوت الشرنوبي مدوياً كأنه قنبلة صكت أذنيه

ـ زكريا..

بحركة لا إرادية تعود يده إلى صدره وكأنما صُعِق.

ـ خير سعاتك.

يقف الشرنوبي في بطءٍ وكأنما يحمل بين يديه جبلاً لا مجموعة من الصور، ينظر إلى زكريا وكأنما ينظر إلى ذلك الصرح الذى أقامه فيما يتهاوى أمامه.

ـ خير سعاتك، فيه ايه الجواب.

على أنه هومن استوقفه بهذه الصرخة المدوية إلا أنه غاب عن عينيه للحظات، ينظر إليه ثم إلى الصور بين يديه.

ـ ايه ده... و، و، ومين عمل كدا.؟!

أُسقط في يَدَىْ زكريا فيما يشاهد الصور، فسقط جالساً في المقعد يقلب عينيه فيها واحدة واحده، ترتعش يده فيما يشير بإصبعه إلى الصور.

ـ دا ااا أنا، والبضاعه بتاعتنا.

تسقط من بين الصور في يديه ورقة صغيرة، ينحني إليها يقرأ بصوتٍ

مسموع، وهويقف عن مقعده بعد أن قرأتها عيناه.

ـ الصور هتقول ملعوب فيها، متفبركه يعني، عشان كده الفيديوعندي.

... البلاغ كان شكّة دبوس..... المَرّه الجايه، هيكون بالفيديو.

نبتت حبّات العرق على جبينه، ينظر إلى سيده وقد اتسعت حدقتا عينيه وفغر فمه، فيما يكمل بصوتٍ أكثر وضوحا.

ـ... مليون جنيه..

***

ـ الله اكبر..

كبّر اسماعيل في نفسه، في صوتٍ ما خفيَ عن زملائه، ينظر إليها مشدوهاً، تتبعه أعين الحضور ـ إليها ـ إلا محمود الذى دس أنفه في الورق أمامه، فيما يتم أسماعيل..

ـ صحيح، أرزاق...

على الرغم من خُلُوّ أيديهم من العمل، وعلى الرغم من تلك الأوراق أمامه دسّ أنفه فيها إلا أنها اتجهت إليه..

ـ لوسمحت، عايزه أخلص الورق دا...

لحظات من الصمت، تدور رأسه وكأنما يغوص في أعماقٍ متتابعه، توقف الزمن، توقفت الدنيا بأسرها، لكأنه صوتها..!!

أم تُراه صوتٌ يخرج من داخله يخبر بكل ما فيه، وما أَلَمّ به إلا أنه رفع رأسه عن الورق في غير ثقةٍ منه، فقد انتابه الشّك، وظن لوهلةٍ أنّه قد وَهِمَ، وأنه إنما يحلم..

ـ ايه يا استاذه، انا هنا من بدري، وبعدين المهندسين فاضيين يعني...

إذاً هي، وإلا لَمَا خاطبها ذلك الغبى..

.. دعاء..

وبحركةٍ لا إراديةٍ، يقف محمود يرفع يده إلى وجهها كأنما يريد أن يستوثق منها، تبتسم ابتسامتها المعهودة تلك التى أخذت بلُبّه؛ فيزيد وجهها إشراقا، فيما تحاول إيقاظه من غفوته، تناديه وهي تؤخر رأسها عنه، وقد صارا محط أنظار الجميع.

ـ هندسه.

يقبض يده إلى صدره، وكأنما أخذها في قبضته إلى قلبه الذى ما خلا يوماً منها،يتفحصها بعينيه، تقف أمامه وقد جمعت شعرها الأحمر في

مؤخر رأسها، يتدلى من الكاب الأحمر كذيل حصان يتراقص مع حديثها،ترتدي قميصاً أبيض جمعت اكمامه إلى مرفقيها، فوق بنطالٍ من الجينز الأزرق.

ـ أنا...

يقاطعه اسماعيل قبل أن يكمل.

ـ هات ورقاتك يا بني عِندي.

ـ بس الباشمهندس بيراجعها.

ـ قولتلك هاتها، يا تاخدها وتاجي بعد ساعه.

ـ لأ، وعلى ايه..... اتفضل يا ريس.

جمع الفتى أوراقه من أمام محمود إلى إسماعيل، فيما يتابع الجميع هذا المشهد.

ـ بقول ايه يا هندسه... محمود، محمود.

استيقظ محمود من شروده ينظر إلى اسماعيل الذي يومئ له نفياً، فيما اتكأ عامر بمرفقه على المكتب تحتضن كفه عارضه يتابع في صمتٍ، وقد تبعه فى ذلك صاحبهم يونس، يدور محمود بعينيه في أنحاء المكتبَ حيث العيون تتابعه، يأخذ أوراقها يضعها أمام عامر، قبل أن يأخذها من يدها إلى الخارج، في ذهول وحَيْرة من الجميع.

هكذا الحب صنيعه.

إذ كانت المفاجأة أكبر من إدراكه للأمر، كانت المفاجأة أكبر من أن ينتبه إلى كونه في العمل، وأنها إنما جاءته بأوراقها كغيرها...

وعلى أنها أتته بأوراق، كغيرها من مُمْتهني الإستخلاص الجمركي، إلا أنه ما دار بخلده ما آل إليه حالها، بل جُلّ ما يشغل تفكيره ذاك السؤال.

ـ ليه..؟!.. انا انتظرتك كتير، ودورت عليكي أكتر.

كانت حركة المياه الهادئة ـ وقد استظلا بظل حاويةٍ تعلوها أخرى، بجوار رصيف الميناء ـ والصمت المطبق من حولهما على كثرة الضوضاء، إذ انفصلا عن ما يحيط بهما، ما دعاهما للصمت، غير أنه لم يكن ذلك وقته.

ـ ساكته ليه..؟

ـ أبداً.

ـ مش لاقيه حاجه تقوليها.

ـ مش بالظبط.

ـ طيب جاوبيني... ليه..؟

ـ أظن لا الوقت، ولا المكان مناسب.

قطب جبينه، مستفسراً، وقد أربكته المفاجأة في ردها، أولعلّه حَمّل الأمر فوق ما يحتمل، وأعطى علاقته بها ـ تلك الوليدة لليلةٍ واحدةٍ

مضت ـ فوق ما تستحق.

ـ انت ليك عندي تفسير، ودا من حقك... وليك عندى موعد انا أخلفته قبل كده، دا إذا كنت تحب... ؟

أجابتها عيناه، فأتمت..

ـ.... الليله في نفس المكان والميعاد.

تناول يدها بين راحتيه فيما تقول عيناه لعينيها أحاديث وأحاديث.

***

بلغت الحيرة منه مبلغاً، واستشرى القلق إلى نفسه كانطلاق النار في الهشيم، فجعل يجلس ويقف، ثم يعود فيجلس، ومن ثم يقف،يحمل في يده الصور يحدث نفسه بصوت مسموع.

ـ صور، صور،... مفيش حد يقدر يصور، أويعرف يصور... طيب جات ازاي.؟!

يعود بعينيه إلى الصور من جديد، ينظر إليها يُحِد النظر يدنيها من عينيه ثم يبعدها.

ـ فيديو...!! تبقي الصور متاخده من فيديو...

وينطلق إلى الباب، ثم يقف ويعود من جديد، يجلس يرفع قدميه على ترابيزة صغيرة أمام المكتب، وقد ألقى الصور على المكتب أمامه، فيما يعود برأسه إلى الخلف، مغمض العينين، وقد تبادر إلى ذهنه وجه

الشرنوبي يُعنفه، يخبره أن خلت الصور إلا منه، فإما أن يجد الفاعل أو

... نعم، فقد يُضحي به، ولكنه يعلم أنه بين يديه خيوط اللعبة كلها، وأنه حال سقوطه، فسيسقط هوالآخر.

ـ فوزي...

ويفتح عينيه ينتفض واقفاً، يبحث عن هاتفه النقّال.

ـ.... التليفون....

يميل بجسده على المكتب يفتح أحد الادراج ليخرج هاتفه وتسرع اصابعه نقراً على شاشته.

ـ ألو.... ابعتلى فوزي.......بتاع كاميرات المراقبه، حالاً يكون عندى في المكتب.

يلقى بالهاتف إلى جوار الصور على المكتب، ويعود إلى حالته السابقة

جالساً، وقد أرسل بقدميه فوق الترابيزة من جديد، يبدوعليه شيء من الإرتياح وكأنما وصل إلى بغيته، وكأنما أمِن في أمره.

ولكن... ماذا إن لم يجد بغيته عند ذلك الفتى ؟

هل سيكون هوبذاته الهدف ؟

هل يدفعه سيده دفعاً لتحمل وزرها ؟

صوت طرقات على الباب، ولج على أثرها فوزى.

على أنه لم يعلم بعد عن سبب استدعائه من زكريا، إلا أنه وقف بين يديه كالعصفور المبلل بعد وابل، ينتفض كمن تغلغلت البُرَداء إلى عظامه، ينظر إليه زكريا بعينين ثاقبتين، لم تلبث أن تحولت نظراته إلى شيء من اللين، والرفق، ثم بصوتٍ حادٍ زاد من اضطراب فوزي.

ـ فيه ايه، مالك ؟

ـ أ أ أ أبداً، شوية برد.

يقف إليه، فينكمش فوزي في نفسه، وكأنما يتقي يداً قادمةً لصفعه، فيما يقبض زكريا على كلا ساعديه يجلسه في المقعد المقابل له، ينظر إلى عينيه اللتان ما جاوزتا موضع قدماه.

ـ ها... قولى بقى.

انتفض فوزي واقفاً، يرفع يده المرتعشة، يقسم بالسبابة أن لا علاقة له بالأمر، وأنها من حاكت له حتى كادت توقعه فيه، وأن براءته منه كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب، قَطّب زكريا حاجبيه وقد حدَجَه بنظرةٍ ذئبيةٍ تغلغلت فى كل ذرةٍ منه، فزادت من اضطرابه، وخوفه يمسكه من ذراعيه يعتصرهما بين يديه، ويجلسه من جديد.

ـ بتقول ايه بقى ؟ هى مين وايه الموضوع بالظبط ؟؟

قطرات باردة فى حلقٍ جافٍ، أوكأنها نسمة باردة فى ظلٍ لشجرةٍ فى قيظ الصيف.

كان ذلك وقع كلماته عليه، إذ هدأت نفسه شيئاً قليلاً، ودبّ فيها

النشاط دبيبه في مُتْعَبٍ استظل وارتوى..

إذاً هولا يعلم، وحَرِيٌّ به أن لا يفعل، وفى بديهة سريعةٍ استدعى فوزي صورة أمينه أمام عينيه، نعم، هى ولا ريب، وليس غيرها.

جعل فوزي يقص علي زكريا قصته وأمينه، ورغبتها فى الإيقاع به على أنها تعلم من أمر خِطْبته، وأنه بالله وتالله وأيم الله ما لمسها، بَيْد أنها قد عَرّضت له بذلك تعريضاً؛ كَيْ تدفعه دفعاً للزواج بها، وأنه، وأنها....

ـ خلاص..

ـ أنا آسف، كان لازم أوضح الصوره، عشان هي....

ـ قولتلك خلاص، ما تشغلش بالك بيها، المهم دلوقت... انت طبعاً بتفرغ التسجيلات، وبتشوفها.

ـ طبعاً..

ـ مفيش أي حاجه غريبه لاحظتها.؟

ـ غريبه ازاي..؟

يعض زكريا على أضراسه وقد بلغ فوزى منه، فيما أتم فوزي والشرر يكاد يتطاير من عينى زكريا.

ـ... مفيش يا ريس، مفيش غير....

ـ ايه..؟

ـ الساعتين اللى كلمت حضرتك عنهم قبل كده..

يعود زكريا في مقعده بعد أن أعطى كامل اهتمامه لفوزى منتظراً منه ما يثلج صدره، غير أنه عاد ضيق الصدر، جاف الحلق.

ـ ساعتين ايه ؟

ـ من ١٠ لـ ١٢ بالليل، اللي..

ـ خلاص، خلاص... قوم على شغلك، ولوفيه حاجه تبلغنى.

وكأنه فُـك من عقال، انطلق لا يلوى على شيء، كطفلٍ صغيرٍ أطلقه أبوه بعد توقع عقاب، تلمع عيناه، تبدوأضراسه من ابتسامة عريضة، وكأن وجهه ابتسامة، يتحرك بخطىً سريعةٍ متتابعةٍ، تبحث عيناه فى الوجوه، تدوران يميناً وشمالاً، ترتفع أصابع نسائية رقيقةٍ حانيةٍ تضرب فى رفقٍ على كتفه، يستدير، فيما يأتيه صوتها.

ـ بتدور على مين ؟

ـ سبحان الله.

ـ مش معقول، يبقى أنا.!!

ـ كان نفسى فى واحد شاي من ايدك.

ترفع حاجبيها، وقد اتسعت عيناها مع ابتسامةٍ ساحرةٍ ولسان حالها يقول :ـ أهوأنت ؟ أم تراها تركتك، أم لعلك فعلتَ..؟؟

يرفع أصابعه في وجهها فتلتزم الصمت قبل أن يتحرك لسانها فيما

يتم

ـ هشوف حاجه في الكاميرات، ممكن....

فتردها إليه، ومن فورها ترفع أصابعها في وجهه، فيلزم الصمت فيما تقول :ـ طبعاً، دقايق ويكون عندك.

عندما تكون ذكياً، فطناً، أريباً، لمّاحاً، ثم تترك ما مُيّزت به، فتدع رأيك، وفهمك للأمور، لا لشيءٍ إلا لتريح عقلك من عناء التفكير، فتتبع في ذلك آراء آخرين، ظناً منك بذلك أنك إنما تُلقى بالتَبعَة عليهم إذ الرأي لهم، فأنت فى ذلك إنما تكون كمن ألقى بنفسه في هُوَّةٍ سحيقةٍ لرأي أحدهم يراقبك من بعيد، أوكمن القى بنفسه في عُرض البحر ـ على أنك لا تجيد السباحة ـ تصطاد سمكة بيديك المجردتين من رأي أحدهم ما ابتلت قدمه بماء.

يروح فوزى ويجيء في غرفة الكاميرات، ولسان حاله في نفسه يقول مخافة أن يصل همسه لأحدهم : هي بعد آتية، ولكن أنّى له بلمسةٍ تدفعها للشكاية منه، ولابد لها أن تفعل، فقد ذكرها لزكريا..

ها هى تلوح أمامه في الشاشة تنتقل من شاشةٍ إلى أخرى، تتراقص في مشيتها، تدنووتقترب، ومع كل خطوةٍ لها تزيد ضربات قلبه، فلم يكن يوماً بالخبير في أمور النساء، ولم يكن ثمة شأن له معهن إلا من خلال تلك التي ملكت عليه جميع أمره، فأسلم لها الروح والنفس والجوارح، فكان بين يديها أعمى تقوده، أبكم يقول بلسانها، أصم تسمع عنه إذ يصل ما يسمعه إلى عقلها قبلاً فتقضي له فيه.

يضع يده على صدره الذى أخذ يعلوويهبط، وقد استدبر الباب، فيما تضع يدها على كتفه، فيشهق شهقة غريق ارتفع لتوه إلى السطح حتى كادت تُسْقط كوب الشاء من يدها، يلتفتً إليها معتذراً، يمسك يدها بكوب الشاي، تنظر إليه مع ابتسامة الخبير المجرب، فيما عيناه ما جاوزتا يدها، تتساقط قطرات من كوب الشاي على الطبق لاضطراب يده.

ـ على مهلك... انت مش طبيعى النهارده.!!

ـ مش طبيعي... ازاي يعني مش فاهم ؟

تدنومنه تضع يديها على ذراعيه من الخلف بعد أن استدار واضعاً الشاي على المكتب، فيخطوهارباً منها.

ـ ما قولتليش... من طريقة كلامك ولبسك باين انك متعلمه، انتى...

ـ معهد فنى تجاري، وكان ممكن اكمل كليه تجارة.

وتزم شفتيها فيما يستدير إليها يرسم على وجهه علامات الاستغراب

ـ ما تستغربش، انت عارف خريجين التجاره كل سنه قد ايه ؟

وقبل أن يتكلم تسترسل في غير حاجة أوسؤال منه

ـ وبعدين الشغل دا مريح، وباخد اللى مكفيني.

جعلت امينه تسترسل في الحديث تحكيه كل شيء سأل عنه، أولم

يفعل، فقط انطلقت، وكأنما تضع عن كاهلها عبئاً ثقيلا تشاركه اياه، وعلى أنها أفاضت، واستفاضت في سردها، وعرضها عن حياتها، وكل ما يتعلق بها إلا أنه كان ينظر إليها بعينين زائغتين، لا يصل إلى مسامعه ومن ثمّ عقله من حديثها من شيء، فقط النذر اليسير، فَجُلَّ ما يشغل تفكيره... كيف وفي أي موضع من هذا الجسد المشتعل أنوثة ؟؟

جُلّ ما يشغل تفكيره، هوأن يدفعها دفعا في نهاية الأمر إلى الشكاية منه، وتحديداً بلمسها، فأنّى له وأين..؟؟

إنها الآن أضعف ما تكون، وذا حال الأنثى حال تحكى ألمها لمن وثقت به، فهي وكل أنثى في ذلك سواء، وهنّ في ذلك بين أمرين لا ثالث لهما، إما أن ينجح ذلك الذئب فى استغلال لحظة الضعف تلك، فتركن إليه أيّاً كانت اللمسة أوكان موضعها، أوتستجمع غضبها في كفها ومن ثم تلقي به فى وجهه فى صفعةٍ أيقظته من شروده تعلوأصابع يمناه عارضه الأيمن، وقد تخيلها تصل إليه.

ـ مالك.....؟

***

هل تعيد الكَرّة من جديد ؟ هل يتعرض لنفس الموقف ؟!

لقد أنْسته فرحته بلقائها أن يحصل على رقم هاتفها...!!

يا للطفولة، يا للغباء..!!

بَيْد أنها وعدته... ولكنها فعلتها سابقاً، ومن أخلف مرّةً، فلن

يصعب عليه تكرار الأمر.

ولكن ألا يكون عَرَضَ لها عارض فمنعها ذاك اللقاء، وما وعدت هذه المرّة إلا لاستيضاح ذاك الأمر..

ربما...؟ غير أنها....

يضرب رأسه بيده ولسان حاله يقول:

ـ حسبك..

جعل محمود تروح به الأفكار وتجيء، كطفل أُدْخل امتحاناً للمرة الثانية وفي ذات المادة، يخشى الخروج خالي الوفاًض، وهذه المرّة ليست كسابقتها، فقد رأها أصدقاؤه ـ اسماعيل وعامر، ويونس ـ وعليه أن يُعِد للسؤال جواباً، وتفصيلا.

فإن يتكرر الأمر...

يتكررالأمر، لا، يضرب الهواء بيده امام عينيه يدفع هذه الأفكار عن عقله، يحدث نفسه :ـ أكيد هتيجي..

يدور بعينيه في انحاء المكان، يرفع كفّه يوافقها صوته ينادي ذلك النادل

ـ أفندم يا هندسه...

ـ ازازة مَيّه..

ـ انا جبتها لحضرتك فعلاً..

تتبع عينا محمود يد سمير، حيث زجاجة المياه امامه؛ فتبسم يرفع اصابعه إلى جبهته يمسح عنها قطرات عرقٍ نضحت

ـ اجيب لحضرتك حاجه تانيه.؟

يرفع هاتفه امام عينيه ينظر شاشته لتعلن ساعتها عن التاسعة وخمس وعشرين دقيقه، فيما يؤكد للنادل أنه فى انتظار صديق.

لا تعرف هل هوتوارد خواطر، أوالقاء في الخاطر، أووحى من الوحى تهبط أصابعه برفق يعيد الهاتف إلى الترابيزة بعد أن تأكد من ساعته، فيما يرفع رأسه مغمض العينين، يملأ صدره من نسيمها، ويفتح عينيه ليستقبلها واقفاً..

أهلت عليه كعهده بها، الجمال في ثوب امرأه، للوهلة الأولى يخالجه إحساس طاغ بأن ثمة تغير فيها، هي ولا ريب دعاء.. هي ولا ريب تلك التي أوّقدت في نفسه جذوة الحب، هي ولا ريب تلك التي أشعلت رأسه فِكْراً، وقلبه شوقاً، وباله اضطراباً.... غير أنّه لا محالة ثمّة تغير، ولكن ماذا يكون ؟

مع ابتسامةٍ عريضةٍ أخذت بلبه، فيما يستقبلها سمير.

ـ سمير، ازيك، اخبارك ايه ؟

ـ حضرتك نورتي المكان، بقالك كتير مش بتيجي.

تومئ له وذات الإبتسامة ما فارقت مُحَيّاها، ثم تميل إلى ذلك الذاهل عقله، النابض قلبه باسمها.

ـ أنا شايفه انك ما طلبتش حاجه.

ـ منتظرك.

ـ MANGO OK

يومئ برأسه إيجاباً، وهل يملك إلا أن يجيب، فيما تعود بذات الإشراق إلى سمير... ـ FRISH

ـ طبعاً يا افندم، حالاً..

هي هي ولا ريب، لكنه قطعاً ثمة تغير

ـ ايه، مالك..؟

ـ ابداً... حاسس ان فيكى شيء مختلف.

تزم شفتيها وترفع كتفيها

ـ طبيعة البشر..

حقاً، إنها طبيعة البشر، فالناس أغيار، وما قلوب البشر إلا بين إصْبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء، ذلك فضلاً عن أنْفس البشر تلك التى تأمر بالسوء، فتطيع الجوارح أوتأبى.

ذلك فضلاً أيضاً عن تغير الحال في عموم الحال، فالناس أغيار لا ثبات لهم، تتغير ـ بتغير أحوالهم ـ علاقاتهم فيما بينهم.

هكذا الأمر إذا، تغيرت، ولكن..... أي شيء فيها تغير ؟

هل تغيرت المشاعر ؟ تلك التى كانت في تدفقها كنهرٍ يفتت في طريقه كل عائق.

أم جُلّ ما تغير الاسلوب وطريقة التعامل مع البشر، وملابسها تلك التي تنم ولا ريب عن سيدة عملٍ.

جعلت الأفكار تضرب برأسه فيما عيناه ما جاوزت قسمات وجهها التى تزيد اشراقاً مع كل كلمةٍ، أوإيماءةٍ.

ـ ساكت ليه ؟

ـ أبداً.. عايز اسمعك.

ـ مش يمكن يكون صوتي وحش.

ـ بالعكس، كل حاجه فيكى حلوه.

ـ فيه حاجات كتير ما تعرفهاش عني، و....

يرفع أصابعه في وجهها يقاطعها، فيما يضع سمير العصير أمامهما.

ـ احنا اتفقنا، الماضي ليكي لوحدك.

بدأ هذا الإشراق يخبو، وقد تسربت إلى ملامحها أثار الماضي وكأنما تتمثله أمامها.

ـ لكن الماضي دا ممكن يكون قاسى، ويستمر اثره معانا.

ـ مهما كانت قسوته، اصبح ماضى، المهم ان اثره دا ما يطغاش علينا وما يستدعيش الماضي نفسه، وبالتالي يحوله لفعل متجدد، ونعيش في

نفس الدايره.

أخذت كوب المانجوبين راحتيها، وأغمضت عينيها، وبدأ العصير يصعد من خلال الشاليموه بعد ان أطبقت عليه بشفتيها في حُنُو، وكأنما تطبعه بقبلةٍ أخذت بلب محمود وجميع جوارحه، فيما يجرع منْ كوب الماء امامه.

ـ يعني ممكن نمحى المكتوب قبل كده، ونبدأ صفحه جديده.؟

ـ طبعاً، وإلا كان كل انسان يعيش حياته أسير لماضيه، والحياه تقف عند الماضي ده.

مع ابتسامةٍ مقتضبةٍ وفي شيء من الحماسة تغير من مجرى الحديث

ـ تعرف انك هتشوفني كتير في الشغل.

استطاعت أن تنتقل به من الحديث عن الماضي، حيث مرارته وآلامه تطفوعلى وجهها، استطاعت أن تجذبه إلى حيث تريد، وقد استجابْ، وهل يملك إلا أن يفعل، بل وأسرع في الخَطْو يسبقها،وكأنه يخشى أن يسرقها الماضى من بين يديه، فجعل بكل حيَلةٍ يقنعها أن تبدأ معه من جديد، حيث التقيا، وأن تنسى ما كان، ولا تعد إليه، بل عليها أن تضع ذاك الماضي في خبيئةٍ، وتغلق عليه بمفاتيح وتضم إليه ثقلاً، ثم إلى البحر.

ها قد التقيا معاً على نفس الهدف ـ محوالماضى ـ فلكلٍ منهما ما يخجل منه، ويود لويخفيه حتى عن نفسه.

***

ماذا أقول إذا تعاظم دمْعُها.... وتعَطّرت بعبيرها أثوابي

ءأرق حيناً بعدما عينى رأت... هذي الدموع تفيض في أعتابي

ما إن افتتح الشاعر قصيدته حتى استجلب اهتمام الحضور، وما إن أتى على آخرها حتى دَوّى التصفيق في القاعة، وقد امتلأت عن آخرها على غير المتوقع والمعتاد إلا أنهم وكأنهم وُسِموا بطابع واحد، وشكلٍ واحد، إلا من قلة قليلة اعتاد الشاعر ومدير المركزً الثقافي رؤيتهم، أمّا هؤلاء الجدد فما حضورهم إلا لهدفٍ واحد، وقد فطن اليهم وَالِي وشاعره..

ـ وبعد أن استمعنا إلى هذا العزف المنفرد على أوتار الكلمات، حيث قصة الحب التي روتها القصيدة، وقد عَنْونها شاعرنا

" عطر العيون " نعود من جديد إلى محراب الكلمة، وقصيدة لا تقل في روعتها إن لم تزِدْ..

كان اختيار القصيدة عن قصد، ليُنقل عنهما ما يأمنا به، وكان الحديث بعدها تتمةً لها، وتأكيداً على دعم الدولة، وجيش الدولة على إطلاق الأمر وسِعَته، وبغض النظر عن تلك الأخطاء التى لم ولن يُعْصم منها أحد مهما بلغ وارتفع.

ـ وهكذا أيها السادة، كان لزاماً أن نُعَرّي أعداء الوطن، وأن نَصْطَف معاً، وأن ندعم القيادة في حربها ضد الإرهاب.

تحولت الندوه الثقافية إلى ما يشبه مظاهرة في حب الوطن، دعما للقيادة

والجيش..

إذاً " لا صوت يعلوفوق صوت المعركة..

و" نحن نحارب الإرهاب..

فـ" لا وقت للمهاترات...

إذ " لا تحدثني عن رفاهيةٍ مزعومه..

كا...الحاجات الأساسية.

و... الإصلاح الإقتصادي.

و... حقوق المواطن البسيط.

ولكن... ألا يسير ذلك كله في عِنانٍ واحد، وذلك دأب الأمم جميعها، تلك التي تضع نُصْب أعينها هَدفاً إلى جوار أهداف أخرى.

فلا يستقيم أن تواجه عدوّاً فيما جبهتك الداخلية ممزقة، بل وأضعف من أن تستمد منها جنوداً تلقى بهم في آتون معركتك ـ إذ جيشك في جملته من هؤلاء ـ وقد كنت أنت يوماً ما واحداً منهم.

لذا وجب أن تمشى، وعلى قدم المساواة فى ذلك كله، أن تقاوم عدوك مع توفير الحاجات الأساسية، ومن ثَمّ العمل على الإصلاح الإقتصادي، وذلك كله في إطار الحفاظ على حقوق وكرامة المواطن.

فإن حاولت أن تستجلب، وتستدعي الحس الوطني لدى المواطن، فيما قيدته وأغْـلَلْت يديه إلى عنقه، وألقيت به في دائرة الحاجة، فجعلته يرزح تحت نيران الفقر، والخوف، والذلة والمهانة، فأنت في ذلك واهم.

إذ لا يكون الوطن وطناً لمجرد أن يولد المرء فيه.. لا..

ولا يرتبط المرء بوطنه بالأغانى، والكلمات الرنانة التي يتفذلك بها مثقفوه، وهم في معظمهم أبعد ما يكونون عن المعنى.

ـ تحولت الندوة إلى مظاهره.

ـ من الجيد أن نكون سبباً في تعبير الناس عن وطنيتهم.

ـ ذلك إن لم يسن القانون شروطاً للتظاهر، أما الآن، فقد تؤخذ بهم.

ـ هذا إن كانومعارضين، أما في حالتهم تلك، فلا ضَيْر.

ـ أين فطنتك أيها الشاعر، إن خرجوا من أسوار هذا المكان، فلا تدرى من يندس فيهم، فيكون ما لا يُحمد عُقْباه.

يقف وَالي يرفع يديه إليهم محاولاً إسكاتهم، وبعد جهدٍ، وبمساعدة البعض من مِرتادي المكان، بدأ الهدوء يعود، والصمت يخيم على المكان.

ـ نيابةً عن شاعرنا الشاب شكري صديق أشكر لكم تفاعلكم مع كلماته، على وعدٍ بلقاءٍ آخر نعلن عنه في القريب.

يدوي التصفيق من جديد فيما يلمح وَالى سعاد بين الحضور، وقد وقفت تريد الخروج، إلا أنه استوقفها بإشارَةٍ من يده، فجلست إلى أن

خلا المكان من رواده، وودّع وَالِي شاعره الشاب، ثم دنا منها.

ـ شايفه انكم بتداعبو النظام.

ـ لا ضير من مهادنة النظام بين الحين والحين، وليعلموا أنّا إنما نعارضهم لا للمعارضة في ذاتها، ولكن رغبةً فيما هو أفضل.

دعْكِ من هذا كله، إنما أردت أن أبّشرك..

ـ خير..

ـ بل كل الخير، لقد نُقِل إِلَىْ عن مسئول كبير....

وينظر حَوالَيْه قبل أن يُتم..

.... سيكون مطلق السراح في القريب العاجل.

تقطب جبينها وكأنها تسأله عما يقصد، وقبل أن يسترسل تهتف في سعادةٍ، وقد تهلل وجهها بشراً.

ـ عاطف.

ـ هو، هو..

ـ بجد.

ـ هذا ما نُقِل إِلَىْ، وأرجو أن يصدق.

ـ ما قالش امته، طيب هو عامل ايه ؟؟ عملوا معاه حاجه، هو كويس يعني ؟....؟

ـ رفقاً بنفسك، عندما يخرج سَلِيه، واستوضحي منه الخبر، فهوالأصدق إنباءً عن نفسه، وما حدث له..

ـ ما تعرفش الخبر دا أسعدني قد ايه.

ـ لوأردتُ أن أكتب عن سعادةٍ تنبض في عَيْنَيْ أحدٍ، لوصفت هاتين اللؤلؤتين، ولوكنت رساماً وسؤلت رسمها فلن أجدَ خيراً من عينيك.

ليس شيء أجمل من بارقة أملٍ في خِضم بحرٍ من اليأس متلاطمةً أمواجه، وليس شيء أبلغ من عينينٍ تلمعان بوميضِ الفرح والأمل.

كادت تطير فرحاً وهي تمشي على كورنش البحر، تنطق جوارحها كلها، جارحةً جارحه، وقد بُعِث فيها من الحيوية والنشاط بحيث تنظر إلى الدنيا بعينين مختلفتين عن ساعةٍ مضت، فقد تحولت إلى النقيض..

من اليأس إلى الأمل، من الحزن إلى السعادة.

يُدوي رنين هاتفها، فيما هي مُغيبة مع نسيم البحر، وقد أغمضت عينيها تستنشق من هذا العبير، تلك الرائحة ـ رائحة البحر ـ التي لا يعلمها وما افتتن بها مثل أهل هذا البلد، يعود الهاتف من جديد إلى رنينه مستنجداً بصاحبته حتى كاد يلفظ أنفاسه، إلا أنها أدركته قبل أن ينتهي أجله، تنظر شاشته عاقدة الحاجبين..

ـ مين دا...؟ ألو....مين.....

صمت للحظات، وقد ألصقت الهاتف بأذنها، وامتلأت عيناها بالدموع حتى فاضت، وما كان فيض الدموع وانسيابها عن حزنٍ وألمٍ

أَلَمَّ بها... لا....

ودليل ذلك وآيته ـ مع الدموع الواضحات ـ قَسَمَات وجهها التى تهللت بشراً، وفرحاً حتى مع انهمار الدموع..

ـ... على البحر..... آه لوحدى.... فين ؟..

صمت، دموع منسابه، اسارير تتهلل بشراً، عينان تلمعان ببريق الفرح تنظر إلى شاشة هاتفها، تُحدق في الرقم الظاهر أمامها بلا اسم، ثم تضمه إلى صدرها، وكأنما تضم فيه غائباً عاد، أومفقوداً ظهر، تنظر إلى النجوم المتلألئة في سماء البحر تحاكي فرحتها، وكأنما تخبر رواد البحر عمّا يجيش بصدرها.

وما النجوم والمصابيح المتلألئة ينعكس بريقها على صفحة الماء إلا تعبيراً عمّا يجيش بنفس كل من يشهدها، وكلٌ بحسب حالته وشجونه يراها، فمن تهللت أساريره لأمر أسعده، أوتصالح مع نفسه فقنع بحاله يراها حيث يراها إذ تُعلن عن ذلك في نفسه، وعلى النقيض من ذلك يراها من أَلَمَّ به مُلِم، أوعكف على نفسه يحزنها بشتى الطرق إذ ما قنع بما هوفيه، فيراها حيث يراها تعلن عن ذلك الحزن فى عينيه وحده.

اتخذت سعاد نفس الطريق التي قَدمت منها، وقد جعلت الشاطئ عن يسارها، وانطلقت كأنها تطير في الهَواء لا تخطوعلى الأرض، لم تعطْ نفسها الفرصة لعبور الشارع كَىْ تستقل تاكسى، بل انطلقت من فورها فى خفة ونشاط ساعدها فى ذلك رشاقة الجسد يدفعها الشوق..

وهكذا الشوق صنيعه بالنفس البشرية، ما إن تجد الفرصة سانحة للقاء من كنت تشتاق إليه إلا وتنطلق يدفعك الشوق، وقد أنساك كل شيء، فلا يشغل بالك أى شيء، فهوطعامك وشرابك.

ها هنا.... وسط أشجار النخيل المرتفعة تعانق البحر في نسيمه البارد، وفي أحضان التاريخ المتجدد حيث مكتبة الإسكندرية العريقة، تدورا عيناها تبحثان في المكان، فأين..؟ أين تكون..؟

ربما تكون... نعم، هي، ذات الوهج الأحمر يسطع تحت الأضواء المتلألئة، تدنوسعاد منها حيث تجلس في مواجهة البحر يتدلى شعرها الأحمر على ظهرها، وقد جمعته كذيل حصان، تضع يدها على كتفها.

ـ دعاء...

***

DREAM FOR TRAVELING

رافعاً قدميه على المكتب أمامه، وقد مال بالمقعد إلى الخلف معتمداً به على الحائط، جامعاً أصابع كفّيه خلف رأسه ينظر إلى سماء الغرفة، وقد بدت عضلات ذراعيه واضحة تنبئ عن هذا الجسد الرياضي، تتدلى على صدره قلادة فضية، في نهايتها دائرةٌ يتوسطها رسماً لتنين صينى يأتيه صوتها من الداخل.

ـ ها، ايه رأيك..؟

ـ مش بطّال، المهم نكون بعيد عن الصوره، الناس دي تقيله، وانتي

عارفه.

تخرج من الحمّام، فيما تغلق ذر قميصها العلوى، تقترب منه تطبع قبلةً على خده، وتجلس أمامه على المكتب، لتبدوساقها من مِفْرق الجيب وقد وضعت قدماً على الأخرى.

ـ لا يا قلبى... احنا بعيييييد خالص.

يُحدق بعينيه في باطن ركبتها، وقد بدت أمامه ناصعة البياض، تميل إليه، وقد أرسلت أصابعها تهبط بها على وجهه من أعلى جبهته تمر بعينيه كمن تُغمض ميتاً، فيما تضحك وقد أعجبها ذلك منه.

ـ عينك..

ـ أغمض يعني...

ـ مش قوي.

وتضحك في تَغَنُّج، فيما تقفز عن المكتب، تدور حول نفسها رافعة يديها في الهواء..

ـ يااااااااااه... مليووووون جنيه، عارف... بحلم بالشقة، والعربية

مشروع صغير نبدأ بيه سوا..

يقف لها وهويقول..

ـ يبقى شويه..

ـ هوايه اللى شويه.؟!

ـ المليون... الراجل دا ملياردير، يعني المليون بالنسبه ليه زي ألف بالنسبه لينا..

ـ مش فاهمه.؟

يرفع سبابته في وجهها.

ـ الفرصه بتيجى مره واحده بس.

تتحول أنظارهما معاً إلى حقيبتها حيث يُدَوي رنين هاتفها فتسرع إليه.

ـ أوووف...

ـ مين.؟

ـ خطيبى..

ألصقت الهاتف بعارضها، وقد تمعّر وجهها، وبحركةٍ آليّة ارتفع شِدْقها حتى كاد يطال شحمة أذنها، فيما يعود شاكر إلى مَقعده يتابع الَحديث.

ـ خير، عايز حاجه..... هنا فين.....

تقترب والهاتف بعد لم يزل على عارضها، تلصق عينيها بزجاج المكتب فيما تعلويدها جبينها تنظر إلى الخارج..

أسرعت إليه فيما يتابعهما شاكر من خلف الزجاج، يقف بين يديها

كطفلٍ بين يدى أمه يخشى عقابها، تحين من شاكر ابتسامة، وقد رآها ترفعً يدها حيال وجهه حتى كادت تصفعه، إلا أنها عدّلت وجهتها، وقبضت أصابعها إلا السبابة تحذره بها، قبل أن يومئ لها إيجاباً بعينين ملؤهما الإنكسار، ليتركها قافلاً.

ـ ها... ايه الأخبار ؟

ـ بَنِى آدم غريب، قال بيرن علية طول الليل وتليفوني غير متاح.

ينظر شاكر في سماء الغرفة محاولاً التذكر.

ـ آه.. كان مقفول.

ـ الطبيعي لما يفتح الشركه هتبعتله رساله، يبقي يرن، مش يجى لحد هنا وانا محذراه قبل كده..

ـ المهم فيه جديد..؟

ـ زي انت ما قولت، بعتوله يسألوه لوشاف حاجه غريبه في الكاميرات.

ـ حلو... كده دخلنا في الجد، شوفي بقى.

جعل شاكر يدبر لها الأمر ينسج لها خيوط خُطّته، كَىْ يحصلا على المال دون أثر لهما، أوحتى لهذا التافه في ظنهما، وما كان ذلك خوفاً عليه، ولكن مخافة أَن يُقْتفى أثرهما من خلاله.. لذا فعليهما تأمينه.

بداية ذلك انتهاء دوره بما قدم لهما، وعليها أن تقنعه بأنها محت

الفيديو، حتى لا يُضر في عمله، فَـيَقَرّ ويهدأ ولا يُكتشف أمره، ثم هما بعد وملايين الرجل..

***

كأنها بعير يميل بحمله يُمْنةً ويسره، يتصبب العرق من جميع وجهها بل من جميع بدنها حتى نضح على ملابسها، يعلوصدرها ويهبط، وقد ارتفع صوت أنفاسها تتردد، تقف تحاول التقاط أنفاسها الهاربة منها كأنها في سباقٍ، يأتيها صوته من خلفها.

ـ على فين يا... ام سيد.

جمعت شفتيها، وألْصقتهما إلى بعضهما تضغط عليهما، تعض على اضراسها، وقد اتسعت فتحتا أنفها كحصانٍ أنهى سباقه للتوأولازال، ودون أن تستدير إليه.

ـ وانت مالك..؟

يخطولوز إليها ليواجهها، تعلووجهه ابتسامته الصفراء ذات المعاني المختلفة، تلك التى لا تفارقه، ولا هويفعل، وكأنها ينام ويصحوبها، تلك التى تعلوالوجه عندما يقصد صاحبها معنى آخر لم يغِبْ عن من يحدثه.

ـ يمكن يكون طريقنا واحد.

وبعيني لبؤة يتطاير منها الشرر تدفع عن عرينها، وبقلب أم تدفع عن صغيرها، أوأنثى تحفظ ما بقي من عمرها الذاهب.

ـ عُمْره، طريقنا عمره ما يكون واحد، إنتوحاجه، وأنا حاجه تانيه خالص، حتى لوماشيين في نفس السكه.

يشعل سيجارته المنبعجة تعلووجهه ذات الابتسامة، فيما تنظر إليه باشمئزاز، ينفث دخان سيجارته في وجهها، بداية من صدرها صعوداً إلى وجهها، ومن ثم أعلى رأسها ليُظِلّها الدّخَان كغمامة صيفيةٍ خلت من الماء، تضرب الهواء بيدها تعض على أضراسها غيظاً، ترمقه بعينين حادتين قبل أن تنطلق في طريقها يصلها صوت ضحكاته الساخرة يخبوشيئاً فشيئاً، تجمع أصابعها في قبضتها تود لوترسلها في وجهه، فتحطم فيه هذا الوجه الجامد الذي لا حياة فيه.

هي الوحيدة من تلك المنطقة التى جرؤت أن تقف فى وجه هذا التابع وسيده، عيناً بعين، ولساناً بلسان، وإن امتازت عليهما بلسانها الحاد فى لذع كلماته وقوتها.

ومع هذا، فهى تخشاهما عليه، ففيهما من الشر وسوء الطَوِيّة ما يُخَوّل لهما إيذاءه..

يممت وجهها صوب بيت صاحبتها، حماتها المستقبليه ـ كما تخطط لها أن تكونِ ـ وجُل ما يشغل تفكيرها صغيرها الذي بلغ مبلغ الرجال، ذاك الفتى الحَيِي كالعذراء في خدرها، الهادئ، الوديع، خفيض الصوت.

على أنه امتهن ـ الحِلاقة ـ تلك المهنة التي يمر من خلالها صنوف شتى من الرجال بين يديه، إلا أنه حفظ ما جُبل عليه من وداعةٍ وهدوء، فجعل لا يصل إلى نفسه من خشونة الرجال، وصلابتهم من شيء، وما

كان ذلك إلا لسابق خوف أمه عليه مُذ مات والده، فجعلت من نفسها الاب والأم، تراقب حركاته وسكناته، ومن ثم تدير له أمره، وتخط له، فيما يمشي لا يخرج عما خَطّت وحددت قَيْد أنْمله، فإذا عرَض له عارض عاد إليها، فتقضى له برأيها كما يقضى الرجل لابنه في أمره، هكذا كان وكانت معه، كأنه ظلٌ لها..

ـ آه.

خرجت منها تلقائية وفي بداهة وهى تتكإ بيدها على كتف صاحبتها؛

لتجلس إلى جوارها أمام البيت فى صمتٍ إلا من تأوّهٍ حال جلوسها، واستمر الصمت وكأنهما ما تجالستا، كلٍ منهما وحيدةً تحيا في عالمها الخاص، تتلاحق برأسها الأفكار، تدور في مدارات ومركزها ابنها ذاك الوديع، أمّا تلك فمركز أفكارها ابنتاها تشغلان تفكيرها على ما بهما من جحودٍ، وإنكار إلا أنهما ابنتاها ما خلا يوم رأسها منهما، هما وحسب، على أنَ صاحبتها قد يقفز نصحي مرّةً بعد مَّرةٍ إلى دائرة تفكيرها... لا مركزها.

هكذا كانتا في جلستهما، لكأنهما بورتريه صامت، يمثل الصمت في أجل صوره.

اتكأت ام سيد ـ حسنيه ـ بمرفقها على فخذها، وقد جعلت ذقنها في كفها، فيما صاحبتها بين أصابعها عود تنكت الأرض، جَنّ عليهما لوز، فيما هما على حالتهما، يقلب عينيه فيهما مع ابتسامة ساخرة، ابتسامة الخبير بأمريْهما، فيما لا تلقيان له بالاً، ولا تعيرانه انتباهاً، ولا تكترثان

لوجوده، وكأنه ما جاء بعد.

إن أشد، وأقسى، وأقصى أثراً على النفس البشرية إهمالها، أوالتغافل عن أذيً قد يصيبك منها، وقد يأتي الإهمال عَرَضاً، أوعن قصد، أما التغافل فخُلُق عن قصدٍ يكون.

يُلقى حبّةً في فيه، وقد بدا الغضب يتسرب إلى نفسه يعض على أضراسه.

ـ مش قولتلك طريقنا واحد....

ترفع عينيها إليه في نظرةٍ ما خلت من الاحتقار

ـ وقولتلك عُمْرُه ما يكون واحد، حتى لومشينا في نفس السكه.

سُرِّيَ عنه شيئاً قليلاً بحديثها معه، حتى وإن لم توافقه الرأي.

وذا حال الكثير من البشر، إن هم إلا كالنار تستعر، وتضطرب، وتزيد اشتعالاً بما يُلقى إليها من حطب تأكله، فإن منعتها هذا الطعام، فإنها إنما تأكل نفسها حتى تخبوجذوتها، وتهدأ ثورتها.

ـ صِحّتك اخبارها ايه يا ام نصحي ؟

ما زادت على أن أهملته، كأنها لم تسمع منه، فيما تخاطب صاحبتها.

ـ بقالك كام يوم مش باينه يا حُسْنيه، يا رب يكون خير..

ـ أبداً...

فيما يتابعهما بعينيه تتجاذبان أطراف الحديث، وكأنه ربط ما بينهما،

يَتّقِد وجهه، وقد تملكه الغضب.

ـ بعد بسلامتها سلمى ما اتجوزت، والواد سيد محيرنى نفسى اجوزه بقى

ـ على عينى يا حبيبتى.

يتركهما لوز إلى داخل البيت، فيما يصله صوت أم نصحي تتم.

ـ.. انتي عارفه دي خالتها وابن خالتها، ولولا كده ما اعزهاش عنك ابداً.

هذه كلماته بصوتها، نعم، فتلك خُطته التى حاكها لصاحبه يقطع بها ألْسِنة الناس، وها هم جميعاً يتنكرون له، وكأنه مرض يخشوْن العدوي به... ولكن إلى حين، نعم، إلى حين.

يضع لوز يده على مقبض الباب، وقبل أن تتحرك يده به تحين منه التفاتة إلى الباب المقابل له، إنها غرفتها ـ سلمى ـ ثوانٍ من الصمت اختفت فيها كل الأصوات إلا صوتها يتردد برأسه تفتح بابها مُقْبلة عليه.

ـ استنيتك كتير في المكان بتاعنا.

يمد يده إليها، ثم يقبضها إلى صدره، وقد عادت خالية إلا من إحساسٍ بالغضب، ينظر حواليه ثم يتحرك إلى بابها المغلق.

ـ بتعمل ايه عندك ؟

تتيبس يده على مقبض الباب، يرفع رأسه إلى سماء البيت ينفث نيران غضبه قبل أن يستدير إليها

ـ أنا... أصل...

ـ ايه مالك، ولا الحبّاية اللى أخدتها توهتك.

ها قد أوْجَدَت له مخرجاً.

كان حديثها عن تلك الحبّة بمثابة طَوْق نجاة له، يُعَوّل عليه فعله، وما هى في ذلك إلا كأبي يوسف ـ عليهما السلام ـ عندما أوْجد لأبنائه ما يُعَوّلون عليه في التخلص من أخيهم، عندما قال لهم " وأخاف أن يأكله الذئب " فلما ألْقَوْه في الجُبّ كانت الحُجّة حاضرة... إذ أكله الذئب.

ـ آه، هي الحبّايه، تصدقى كنت داخل عند سالم.

يخرج سالم من غرفته، يمسك بيديه في الباب، يقف على إحدى قدميه فيما يرفع الأخرى عن الأرض، وقد أحاطها بكميه من الشاش.

ـ فيه ايه ؟!.. انت جيت.

ـ آه يا ريس.

ـ تعالى.

ويختفيا في داخل الغرفة، فيما يمّمَت أم نصحي وجهها إلى صاحبتها، وما هي إلا خطوة، أوثلاث حتى توقفت، ترفع رأسها إلى السماء تدعوعلى هذا اللوز، وقد أنساها حديثه ما أتت إليه.

أسرعت إلى المطبخ فملأت كوب الماء، وجعلت ترشف منه، ثم أعادته إلى الصنبور تكمله بالماء قبل أن تتحول إلى صاحبتها، تحمله بين راحتيها في خطاً هادئةٍ وكأنما تخشى فقد الصيد.

ـ اتفضلى يا حبيتى..

ـ تسلم ايدك.

التقمت حُسْنية طرف الكوب بين شفتيها، وقد أتت على ما فيه دفعة واحدة، تتابعها ام نصحي بعينين باسمتين، وقد أرسلت عينيها فيها صعودا وهبوطا، وقد نضح الماء على وجهها.

ـ انتي محتاجه تخسي يا حُسْنيه.

ـ اخلص من الواد سيد الأول، وانتي هتلاقي حسنيه دي حاجه تانيه، حتى عشان سى نصحي ما يبصش بره.

ـ هوهيبقى عنده فرصه يتنفس حتى..دا انتي هتملي عليه الدنيا.

ثوانى معدودات من الصمت ترتسم على وجه حسنيه ابتسامة تلتقي فيها عيناها بعينى صاحبتها، فإذا وجهها ابتسامة، ويتملكهما الضحك.

***

العاشرة صباحاً، زحام شديد في ميدان المنشية، ذاك الميدان الذي لا يخلومن البشر ساعة من نهار.... أوليل.

الناس ما بين غادٍ، ورائح، باعة جائلون يفترشون الشارع أمام

المحلات حتى صاروا علامة يمتاز بها المكان، إلى أن تمر إحدى الحملات؛ فيسرع الفتية في حمل بضائعهم حتى يذهبوا، ثم يعود المكان إلى عهده الأول، هذا فضلاً عن المتسولة في المكان، هؤلاء الذين لا يخلو ميدان منهم على أنهم أمْيَز وأوضح في هذا المكان.

فذا مبتور مُقْعَد في كرسي، وهذه تفترش الأرض تُبْدي ساق الفيل، وتلك على بعد خُطَيّات منها تحمل على كتفها رضيعها ـ والذي ربما لم يكن لها ـ فيما يلعب بجوارها آخران لاهيان عن حقيقة حالهما، وحال أمهم جميعاً، وهؤلاء جميعاً عاقبة أمرهم ومرده إلى الدولة، تلك المنوط بها القيام على شئونهم، وهي في ذلك بين أمرين، إما أن تَعُول من لا مأوى له في أماكن تُعد لذلك، أوتَعُول من كان له مأوى في مكانه، ومن ثم تتعهد هذا النشء الصغير بالرعاية والتوجيه، فيخرج بذلك جيلا سليم البدن والنفس، إذ سلامة النفس لا تقل بحالٍ في اهميتها عن سلامة الجسد هذا إن لم تزدْ، فإنك إن تُخرج أحدهم مريضَ الجسد سليم النفس، أحب وأفضل للَمجتمع من آخر سليم الجسد مريض النفس.

تستوقفهما وقد جذبت سعاد من بنطالها، تدور عيناها ما بين صغارها، وبينهما.

ـ ما أكلناش من امبارح، أي حاجه أَفَطّر العيال.

كادت سعاد أن تفتك بالمرأة لجرأتها على ما فعلت إلا أنها منعتها دعاء، وقد بدا التأثر على ملامحها بحال المرأة وصغارها؛ فأسرعت إلى حقيبتها تنقدها مالاً، فيما تتابعها سعاد، بخليط من المشاعر، ما بين

غضب، فاندهاش، ثم هو العجب من فعلها، إذ هي إلى عهدٍ قريبٍ كان الاشمئزاز، والازدراء حالها مع هؤلاء.

ـ على فكره، مش دا الحل، وبعدين دي كل يوم هنا..

اعتقدت سعاد أنها بذلك إنما تستدعى عقلية وفكر دعاء القديم، أو أنها تبغض إليها هؤلاء، في حرفتهم التى امتهنوها، غير أنها ما وصلت إلى ذلك من شيء.

ـ وعلى فكره، دول محتاجين ياكلوا كل يوم.

ما هذا ؟! أهذه دعاء التي تعرف ؟ ! لقد تحولت إلى النقيض تماماً.

حقاً الناس أغيار، إنك قد تظن أنك تعرف هذا أو تلك حق المعرفة، ولكنها النفس البشرية متقلبة، ولذا كان الدعاء بالثبات على الدين...

فلا يغتر أحد.

استوقفتها سعاد جذباً من ذراعها.

ـ شوفي بقى، أنا تعبت من الجري وراكي، تعالى نقعد شويه هنا.

ـ لااااااا، ما ينفعش خالص، انا عندي معاد مهم في المينا.

ـ شغل..؟

ـ مش بالظبط.

تحاول سعاد الإسترسال، لاستيضاح الأمر منها إلا أنها أسرعت بأصابع يدها إلى فمها تقبلها، ثم هي ترسلها إلى شفتي سعاد، وتنطلق

مسرعة بعد أن وعدتها باتصال حال انتهائها، يأتيها صوتها مرتفعاً في وسط الزحام، مميزاً كعصفورٍ بين ضجيج الحيوانات.

ـ إحنا، ما كملناش كلامنا.

ترفع دعاء دها تشير إليها فيما هي منطلقة في خفةٍ، ونشاط إلى شارع النصر المؤدي مباشرة إلى ـ باب عشره ـ حيث ميناء الإسكندرية.

الحيوية، النشاط، الإقبال على الحياة.

صفات بدت واضحة في تصرفات دعاء لم تعهدها من نفسها، وما عهدتها سعاد منها، إنها ولا شك صارت المرأة التي عقدت العزم صبيحة يوم أن تتحول إليها، لكنها لم تمض ليلة، أواثنتان حتى انقلبت إلى حالها الأول، كطفلٍ لا عزم له، ولا إرادة، وقد عزم أن يترك اللعبة إلى دروسه غير أنه ما صبر على ذلك، فما إن بدا له خيال صديقه اللاهي حتى انصرف إليه لا يلوي على شيء.

أوكشيخ مُعْتل الصحة، عزم أن يترك التدخين، غير أنه ما لاحت واحدة حتىً أسرع إليها بقداحته التى ما فارقت جيبه.

غير انها الآن صادقة العزم، صادقة الرغبة فيما هي مقبلة عليه، وقد تركت اللعِبَ بالجملة، والقت بالقداحة إلى البحر.

ـ زاهيه...!!!

هكذا نطق الشرطى ـ الموكل إليه مراجعة تصاريح دخول الميناء ـ باسمها، وهويطابق بين تصريح الدخول وبطاقة الرقم القومي، فيما

ينظر إليها

ـ ايه.. غريبه، ولا الاسم ممنوع..؟

ـ لا أبداً يا افندم أنا آسف، اتفضلي..

كانت الأحداث تباعاً تزيدها اصراراً، وتشحذ من همتها، وتدفعها للمضي قدماً، فتزيدها إقبالاً على الحياة ورغبة فيها، بعد أن كانت تحيا يوماً بيوم، تبغض حياتها بالجملة وما تفعل فيها، حتى أبْغضت إليها نفسها.

ـ الو.... صباح الفل...آه لسه داخله من البوابه..... تمام.

تلقي بالهاتف إلى حقيبتها، تدور عيناها تبحثان عن سيارته، تلمحه ينظر إليها في مرآة السائق، فتلوح منها ابتسامة، فيما قَدِم إليها.

ـ صباح الخير..

ويتصافحا...

ما هوإلا أن تصافحا، غير أنهما ـ وبالأحرى هو جعلا احاسيسهما في هذا التلامس وكأنهما على شاطئ البحر، ينعمان بنسيمه لا يكدر صفوهما أحد... ولكن.

ألقى محمود بعينيه في بحر عينيها، فأغرقته فيهما، فجعل يغوص ويغوص، حتى انتشلته.

ـ معاك حد فى العربيه..؟

ـ ها... آه، عوني.... عوني.

يناديه، وقد أشار إليه بيده المتعرقة بعد أن أوقفته بشاطئها.

يبتسم محمود لابتسامتها، وقد رأت عوني مقبل عليهما بثقليه لا يفارقانه ولا هويفعل، كرشه الممتد أمامه، وحقيبته الجلدية السوداء.

يدنومنهما تعلووجهه ابتسامته المعهودة، يهتز كرشه أمامه، يحاول دون جدوى بالحقيبة أمامه كَيْ يَحُول بينها ورؤيته، إلا أنها حالت دون ذلك نظراتها إليه، يتخيلها من خلف نظارتها السوداء تخترق حقيبته، فيما يعيد نظارته العتيقة إلى مكانها بعد أن انزلقت إلى مقدم أنفه.

ـ دا بقى عوني، أَقْدَم مستخلص جمركى في المينا، شهرته في المينا ملء السمع والبصر، علاقاته منتشره في كل الجهات هنا.

يبتسم على استحياء قبل أن يعيد النظارة إلى مكانها من جديد، وقد بدا العرق تنبض حباته على وجهه، وتنساب إلى كامل جسده.

ـ مش للدرجة دي يا ريس، الباشمهندس بيبالغ شويه، هي الاستاذه..

ـ تبعي يا عوني، ولسه جديده في المهنه.

ـ على دماغي يا هندسه.

ـ ربنا يخليك... أنا حاسه اني تعباك معايه.

ـ لا ما تقلقيش، العرق دا أمر عادي، وحضرتك شغاله مع مين ؟

ـ الحقيقه انا معرفش حد هنا، لكن فيه صديقه جابتلي شغل من مكتب عمروطه... تعرفه.؟

ـ عمروطه، يااااااه... سبحان الله، أهوعمرودا أنا اللي معلمه الشغل، أول ما جه هنا كان.. لا مؤاخذه يعني، زي حضرتك كده، دلوقت بقى عنده مكتب، واسم... انا بقى زي ما انتي شايفه مكتبى متنقل.

لم يكن صعباً بحالٍ من الأحوال على فتاةٍ في مثل ذكاء، وجمال دعاء أن تستحوذ على عقل ذلك البدين، ذوالكرش، وأن يوليها اهتمامه، وأن يتخذها تلميذة نجيبة، يفضي إليها بأسرار تلك المهنة، وخباياها، وأنها ـ طبقاً لرؤيته ـ بهذا الذكاء، وهذا الجمال الصارخ تمتاز على أقرانها ممن امتهن تلك المهنة، وأنها عاجلاً غير آجل سيسطع نجمها.

ـ هههههههه...... أنا.

ـ طبعاً، وبكره تقولى عوني قال..

***

لم تكن تلك الفترة من الانقطاع عن العمل إلا فترة نقاهة تستعيد فيها نشاطها، فيما يُحكم قبضته عليها، ويستوثق من ثقتها به، وأنها لا تعدوكونها خاتماً فى إصبعه ينقلها إلى أي إصبع شاء، وهكذا شأن القواد مع المومس يدبر لها أمرها، ويسوسها كما يسوسُ السائس الدابة يوجهها حيث شاء، ويُنْكحها أيَّ فحلٍ شاء.

انكمشت في سريرها على نفسها، تضم ركبتيها إلى صدرها حتى كادتا يلتصقا به، فيما تقبض بكلتا يديها على معدتها تتأوه تكتم ألمها.

تقف مسرعة وتنطلق إلى الحمّام، تغلق الباب خلفها، ثوانٍ معدودات تخرج بعدها سلمى تكتم فمها بيدها، فيما تضغط الأخرى على معدتها تمشي منحنية الجسم، يلحق بها شريف إلى غرفتها، ليجدها ملقاة على السرير متكورة على نفسها.

ـ فيه ايه، مالك..؟

ـ آه، مش عارفه، يمكن الكام يوم بتوع الساحل، آه...

ـ لأ، كده ما ينفعش خالص، وبعدين عندنا شغل الليله.

ما مثله ومثلها إلا كالحادي يضرب بالدف لتتحرك الإبل، يحثها على المسير بحدائه، وعليه أن يستمر بالحداء ضرباً بالدف وغناءً، حتى يستمر سيرها، على أنه لوتوقف فلن تتوقف القافلة إذ ألِفَت الناقة مهنتها..

تقف ويدها بعد لم تفارق معدتها، يبدوعلى ملامحها الألم، فيما ينهي شريف أزرار قميصه.

ـ ما كانش له لازمه، ممكن اشرب ينسون وارتاح شويه.

ـ لا،لا، لا ينسون ايه، انتى ما تعرفيش غلاوتك عندى ولا ايه.

لم يكن خوفه عليها خوف أب على ابنته، أوأخ على أخته، أوابن على أمه، أوحتى زوج على زوجته... لا، بل كان خوف عاملٍ على رأس

ماله، قَوَام مهنته، وهوعند الكثيرين أعظم وأقوى، حتى أنه جعل يحفظ فيها هذا الجسد ـ رأس ماله ـ لا يستنشق من عبيره، أويرشف من عسله، إنما يحفظه لزبائنه، ليظل الجسد ـ قدر ما يستطيع ـ طرياً، ندياً، تستملح العيون النظر إليه، فضلاً عن أن تنهشه أياديها.

انطلقت بهما السيارة، وقد بدا شيء من الارتياح يتسرب إلى ملامحه إذ هدأ منها ألَمها، وقد أغمضت عينيها، وأسلمت نفسها لسلطان النوم، إذ منعها الألم قبلا ذلك..

ـ الو.... انتي فين...... سيبي اللي في ايدك، وقابليني في الرمل، عيادة د/ ناجي... مش وقته الكلام.

لعَمْرُك أيها الإنسان، إنّك لتكدح في هذه الدنيا، تركض فيها ركض الوحوش في البرّيّة، على أنك لن تُحصّل منها، ولن تبقى فيها فَوْق ما قُدِّر لك، فاهدأ، وقرّ عينا، وأطِب المطعم.

ينظر إليها مضطرب النفس والفكر، فيما هي مغمضة العينين تعلويدها اليمنى اليسرى فوق معدتها، يضرب مقود السيارة بيده، ثم يعود ينظر إليها يهز رأسه نفياً يعض على أضراسه، وقد جمع شفتيه يعتصرهما، يحدث نفسه :

ـ يعني حبكت الليله، ما احنا قاعدين بقالنا فتره، طيب كان بدري شويه تلحقي تاخدي مسكن، ونشوف شغلنا..

إنه رأس ماله يتألم، قوام أمره، مشروع حياته، فيما لا يملك دفعاً

أو تحويلا لهذا الألم، إذ لا حيلة له.

يتقدمها مسرعاً إلى داخل العيادة.

ـ كشف مستعجل لو سمحتي.

ـ شريف..

ـ ميمي.... انتي هنا.

تتبعه سلمى إلى الداخل، ويدها بعد لم تزل على معدتها.

ـ سلمى..!!! فيه ايه ؟

ـ مش قادره يا ميمى، تعبانه من الصبح.

ـ من الصبح ؟!!! وساكته لدلوقت، عشان نتأخر على الشغل.

تعلونظرة اندهاش وجه سلمى، فيما ترمقه ميمي بعينيها، تومئ له برأسها، أن أسرع بها إلى الطبيب، وليس ذا وقته.

ـ بسرعه لو سمحتي.

ـ آسفه، عندنا هنا نظام ومواعيد.

ـ يعني ايه ؟

ـ فيه مريض، قدامه بالظبط... عشر دقايق ويوصل، يعنى تلاقيه على السلم..

ـ تمام، نكون احنا خلصنا.

ـ آسفه، ما ينفعش.

ـ هوالكشف كام.

ـ ٢٠٠ جنيه.

ـ نقول ٢٥٠، وانتي شايفه الحاله قدامك.

تُحَوّل عينيها ما بين الخمسين جنيها تلمع فوق المائتين أمامها وبين سلمى، وتُقْسم أنْ لو لا هذا الذي بها مِن ألَم ما خالفت نظاماً أقَرّه الطبيب وهكذا حال الشعب في معظم فئاته وطوائفَه، لو لا هذا الإحساس العالى بآلام بعضهم البعض لتعطلت الحياة، وازدادت الآلام...!!

حقاً شعبٌ متدين بطبعه !!...

دقائق كأنها ساعات، يروح ويجيء فيها أمام هذه المرأة ذات الحس المُرْهف، ترفع يدها، وتفتح فمها، وقبل أن تنطق تعود وتبتلع لسانها، إذ خرجت ميمي بوجه غير الذي دخلت به، وجوم، ذهول، حَيْره، صدمه، أحاسيس شتى تختلط في ملامحها، تتبعها سلمى تغسل دموعُها وجهها في صمت.

ـ اتأخرتوليه..؟ فيه ايه، ساكتين ليه ؟!

تقترب ميمي منه، تهمس إليه في قوةٍ.

ـ انت ما كنتش بتديها الاقراص..؟!!

عقد حاجبيه مستفسراً بعينيه قبل لسانه، وعلى أنه وصل اليه المعنى

الذي تقصد ميمي، إلا أنها عاجلته بقنبلة مُدَوّيةٍ تؤكد ما وصل إليه.

ـ الهانم حامل... حاااامل.

فغر فمه، واتسعت حدقتا عينيه، وذهل لا يجد من الكلمات ما يتشبث به يخرجه من هذا البحر الذي أُلْقي فيه، إذ يري ذلك البناء الذي بنى يتهاوى أمامه،

ـ ازاي...؟!!..!!!

ينظر إلى سلمى بذات العينين الذاهلتين، فيما تتابعهم المرأة في حيرة مما ترى، بينما يتم شريف يزيل هذه الحَيْرة.

ـ ومين...؟!

إلا انها ازدادت حيرتها تضرب كفاً بكف، بعد أن عاد شريف يسأل.

ـ مين فيهم..؟!

كانت المفاجأة أكبر من إدراكه واستيعابه، وهوالذي دأب قبل كل لقاءٍ بتذكيرها بتلك الأقراص، بل كان يحرص عليها حرصه على طعامها وشرابها ورياضتها، حتى بلغ به أن يأتيها بها في يد، والماء في اليد الأخرى.

فكيف حدث هذا ؟ ومتى ؟ وممن ؟

جمعت السيارة ثلاثتهم تعتصر يدا شريف مقود السيارة، فيما تجاوره ميمي بينما تجلس سلمى في المقعد الخلفى ما فتئت دموعها تنساب.

على أنه جمعهم عمل واحد، وإن شئت فقل فجور واحد، ودفعهم لهذه الحالة شيء واحد، إلا أنه برأس كل منهم أفكار شتى.

تسائل سلمى دموعها، فيما تجيبها في صمت، كيف ستكون حياتها بعد وهذا طفل تنتظر قدومه ؟ بل كيف ستتم الذي بدأت، وكيف سيكون حال قوادها معها، بل كيف تلقى أمها بطفلٍ بلا أب ؟؟؟

فإن هان عليها أمر أمها، فما عداها لا يهون.

وهذا صاحبها يتملكه الغضب، وقد التصقت أصابعه بمقود السيارة، يتهاوى امام عينيه حلمه الذي أفسدته هذه بغبائها.

فكيف سيقدمها لزبائنه ؟ بل كيف سيجد غيرها في مثل جمالها وأنوثتها وسذاجتها ؟

ترمقه ميمي بين الحين والآخر، بعينين باسمتين، عملت على أن لا يرى منها ذلك، فيما تتكئ بمرفقها إلى باب السيارة، وقد أرسلت ذقنها في راحتها، تلقي بعينيها عبر الفضاء المتسارع، تعلووجهها ابتسامة رضاً، إذ هوَى ذلك الصرح الذي أخذه منها، وليس أقل من أن يطردها، أويعيدها من حيث أتت، فمثله دناءة، ووضاعة، لا يتحمل عبء طفلٍ وأمه، ولكن ما الضير من فائدةٍ مزدوجة في مثل هذا الأمر.

هكذا الأمر إذا، دائماً ما يكون هناك فائز فى خِضَمّ الفشل، منتصر في وسط الهزيمة، مستفيد في جملة الخاسرين، وقد قيل قديماً " مصائب قوم عند قوم فوائد ".

يلقي مفاتيحه في غضب على ترابيزة السفرة، ويُلحقها الهاتف حتى كاد أن يتحطم، ثم بجسده إلى أقرب المقاعد إليه، تدنومنه ميمي تضع يدها على كتفه.

ـ هدي نفسك....

فيما ترفع عينيها فإذا سلمى، عند الباب خافضة الرأس، تلقي بعينيها إلى الأرض، وكأنها بين يدي أب شذّت عن صراطه الذي خط لها، أوزوج خانته، فتتم ميمي :ـ ما تدخلى.

هَمّ شريف بها لكنها أوقفته ميمي، لتعيده إلى مقعده، فينقاد لها، وقد حَمِد لها ذلك الصنيع، إذ لوخَلّت بينهما لكان عليه أن يُطْلق يده فيها، وقد حفِظت بفعلها هذا الجسد الذي كان دأبه الحفاظ عليه حتى من نفسه، وحفظت له أيضا هيبته في عينيها إذ منعته، فلم يتوقف من نفسه.

ـ طَوّل بالك، هي ما غلطتش.

ـ ازاي بقي ؟ !! يعني انا اللى غلطان، دا أنا كنت بجيب القرص لحد عندها قبل ما تنزل.

ـ يعني كانت بتاخده.

ـ ها...!!!

ها هنا بدأ عقله يثوب إليه، فما خرج من غرفتها يوماً، إلا بعد أن تبتلع ذلك القرص، فمن أين يكون الخطأ ؟ أيكون صاحبه الصيدلى، بَيْد أنه ذات القرص الذي دأب به مع أخريات.

ـ ادخلي على اوضتك.

اسرعت سلمى ـ تلبية لأمر ميمي ـ إلى غرفتها تبكي ما هي مقبلة عليه، فليس أمامها إلا الشارع حال غضبه عليها.

فيما جثَت ميمي على ركبتيها بين يدي شريف، تحاول بذكاء الأنثى ـ وقد واتتها الفرصة ـ أن تحيط عنقه بقيد تمسك بطرفه بين يديها، تمرر أصابعها في شعره.

ـ ما تقلقش طول ما انا معاك.

دفع يدها متأففاً، ثم يقف فتتبعه تضمه، تحتضنه بقوة، وقد أحاطته بذراعيها من الخلف.

ـ إنت عارف أنا بحبك قد ايه..

ـ يووووه، وبعدين بقى، مش وقته...

ويتحرك في خُطيّات غير بعيدٍ عنها، تهتز المفاتيح لقبضته يضرب بها على الترابيزة.

ـ الحل عندي.

لم يَزِدْ على أن فارقت أضراسه بعضها بعضا، بعد أن كاد يحطمها، يميل بصفحة وجهه إليها، وكأنها يستزيدها، فتسرع إليه، تعلويداها كتفيه تداعبان عنقه، مع ضغطة خفيفة تدفعانه للجلوس.

ـ انت تقعد، وتشرب كاس، وانا اقولك نحلها ازاي.

انقاد لها طواعيةً، أورُغماً عنه، إنه كمن شيّد بناءً، ولمّا بدا من جماله للناس ما بدا، أتاه أمر سقوطه، فهوومن يعرض عليه أمراً

يحفظ له هذا البناء على الوجه الذي شيّد، أويقدر الأمور بقدرها.

ـ عندِك فى الدرج الـ.....

أَلْجمته ضحكاتها المرتفعة الصمت، وكأنها تعالج أمراً غير الذي أهَمّه.

ـ انت ناسي اني عِشت هنا كتيييير... قبل الاعتزال، وقبل القُطّه ما تشرف.

يعود برأسه إلى الخلف معتمداً على المقعد رافعاً قدميه على الترابيزة أمامه، فيما تدنومنه تضع الكأسين بجوار قدميه، وتسكب الخمر.

***

كانتا عيناه تدوران فَرَقاً كمن ينتظر جلّاده، يرهف السمع وكأنه حديث الجميع، يحسب كل نداء أوصيحة إنما باسمه؛ فجعل يتلفت يمينا وشمالاً، وكأنما تطارده نحلة يدفعها أًن لا تصيبه، تتبعه من بعيد عينا محبٍ راغبٍ آملٍ، وعينا قاصٍّ يأمل بخطأ فيأخذه به.

التقت عيناه بعينيها من بعيد، وكأنه شعاع قُرْب وصل ما بينهما، فسبقها إلى حيث يعلم أن ستلحق به، فيما تركت صاحبتها بعد أن قصّتها دخيلة نفسها، وقد أخذت عنها جملةً من النصائح، حتى يقع السهم موضع القلب منه، فلا تخطئ العين سهامها مرماهم.

أسرعت إليه في محرابه الذي تلقاه فيه؛ لتنعم بصحبته آملةً أن يفعل، تدق الباب في صوتٍ كأنه الهمس، كأنما تُسرّ إليه بأمر، هي ولا ريب امرأة أخرى، أولعلّهما في مكانٍ آخر.

اختفى ذاك الشعر الأسود الحالك المسافر أبداً، الذي كان يغرد مرسلاً أسفل غطاءٍ أخفى زمناً أكثر ما أخفى الرأس نفسه، فما تدلى منه فليس منه في شيءٍ، أما الآن، فقد اختفي بالجملة تحت حجابه، نعم حجابه.!

تلك الشفاه المكتنزة التي كانت تنبض بلونها الأحمر يخطف العيون إليها، وتلك العيون، وهذه الرموش.... ما الذي جرى ؟!

ما زاد فوزي على أن أرسل عينيه فيها لا يحرك ساكناً، فكان عليها أن لا تزيده رَيْبَ اليأس منها، بيقين الأمل فيه، فأسرعت بلسانٍ هادئٍ غير مضطرب، ثابت غير متذبذب، وفي أدب جَمّ تقصه ما كان منً أمرها، وذلكً الشيخ الذي زلزل كيانها بكلماتهً، وراعها من حديثه، فما كان منها إلا ان أسلمت النفس، والروحٍ، والجوارح، فكانت بين يديه كعصفور مبتل بين يديْ من يُجففه حيناً، ثم يعود إليه القطر، لا يلبث أن يجف ثًم يعود، حتى هدأت واستقر العصفور وجعل يطير بجناحيه.

هكذا الأمر إذا، أمِن حديث شيخ أشرق هذا الوجه ؟ أمِن كلماتٍ عبر التلفاز يسمعها الملايين تمر عبر آذانهم لا يصل منها إلى نفوسهم من شيء، ولا يكون ما كان إلا مع نفسٍ طيبةٍ سليمة.

ـ تعرفي انك كده أجمل بكتير.

لله درّه، كيف نطق بها، فقد نطق لسانه بما يحجم عنه مع خطيبته، أويمنعه لسانها، وجفاؤها منه، نطق لسانه بما ظن ان لا قدرة له عليه، نطق لسانه بما وصل إلى نفسه منها...

ابتسمت في حياءٍ زادها جمالاً، فأخذ بقلبه إليها، غير أنه مقيد، مكبل، أغلّته صاحبته، فما تركت له من سبيل.

قفلت راجعة، وما إن استدبرته حتى استدركت على نفسها سبب حضورها إليه، ولابد لها من سببٍ..

ـ شاي.

يومئ لها مع ابتسامةٍ، أسرعت تلبيةً لها، فيما قعد إلى أقرب المقاعد إليه يلتقط أنفاسه اللاهثة يتتبعها عبر شاشاته، حتى في مشيتها، لقد تغير فيها كل شيءٍ، وبدت أمام عينيه الصورتان، نعم، فقد تجرأ ووضع الصورتين معاً موضع المقارنة.

لكأنك تضع زهرة فواحة إلى جوار أخرى قُطعت منذ خرجت إلى الدنيا، أونشأت فى غير جذور، أولكأنك تضع القمر في ليلته تاماً إلى جوار صورته مُحاقاً في آخر شهره، أولكأنك تضع حبّتان من الفاكهة في سلّة واحدة إحداهما غضة طازجة، فيما الأخرى سقطت من شجرتها منذ زمنٍ، هكذا كانتا أمامه، هكذا رآهم ا رأيْ العين، غير أنه مُكبل، مقيد، غُلّت يداه إلى عنقه، أوهكذا فعل بنفسه، فهوكزوجٍ كَبّلته اليها بالأولاد زوجتُه على أنه لم يزل حُرّاً بعد..

تحركت أمينه في خطيً هادئة يتبعها زكريا بعينيه، يتابعهما فوزي عبر شاشته، فيما يستدير زكريا ناحية الكاميرا يشير إليه أن أقبل.

جعلت تصطك أسنانه فرَقاً إلا أنه تمالك نفسه، وشد قامته، واعتدل واقفاً، وكأنه صار رَجُلين في صَبِيّ، فما عساه يفعل ؟

يحدث نفسه.

ـ الفيديو واتمسح، وما حدش عارف حاجه، خايف ليه بقى.؟

هكذا كان يحدث نفسه، يُطمئنها، يُهدئ من رَوْعها، حتى وقف بين يدي زكريا ثابتاً، وقد نفضت نفسه الخوف عنه كما ينفض الماء عن الثوب بعد غسله، وإن بقي أثره فيه.

وقف ساكناً امامه، فيما ينهي زكريا بعض الأوراق يتابعه فوزي في صمت، يصرخ به في نفسه :ـ ها أنا ذا، أما تسمعني، فيما أردتني ؟

يا هذا، ألا تسمع، ألا ....

قاطع حديثه نفسه، ودون أن يرفع عينيه عن الأوراق بيده.

ـ الباشا عايزك، عشر دقايق وتروحله.

صُعِق فوزي، إذا كان هذا حاله حال يلقى ذلك التابع زكريا، فكيف به بين يدي سيده، الباشا، صاحب هذه الامبراطوريه.

عاد إليه البلل بعدما ظن جفافه، وتسلل الخوف إلى نفسه بعدما كان من أمنه، لا شك يقصده زكريا، فليس هناك سواه وحامل الاوراق

هذا، ولكن، ما حاجته إليه.

هل أخبره أحد بفعلته ؟ ولكن من يعلم ؟ فقد مُحيَ الفيديو، ولم يره أحد، ولم يحدث به أحد....

ـ واقف ليه...؟!

على أنه كان متأكداً انه إنما قصده هوفى المرّة الأولى إلا انه آمّل أن لا يكون..

ـ حالاً، حالاً..

إن لقاءك بتابع كـ زكريا وإن كانت الخيوط بيده، ليس كلقائك بصاحب الأمر، وإن كان خارج دائرة الضوء.

ترى، أيأكلون كما نأكل.؟ أيشربون كما نشرب.؟ هل يتنفسون الهواء ذاته.؟ أيقضون حاجاتهم مثلما نفعل.؟ أم تراهم يأكلها أتباعهم.؟!

طرقات خفيفة على الباب، أُذِن له على أثرها، فولج متردداً.

ما هذه النسمة البارده ؟ ما هذه الرائحة التي تميل لها النفس وتهدأ ؟

لكأنه موضع من الجنه..

الكرسى خالٍ من صاحبه، فأين هو؟ فمن أَذِن بالدخول إذا..؟

تملأ أنفه رائحة ثقيلة، تقترب، وتقترب، ثم يحيط به غَمامة من دخان، تدفعه للسعال، يستدير ليجد الباشا ـ الشرنوبي ـ في مواجهته بين إصبعيه ذات السيجار الغليظ، يطلق عينيه في فوزي صعودا وهبوطاً، فيما عينا

فوزي ما جاوزتا قدماه..

ـ أفندم، زكريا بيه قال ان سيادتك......

يقاطعه الباشا، فيما يتجه إلى مكتبه، وقبل أن يعتلي مقعده.

ـ اتجوزت يا فوزي..؟

ـ ها..... لسه معاليك، انا خاطب، وربنا يسهل.

ـ اشتريت شقه..؟

ـ يااااااااه، أشتري.... ازاي ومنين ؟! هنعيش مع الوالد ان شاء الله.

يعود السعال إلى فوزي، تظله سحابة من دخان، يلج زكريا بعد طرقات خفيفة على الباب.

ـ شوفت يا زكريا، فوزي لسه خاطب، وكمان ما عندوش شقه..!

ـ زي كتير من الشباب سعاتك،وبعدين اكيد المهندس محمود هيساعده.

ينظر إليه السيد بعينين سائلتين، وهوعليم بالأمر غير أنها خدعة أرادا فيها وبها إسقاط فوزي، وشريكه محمود كما يظنون.

جعل زكريا يُعدد مزايا المهندس محمود، وأنه السبب في وصول فوزي إليهم، وأنه قطعاً لن يتركه وحيداً، وسيكون عوناً له في أمر زواجه.

إن هى إلا كلمة يخطئ فيها فوزي، ليتأكدا من أمره وشريكه، إلا

أنه وبعفوية وتلقائية، ولأنها ما أخبرته بخطتها، لم يكن لديه ما يخبرهما به خرج فوزي من هذا اللقاء وقد ازدادت حَيْرَته، فلم يعرف فيما طلبه هذا السيد، إذ لم يخرج من هذا اللقاء بشيء، إلا شيء من الطمأنينة، وقليل من الثقة.

ـ ها... ايه رأي سيادتك.

ـ مش عارف يا زكريا ؟ هوبسيط جداً، بسيط لدرجة الغباء أوالذكاء الشديد.

ـ وبعدين سيادتك، هنسيبه كده.

ـ لأ، هوفيه حل، هتنفذه ونشوف رد الفعل ايه.

***

الخيانة، أشد ما تكون على النفس البشرية حال تكون من ثقة مؤتمن، أوهكذا يُظن فيه، أما أن تكون ممن يتوقع منهم ذلك، فالأمر فيٍ وطأته وقسوته أقل أثراً، فضلاً عن كونك قد توقعت فأعددت لها.

فهذا جُلّ أثره في توقيت الحدوث لا المفاجأة.

ـ مساء الفل يا باشا..... ايوه سعاتك الليله.... تسعه بالتمام..... لا يا باشا لوحده، انا ماليش في الحاجات دي.... الف سلامه سعاتك، مع السلامه.

يغلق هاتفه، ويضعه أمامه على الترابيزة، ينفث دخان سيجارته

المعبقة في وجه الجالس أمامه يتابع في صمت.

ـ مالك ؟!

ـ مش فاهم.

ـ مش لازم تفهم، خد... الكيس دا يكون الليله في السُيوف، عارف طبعا لمين.

ـ طبعا يا لوز، هي دي أول مره.

يجذبه لوز من مجامع ثيابه، ليضع فمه في أذنه يتدفق الدخان مع كلماته في قوة أرهبت الفتى :ـ

ـ الريس، الريس لوز، تنسى تاني أوديك ورا الشمس.

ـ في خدمتك يااااا ريس، سَلُّومه دايماً في الخدمه.

إنطلق يحمل بين طيات ملابسه كيساً صغيراً، يمتلئ بالأقراص المخدرة، فيما يُلقي لوز أحدها في فمه، وقد انتفخ صدره، وانتشى بفعل سيجارته المنتفخة مع هذا القرص الملون، وقد بدأت ابتسامة تنساب إلى ملامحه، يدوى صوت الفتى داخل المقهى معلناً عن مقدمه.

ـ شاي تاني يا كبير.

ينظر إليه لوز مؤكداً على كلامه، فيما يضرب على صدره.

ـ انت صح، الكبير.... أنا الكبير.

ـ طبعاً يا ريس، مين يقدر يقول غير كده.

ـ انت دخلت دماغي ياد... خُذْ.

تهللت أساريره، واتسعت ابتسامته، ثم اختفت الابتسامة خلف شيء من الإندهاش، فما هي بعادته أن يهبه تلك القطعة من الحشيش، اونصيفها أوحتى ربعها، إنما كانت دَوْماً بثمنها.

ـ كُلّ دي يا ريس..!

وقف لوز مؤكداً على أهمية تلك الليلة له، وأنه راجع إليه بعد أمر يقضيه، وعليه أن يُعد له شيشة خاصه، ويحتفظ بما تبقى من قطعةً الحشيش، فيما يرفعها الفتى إلى أنفه يملأ صدره برائحتها.

ـ أصلى ياد..

ـ معلوم يا كبير، تسلم الأيادي.

وكأنما امتلك زمام الأمور، وكأنما صار السيد الآمِر الناهي في هذه المنطقة، إذ يمشى منتفخ الصدر، مشدود القامة، يضرب بقدميه في الأرض، يقول، ها أنا.. يحدث نفسه بصوت مسموع يصل أذنيه، أنْ هكذا يكون التخطيط، هكذا يكون الإيقاع بهذا الذئب، وآن له أن يستأسد في المنطقة، فتكون الكلمة له.

انتشله رنين هاتفه من نشوة النصر المزعوم، وحديث النفس

ـ الو........ مساء الفل..........لا طبعاً الحاجه في الطريق.... سالم !!

تتغير ملامحه، يعض على أضراسه، متماً في غضبٍ، وقد عمل على أن لا يتجاوز صوته أذنيه.

ـ انا الريس لوز، ولما نقول كلمه، ما تسألش حد تاني.

يغلق الهاتف ويسرع الخطوليتم ما خطط له، حتى يصل إلى ما يريد.

هكذا الإنسان صنيعه إذا ما أراد الصعود، وتغلغل الطموح في نفسه، فملك عليه جوارحه، يلقى بكل شيء خلف ظهره؛ ليجعل هدفه نصب عينيه، حتى يحققه أويهلك دونه.

ـ وآدي آخر مسمار في نعشك.

الو... ايوه يا ريس، جايلك نروح المشوار مع بعض.... لا أنا بعته السيوف خلاص......تمام يا ريس، هنتظره على انت ما تخلص.

رجع قافلاً إلى المقهى يدندن فرحاً، وقد أيقن من انتصاره، وأنه لا محالة بالغ أمره، وأنه من غدٍ سيرفع الرايات السود ثلاثاً، فيقيم الحداد اللازم على شرف اعتقاله، فلا ريب خمس عشرة سنه أوعشرين.

ـ الشيشه يا نص.

ويجلس يضع رجلاً على رجل.

ـ شِد يا كبير.

يملأ صدره بالدخان يكتمه داخل صدره للحظات، ثم هويرسله لأعلى، وتنطلق نافورة دخان أزرق، ثم يحول رأسه إلى الفتى القابع إلى

جواره على الأرض، ليطلق ما تبقي من دخان في وجهه.

ـ جدع ياد.

ويعود برأسه إلى الخلف، مغمض العينين، وقد التقم خرطوم الشيشة في جانب فمه، يضم شفتيه عليه، مع شهيق طويل تتقد معه نار الشيشة، ثم يُخَلّي بين شفتيه لتنطلق نافورة الدخان من جديد.

أيقظته من أحلامه يد سلّومه على كتفه، يفتح عينيه المثقلتين وكأنهما يقبعان تحت جبلين عظيمين.

ـ انت شرفت..

ـ باين الصنف عالي قوي.

ـ آه... بيخليك فوق، فوووق، طاير فوق السحاب.

ـ ماشيه معاك لوز، عموماً الريس راح المشوار اياه، وباعتلك الحاجه دي، وبيقولك......

يقاطعه لوز وهو يجذبه من ياقة قميصه.

ـ الريس !!.... أنا الريس، اقعد بقى شَيّش معايا، انت هتبقى دراعي اليمين.

ـ لاااا، ما هو هينقطع.

ـ بتقول ايه ياد.

ـ نَفَسِي يا ريس، نفسي هينقطع، لا مؤاخذه ما يستحملش الشيشه..

... نص ساعه والزبون هيجيلك هنا... سلام يااا ريس.

ها هي ثلاثون دقيقه تفصل ما بينه، وممارسته السيادة، ثلاثون دقيقه ما إن تمر حتى يعلم هذا القادم، ومن ثم غيره، وغيره من بعده مَن السيد ؟ ثلاثون دقيقه يُعتقل خلالها سالم، فيما يعتلى هوالعرش، لكأنها ثلاثون ساعه، ما لها الساعة متوقفة هذه الليلة، يغمض عينيه ويعود

من جديد برأسه إلى الخلف إلى أحلامه، يستحضره أمام عينيه رأْيَ العين يقف وحيداً يحمل في يده حقيبة سوداء، يأتيه صوت سرينة الشرطة المعتاد، لترتسم على وجه لوز ابتسامة إذ يراه كفأر لا ملجأ له، مع اقتراب صوت سيارات الشرطة، يستيقظ لوز ويد ٍقويه تضرب كتفه، يفتح عينيه ليرى وجها لا يعرفه فوق بذة الشرطة.

يقف فوزي في ذهول استجابة لتلك اليد تسحبه لأعلى.

ـ متخيل انك ممكن تضحك علينا يا لوز.... سالم بيسلم بضاعه، عشان نروح ما نلاقيش حاجه، وانت توزعها من هنا.

لم يحرك ساكناً، ولم ينبس بكلمة، ما زاد على أن اتسعتا عيناه، وفغر فمه، ينظر إلى الحقيبة بجواره، والضابط الواقف أمامه، وقد انعقد لسانه، فيما يجره الضابط إلى سيارة الشرطة ليلقيه في مؤخرتها، بين فرحٍ صامت حَذِرٍ من رواد المقهى، يتابع سلّومه الموقف من بعيد

يحدث نفسه :ـ مع السلامه يااا ريس.

ويخرج هاتفه ليسرع نقراً على شاشته، فيما تعلوجهه ابتسامة النصر

ـ ايوه يا كبير.. الجماعه أخدوا الامانه.

***

يحملانه معاً، كل من ذراع ويلقيا به على الأرض امام الفيلا، يعتدل جالساً يلقي بعينيه إلى باب الفيلا المغلق، يعتصر قلبه ألماً وحسرةً، يبتلع دموعه، ينفض عن ملابسه التراب، فيما يقف يشيع المكان بنظرة الحاقد الذي لا حيلة له قبل أن يتحرك بسيارته.

على أنه أُلْقيَ كسقط المتاع لا قيمة له، إلا أنه صَبّ جام غضبه على سلمى إذ وضعته في هذا الموقف بحَمْلٍ كانا في غنى عنه.

يضرب يده على مقود السيارة حيناً، وحيناً آخر يقبض عليه بيديه يعتصره يصرخ في نفسه، وكأنه يستعد لصدام عنيف بسيارته، إذ فَقَدَ لتوه عميلاً مميزاً، أسمعه ما ينْدَى له الجبين، وتشمئز له النفس، غير أن لا حيلة له، ولا طاقة له بالرّد، ثم أحاله إلى تابعه الذي أتم الأمر بكلماتٍ لاذعة، ونظراتٍ قاتلة، ثم بوعيدٍ جف له حلقه،فأيبس لسانه، ومن ثَمَّ آثر السلامة، فابتعد طواعيةً أورغماً عنه، ولكن..

ربما ينجح مع غيره ما لم ينجح معه، فإلى عميلٍ آخر، وربما...

جعلت الأفكار تضرب برأسه، ما بين خوفٍ، ورجاء، وأملٍ ويأس.

فهل يتم له الأمر على الوجه الذي يرجو؟ أم تذهب أحلامه أدراج الرياح ؟ هل يكون الفتى القادم آتٍ بمصباحه السحري ليُحقق أحلامه؟

أم يخرج العفريت حبيس المصباح، ويزج به مكانه ؟ هل يحمل القادم شعلة النور التي تضيء حياته بعد سنين عتمتها ؟ أم تكون جذوة من نارٍ تأكل الأخضر واليابس ؟

ـ ألو، سعادة الباشا، أخبار معاليك.... الباشا الكبير موجود..... خير طبعاً، وانت عارف انا بتاع الخير والحاجات الحلوه...... لا مش هينفع تليفون... تمام، مع السلامه..

كان بين إقدام وإحجام، في أملٍ يؤمل أن يكون، وخوفٍ من ضياعٍ الحلم الذي بدا يَدنومنه، يصعد دَرجات السلم في هدوء يقدم رِجْلاً ويؤخر أخرى، ومع اقترابه من السكرتارية تبتسم له من بعيد، فيما يرسم ابتسامة على وجهه لا تخفي كثيراً من وَجَلِه.

ـ اهلا وسهلاً يا افندم، تحت أمرك.

يفتح فمه، وقبل أن ينطق بحرف يأتيه صوته من خلفه يناديه.

ـ شريف..

ـ زكريا بيه..

ـ ها، كنت عايز الباشا في ايه ؟

ـ يا باشا عشر دقايق بس من وقت سعاته... ويمكن أقل..

ـ عشر دقايق.

مُحذراً بإصبعه أن لا يزيد الوقت عما قال، فوقته أثمن من أن يضيع

مع أمثاله، ويتحرك زكريا يتبعه شريف يعلوصدره ويهبط، وذِكْرَى ما حدث منذ قليل لم تغادر بعد ناظريه.

ـ أخبار القطه ايه ؟

ـ يااااه يا باشا بُشرة خير دي.

ـ يعني جاي بخصوصها، عظيم.. عموما الباشا محتاج شوية تنشيط.

ويقرع الباب وقد وقف به أمام باب السيد، يؤكد عليه أن لا يطيل الحديث.

ـ صباح الخير يا افندم.

ـ صباح الخير...!! هي الساعه كام يا زكريا.

ويقف عن كرسيه، يتحرك إلى أريكة في جانب المكتب بينما يشعل سيجارته، ويجلس واضعاً رجلاً على رجلٍ، فيما يقفا امامه.

ـ سعاتك القطه الجديده بتخليه صاحي طول الليل، الوقت ما لوش حساب عنده...

ـ هه هه هه هه، اخبارها ايه القطه...

ـ حامل.

بلا مقدمات، ألقاها في وجهه.

ـ ايه ؟!!

ـ حاااامل سعاتك، وانا جاي ابلغك.

صكّه بها، ألقى بها على مسامعهما، فجعلا ينظر أحدهما للآخر، فيما تقف يد الباشا بالسيجار في فمه للحظات يقلب عينيه بين شريف الآمل، وزكريا الواجم الذاهل، وسرعان ماً هبطت يده، يضرب بها على فخذه فيما السيجار بين أسنانه، يتملكه الضحك ليتبعه تابعه زكريا ضاحكاً، ثم يتوقف الضحك ليحل محله الوجوم، وتنكمش الأسارير المنبسطة ليحل محلها العبوس والجمود.

ـ دي مومس يا شاطر، جاي تقولى انا انها حامل، انت عارف دا ابن مين ؟ إياك تكون فاكر انك صياد، ومسكت حوت في الشبكه، تبقى غلطان، وغبى كمان.... زكريا.

ـ أوامر معاليك.

ـ الحيوان دا ما اشوفوش قدامي تاني، وإلا...

ـ من غير وإلا سعاتك، أنا هفهمه غلطه، تعالى..

لو نطقت المقاعد ألماً لكثرة الجلوس عليها، تحمل الصالح والطالح، لنطق شريف ألماً لِما أصابه من كلمات الباشا، غير أنه آثر السلامة.

ثمة عبارات كثيرة، وكلمات ضاعت من قاموس مفرداته، فلا شرف، ولا كرامة، ولا عِزّة، ولا كبرياء، لا يملك إلا أن ينصاع خلف ما يحقق له مبتغاه، وإن فقد كل معاني الإنسانية، وسمات الرجولة.

ـ خلّي بالك، الكلام دا ما تتكلمش فيه حتى مع نفسك، انت عارف

مصيرك ممكن يكون ايه، بس تعرف، احسن حاجه انك خليت الباشا يضحك... أصل المود بتاعه مش مظبط بقاله كام يوم.

وهويغلق باب السيارة بعد أن ركب شريف وقد ألْجمه الصمت، يتم زكريا، وقد أسرّ اليه حيث رأسه إلى داخل السيارة.

ـ امسح رقمي من تليفونك.... سلام.

ها قد فقد الثاني، ويا ليته ما فعل، فلم يكن الأمر مقصوراً على فقد زبائنه المميزين وحسب، بل تعداه إلى التهديد.

يلوح برأسه خيال ميمي، جاثية على ركبتيها بين يديه تُلْقي بخطتها التى سرعان ما أيدها، فأسرع يُلقى الطعم إلى النهر آملاً في صيدٍ ثمين،

إلا أنه جعل من نفسه غرَضاً يسهل قنصه.

مع من يحكي دخيلة نفسه ؟ إلى من يفضي بما أحرق كبده، واعتصر قلبه ؟ هل يذهب إلى البحر ليصطاد سمكةً أخرى شاردة يبدأ معها من جديد ؟ إذ سمكته الذهبية فقدت رونقها، وبريقها.

ولكن، لابد له قبلاً من إفراغ دخيلة نفسه من هذه النار التي تتقد، لابد له من شربة ماء تطفئ هذه النيران، فمن يفعل ؟

مـــــيـــــــــــمي.

ليس سواها، فهي من وضعه حيث هو...

أجلسته حيث كانت تجلس، وأخلت المكان له، فخَلُصَت به لنفسها،

وقد أغلقت بابها، وأعلنت ذلك بيافطةٍ صغيرةٍ تعلو باب beauty center، ثم عادت إليه تجثو على ركبتيها بين يديه.

ـ مالك حبيبي..؟

ـ مخنوق..

ـ ليه دا كله ؟! هو اللي خلقها ما خلقش غيرها.

تلمح في عينيه بارقة غضبٍ، فليس هذا بالذي جاءها من أجله، فتتم.

ـ عملت ايه ؟

ـ ولا حاجه... اهانات، وتهديد..

ـ متوقع.

يرفع حاجبيه، فيما تتم.

ـ طبعاً، انت كنت معتقد ان واحد من الناس دي ممكن يضحي بسمعته، واسمه اللى عمله في سنين.... دي كانت مجرد محاوله، أمل، مين عارف ؟...و دا ما يمنعش ان فيه حل تاني.

ـ تااااني.

ـ هه هه هه هه.

تقترب منه باسمة الثغر، وقد ألْصقت عارضها بعارضه، تهمس في أذنه كفحيح أفعى.

ـ تنزله..

لمعت عيناه ببريق أمل، وتسربت إلى ملامحه ابتسامة وقف على أثرها منتفضاً، يرفع صوته، مُحدِّثاً نفسه، إذ كيف غاب مثل هذا الرأي عنه، يوقف ميمي بين يديه، معبراً عن عبقريتها، وأنها صمام أمان له، فيما يطبع قبلةً طويلةً على خدها إلى جوار فَمِها، فانتشت لذلك أيما نشوةٍ، فأتمت، وقد غمرتها السعادة إذ بلغت منه مبلغاً.

ـ دا بعد ما تعدي الشغل المهم، طالما ما حدش يعرف حاجه، وكمان مش باين عليها حاجه.

ها قد أتمت له الأمر على الوجه الذي يريد، ها قد أنقذته من هذا الجُبّ تدفع إليه بما يثلج صدره، ويعيد إليه بشاشته، ويضمن بقاء عمله إلى حين، وكان عليه أن يرد الفضل بما يكافئه أويزيد، ولم يجد أحب إليها منه، فدنا، وجعل يرشف ويُسْقِها.

***

ـ وايه يا اخويا اللى مخليك مندهش ؟

هكذا ألقتها حسنيه في وجه المأذون على مسمع، ومرأى من الحضور ـ الذي ما جاوز اصابع اليدين ـ حيث تجلس إلىً جوار المأذون فيما عن يمينه يجلس نصحي، يقابلهم سالم وسلّومه ـ كشاهدي عدل..!!

وإلى جوارهما سيد يتولى أمر أمّه، فيما تجلس غير بعيدٍ، صاحبتها ام العريس، يجاورنها ثلاث نسوةٍ من صويحبات العروس ـ حسنيه ـ

يتندرن بها فيما بينهن، ويحسدنها في أنفسهن.

اندهش الرجل، وارتسمت علامات الاستغراب على ملا محه عند ثلاث.

أما الثالثة : فرؤيته العروس، بعد أن رأى العريس.

وثانيها : عندما تقدّم له أبنها الأعزب ـ سيد ـ كَوَلِيّ لها.

بينما كان أول ما عجب له : عند رؤيته بطاقتها بعد بطاقة نصحي.

كان يجلس نصحي إلى جواره في بدلةٍ زرقاء تَسَع لغيره معه،وقد أقسم عليه سالم بغيرها، غير أنه أبَى إلا أنً يمحوأثار زواجه الأولِ فيها بزوجة ثانيةٍ، حتى وإن كانت أم سيد، تناول الرجل ـ ذاك الذي أُذِن له بأن يأذًن له فيها ـ بطاقة نصحي، وأسرع ينقش بياناتها، فيما ناوله سيد بطاقة أمه، وقد بدا سيد في عيني المأذون مع العريس وكأنهما قُدّا من نسيج واحد، نحافة وضعفاً، ينقل الرجل عينيه بينهما، بعد أن ارتفع صوتُه متعجباً يصل إلى نصحي وكأنه يخبره بما لا يعرف..

ـ خمسة وخمسين عاماً..!!!

فيما الغضب يتسرب إلى نصحي، وفي تلقائية أبكت الحضور ضحكاً.

ـ يعني ممنوع جوازها ولا ايه، ولا نكهنوها أحسن.

ـ أنا قولت حاجه، دا حلال ربنا، فين الوكيل.

ـ ابنها سيد.

ـ اهلا وسهلا، انت ابنها، يعني مش ابنه.؟!!

ـ جري ايه يا مولانا، بيني وبينه عشره خمستاشر سنه، ما تخلص في ليلتك..

النحافة عينها، العينين الغائرتين نفسهما، ثم هي البدلة الواسعة ذاتها، كما لواتفقا، أوكما ظن... قُدّا من نسيجٍ واحد، فخالَهما أباً وابنه.

ـ لازلت بعد أعزباً.؟

ـ ايوه يا مولانا.

ـ سبحان الله، لقد شارفت على الثلاثين، ألم تكن انت أولى بهذه الزيجه.

وقف سالم منفعلا وقد نفد صبره.

ـ وبعدين يا استاذ انت جاي تكتب، ولا تفركش الجوازه.

كان انفعال سالم وصوته العالى ما أسكت الجميع، حتى أولئك اللاتي كُن يتندرن فيما بينهن، فأسرع الرجل، إلى كتابه متماً ما بدأ، حتى جاء موعد الفاجعة الثالثة التى أتت علي ما تبقي من عقله، وقد طلب ـ كما هي العادة ـ الذهاب للعروس طلباً لرأيها.

ـ اقعد زي ما انت، قوم يا سيد هات امك، مفيش حد غريب.

ابتدرته تفتح بابها الغير مغلق، تتمايل في مشيتها، وكأنها بعير يميل بحمله، ثم يعود فيميل إلى الجانب الآخر، لا يلبث أن يدعوه الثقل

بالجانب الأول ليميل إليه.

يتابعها المأذون في صمت، وقد بُهت، تجلس حيث مكانها إلى جواره فيما نصحي في الجانب الآخر، تتصنَع الحياء، تنكمش على نفسها وقد خيّم الصمت على الجميع للحظات، يلقون بأعينهم إلى من يقود الأوركسترا، ليبدأ بالحديث فيتبعونه، إلا أنه وقد اعتراه شيء من الخوف، فقد آثر السلامة، أن لا يخطئ فيصيبه منها.

لذا عليه أن يدفع الشك باليقين، من أنهم ـ أي العروس ـ تلك الجالسة إلى جواره مجتمعين فيها، ولكن كيف له ذلك دون أن يسألها مباشرة.؟

بَيْد أن الألوان التي عمدت بها إلى وجهها، وتلك المختلطة في زيها في غير تناسقٍ تخبر عنها، إلا أنه انطلق لسانه على غير تخطيطٍ، أوعمدٍ

ـ مندهشٌ أنا وربّ الكعبة.

ليس أحدٌ أقدر منها على الرد عليه، وإسكاته، بل وإلزامه الصمت، وقد فهمت عنه أنه إنما قصدها بكلامه، فألقتها في وجهه، مع تعابير وجهها المختلطة بالمساحيق، وقد رفعت جانب شفتها العليا لينفرج عن أحد انيابها، في صورةٍ نسائيةٍ بحتةٍ، وكأنما تقارع امرأةً أخرى الحُجَّة بالحُجّة تؤيدها تعابير وجهها، فكان قولها بعد أن ضربت كف اليمنى فوق ظهر اليسري :

ـ وايه يا اخويا اللي مخليك مندهش..؟

***

عندما تحب، فإنك تجعل كل ما تملك تبعاً لهذا الحب.

جسداً، مالاً، عاطفةً، ووقتاً... كل شيء.

هذا إن كان حباً حقيقياً، وليس مَحْض إعجابٍ قد يظنه البعض حباً.

عندما تحب يجب أن تغفر، إذ كلنا ذنوب.

ـ احنا رايحين فين ؟

ـ انا حاسس إن كل يوم بيعدي، وكل ليله بتقربنا من بعض أكتر، عشان كده الليله هتكون في مكان حكايه... وهوحكايه فعلاً.

ـ لكن المكان اللي اتقابلنا فيه أول مره له مكانه خاصه.

ـ طبعاً، كفايه اني قابلتك فيه، ومن ساعتها وأنا....

ـ بقول نركز في الطريق أحسن.

ـ OK... نركز في الطريق.

على أنها كانت تجلس إلى جواره، فيما يقود محمود السيارة، وقد أرخت أهدابها تستر بريق عينيها الزرقاوتين، كملاكٍ نائم، ترتسم على شفتيها ابتسامة طفولية؛ بدت في عينيه تشرق كشمس الصَباح من بين ظلام الليل، يقبض على مقود السيارة بكلتا يديه يعتصره، ثم في حُنُوٍ، وكأنما أحاط خصرها بكلتا يديه.

توقفت السيارة أمام RESTAURANT HEKAYA ينظر إليها، يتمعن

في تلك الملامح الجميلة، الطفولية، التى أخذت بعقله.

ـ وصلنا...؟

ـ أنا افتكرتك نايمه..!

تستدير اليه مع ابتسامة.

ـ تفتكر اكون معاك وانام... أنا غمضت عشان اشوفك بوضوح.

كانت الكلمات مع هذه الابتسامة، وهاتين العينين، أقوى أثراً، وأبعد معنى من أي كلماتٍ تصف معنى الحب، أوتقترب من شاطئه.

أسرعت يده وبحركة لا إرادية تعلوعارضها، ينظر إلى عينيها كأنهما البحر يغوص فيهما، ودنا منها؛ فغابا لثوانٍ عن الدنيا، ثوان كأنهن الدنيا، لا يعرف من أمر دنياه ولا يشغله شاغلٌ، غير ذاك الشهد يرشف منه.

على أنها لم تكن المرة الأولى لكليهما، على أنها لم تكن التَجْربة الأولى لكليهما، إلا أنهما حديثا عهدٍ بهذا الإحساس، ذاك الإحساَس الذي يأخذ بصاحبه، فيعطل فيه كل شيء إلا الشعور بالمتعة، حيث تختفي من مفرداته كلمات بمعانيها، وما يستتبعها، كالألم، والفرح، والحزن، والسعادة، فلا يعرف معنى الألم حتى وإن كان يعيشه، ولا للسعادة معنى يطرق بابه حتى وإن كانت تلك ساعتها، تخلّى عقله عن تلك المفردات وما تطَرّق إلى معنى من معانيها، فلا يشغله ألم الفُرْقَةِ ولا سعادة اللقاء، فقط لحظات خارج إطار الكوكب الارضي...

عادا من رحلتهما وهبطا إلى الأرض أمام RESTAURANT

HEKAYA، وقد علّقت ذراعها في ذراعه تضمه إلى صدرها.

ها قد وجدت ضالتها ووجدها، فأي سعادة تجمع بينهما، فتمحوالماضى؛ ليسعدا معاً بما يصنعا من مستقبلٍ يضمهما لا يفرق بينهما فيه شيء، وإن كان الماضي بجبروته وقسوته.

ـ المكان فعلاً جميل..

تدور عيناها في المكان، فيما يسحب لها المقعد لتجلس.

ـ مش قولتلك... ممكن تقولي اللي بيجي هنا الصفوه.

تومئ براسها مع ابتسامة، فيما يقترب منهما WAITER يقدم لكل منهما MENU، ترفع عينيها إليه.

ـ ممكن خمس دقايق...

ـ تحت أمرك يا افندم، لوتحبي عصير قبل الأكل.

ـ مفيش مانع.

تنظر إلى محمود قبل أن تطلب كوكتيل من العصير الطازج، ليغادر النادل بعد أن أومأ له محمود إيجاباً.

لم يشغلهما طعام، أوشراب، فما إن تغذت الروح، وارتوت حتى فعل الجسد، فاكتفى بما اكتفت به الروح، لم يكونا تلك الساعة ابداً في حاجة إلا إلى خُلْوةٍ، بعيداً عن الناس، بعيداً عن الأعين، بعيداً عن الكوكب بالجملة.

ـ تعرف إني مش جعانه خالص.

ـ مفيش مشكله، ممكن ننتظر شويه، لكن تعرفي إن عندك حق.

ـ في ايه بالظبط..؟

ـ كفايه إن الواحد يبص في عنيكي، وينسي الدنيا كلها، يشبع من كل حاجه.... إلا منهم.

ـ مش للدرجه دي.

ـ ازاي بقى... على فكره، مبروك على المكتب الجديد.

ـ يا خبر، إنت عرفت، رغم اني قولت لـ عوني مش لازم يقولك.

ـ أنا تحديداً.

ـ طبعاً، حرق المفاجأه بتاعتي، وبعدين انا ما رضيتش اقولك في التليفون عشان تسمعها مني الليله.

ـ خلاص يا ستي ما تزعليش، أعوضهالك المفاجأه الجايه، ولا اقولك، قوليها وأنا هندهش...

ويتضاحكا، إلا أنها لم تدم لأحدٍ سعيدةً أبداً... ولن تفعل، كما لم تدم حزناً على أحد، ولن تكون.... تلكَ هي الدنيا.

كانت السعادة تحفهم، وكأنها الملائك ترفرف عليهم بأجنحتها، تغشاهم سكينة وكأنما ما عاشا على الأرض يوماً أوساعةً من يوم، هي السعادة في أتم صورها.

غير أنه صفاء بعده كَدَر، سعادة يعقبها حزن، والإنسان بين هذا وذاك يحيا لحظة السعادة كأنها أمد طويل لا ينتهي، وكذلك الحزن لحظته، ثم إذا هي انسلخت عنه ـ أيْ لحظة الحزن ـ فإنه يحيا كما لو لم يطرق بابه نقيض ما يحياه، فهي لحظة السعادة يحياها، وكأنه ما وَطِيء بقدمه ألَمًا قبل أوعاشه، فالإنسان أسير لحظات حياته، لحظات كأنها العمر كله، سعادةً كان أوحزناً.

ـ مساء الخير..

ما هذا الصوت الذي يقرع الآذان، كأنها تعرف هذا الصوت الخشن، الأجش الذي لا تخطئه أذن، فيما يقف له محمود.

حسبك أيها الماضي، ألا يمكن الهروب منك، إنها بعض ساعة من السعادة، أتضن بها علينا، أما كان لها أن تكتمل، ترفع عينيها في خوفٍ ليتراءى أمامها شبحاً من أشباح الماضي، فيرتد إليها طرفها، وقد تعرقت، وتملكها الخوف، وبدت رعْشة خفيفة تسري في أوصالها، ليقفز أمام عينيها شبح الماضي يطاردهاَ حيث كانت تقف على الكورنيش، بعد أن ودعتها صاحبتها ـ سعاد ـ إلى صديقها.

فيما يممت دعاء إلى الكافيتريا حيث ينتظرها محمود، وقبل أن تضع قدمها على الأرض لتعبر إلى الناحية الأخرى، تقف أمامها سيارة فارهة، ليأتيها من داخلها ذات الصوت الخشن الأجش.

ـ دودي...

وكان عليها ساعتها الاختيار بين هذا الحب الذي ينتظرها على الجانب الآخر حيث التقيا، وهذا الماضي الذي تهرول هربا منه فيما يسد عليها الطريق، لتجد نفسها تهرول إليه.

غير أنها ضعفت، أوآثرت السلامة، حتى لا يراها محمود معه، أويرسل هوفي أثرها من يفضحها عنده، أوهكذا أقنعت نفسها.

فما كان منها إلا الهروب... نعم، الهروب إلى الماضي، هربت إليه وليس منه.

- ولا ايه يا مدام..

استيقظت من ذكرياتها على ذات الصوت الخشن الأجش يحدثها.

- أفندم....

- أنا آسف، ما عرفتش حضرتَك، الآنسه دعاء.

- آاآنسه دعاء، هه هه هه هه.... تشرفنا، عادل، ترابيزة مهندس محمود عندي.

يومئ تابعه إيجاباً، فيما يتابعه محمود بعينيه، ثم يعود إلى سيده.

- أنا متشكر جداً عدنان بيه، لكن دا كتير، وبعدين ما سبقش وعزمت حضرتك على حاجه.

- ازاي بقى ؟!.. انتوعزمتوني على حاجات أغلى وأحلى، واللي دفعته، أوهدفعه لا يقارن بيها.... ولا ايه يااااا آنسه.

يغادر الرجل ضاحكاً يتبعه تابعه، فيما تشيعه دعاء بعينين وجلتين، ملؤهما الخوف، والغضب، واليأس، والحزن.

على أنها في ليلةٍ صيفيةٍ، تهب بين الحين والحين نسمة صيفية ماتعة، إلا أنها تعرّقت فبدت حباتُ العرق تعلوجبينها الأبيض صافية كحبات الألماس، فأسرعت بأطراف أصابعها إليها، فيما جلس محمود حائراً يسائل نفسه أمامها، وقد تملكته الحيرة.

ـ حاجه غريبه، بيتصرف ليه كده ؟!

... وبعدين انا ما اتعاملتش معاه بصوره مباشره قبل كده... إنتي..

قبل أن يسألها، فيضعها في حَيْرةٍ من أمرها، أسرعت تبادره، فما هوإلا أن وَجّه إليها الخطاب حتى ابتدرته تقاطعه.

ـ مين الراجل دا.؟

كان سؤالها محمود بمثابة طوق نجاة ألقته في البحر، وتعلقت به مخافة الغرق في بحر أسئلته، فأبعد عنها الخطر، أوهوذاك الدرع الذي يحمي دخيلة صدرها أن لا يطلع عليها أحد.

كان لسرعة بديهتها، وذكائها ما دفع محمود أن يجيب لا أن يسأل، وقد انتفى لديه معرفتها بهذا الرجل، فجعل يحدثها عن قدراته المالية، وأنه من أرباب المال والتجارة، وأنه صرح كبير في عالم التصدير والإستيراد، واسترسل محمود في الحديث عنه، فيما تمالكت دعاء نفسها، وقد جففت عرقها، وابتلعت دموعها، واستجمعت شيئاً من شجاعتها، لتدفع عن

عقلها هذا الألم أن يسيطر عليها، فيفض عقال ذكرياتها الأليمة المحزنه..

ـ احنا مش هناكل ولا ايه...؟

***

إن اعتياد الإنسان للخطيئة، حتى تصير دَيْدن حياته، وعادته لا يَسْلم له يوم دونها، لأمر يعكس سوء الفطرة، ودناءة الطوية وقبح النفس، وانحطاط الصفات البشرية في أتم صور الانحطاط.

كانت الأفكار تعترك برأسها، فيما هي جالسة تنتظر ليلة أخرى من ليالى الصعود... ولكن أى صعود ؟! وإلى أين ؟

هل إلى الغاية التى أمّلت، والحياة التى تمنت ؟؟ أم تطردها تلك الحياة لتعود إلى سابق عهدها خالية الوفاض ـ إلا من طفلٍ يقض مضجعها ـ ثم إلى أمها... لا، فإلى الشارع إذا...

جعلت يدها تتحسس بطنها، فيما تترقرق دمعات في عينيها، تقبض بأصابعها على بطنها، يتسرب إلى ملامحها الغضب، تعض على أضراسها، وتميل بعينيها حيث أصابعها تعتصرِ أسفل معدتها، وكأنها تحدث ذاك الغائب تحجبه ظلمات ثلاث، وما تَكوّن بعد إن هوإلا قطرات دماء ما عُقدت حياة فيها بعد، ولسان حالها يقول :

ـ كم أكرهُك..!! هوأنت، ليس أحد غيرك، لتكونن شقائي لا سعادتي، وحزني لا فرحي...كم أكرهُك..!!

عندما تضع نُصْب عينيك هدفاً ما تسعى إليه، فأنت وهذا الهدف لا

يثنيك شيء عنه، أويقف في سبيل الوصول إليه شيء...

ولا ريب متى ما فعل أحدٌ، فكان حجرا في طريقك، أوكان سبباً ـ وإن كان عن غير قصد ـ في تأخيرك، فهوالعدو.

هكذا كانت مع الضيف الذي تنتظر، إلا أنه بالنسبة لها ضيف ثقيل، وهي أبخل الناس معه، وتتمنى لولم يأت.

يجلس شيطانها إلى جوارها يهمس في أذنها.

ـ عايزك تنسي المشكله دي خاااالص، حَلّها عندي ما تقلقيش.

تنظر إليه، وقد تسرب إلى ملامحها بعض البِشْـر، وقبل أن تنطق، يومئ برأسه إيجاباً، تأكيداً على سابق قوله، ويتم.

ـ عايز الباشا يكلمنى تاني.... فهماني طبعاً.

لكل صاحب مال تابع يقضي له في مثل هذه الأمور، وغيرها، ومع اختلاف الأسماء إلاَ أن الأداء والادوار واحده، فقد تجده زكريا، أوعادل، أوحتى عوني، أوأياً كان اسمه.

وقفا له، وقد أتى يتفحصها من منبت شعرها المرسل ـ يغطي بعضه صدرها المكشوف، فيما يغطي البعض ظهرها العاري ـ إلى إخمص قدميها حيث ذاك الفستان يكشف ما فوق الركبة بقليل، فيما يتابع عينيه عينا شريف حتي ظفر منه بابتسامةٍ.

ـ تمام يا عادل بيه.

ـ مستواك بيتحسن يوم عن يوم.

ـ شهاده أعتز بيها من واحد في خبرة حضرتك... أطلع اوصلها.

ـ تطلع فين..؟ دا أوتيل محترم يا استاذ.

ـ طبعا، طبعاً.

ينظر إلى سلمى وكأنه يعتذر منها، أنْ لا حيلة له، ولا ريب ستكون وحدها صعوداً..

ـ شوفى.. الدور التاني غرفه ١١٥.. ما تتوهش.

يومئ لها شريف، فيما تلمح ظرفاً أبيض ينتقل من يد عادل إلى شريف، تتحرك سلمى، فيما تنتقل يدها إلى بطنها بحركة لا إرادية، وكأنها تخفي ما فيها، تنظر يمنة ويسرة، وكأن العيون تحدق بهذا الضيف، وقد علموا بمقدمه أوهكذا تتوهم.

يتابعها عادل بعينيه، وقد التقتا بعيني موظف الإستقبال، حيث يومئ له، فيومئ لها بدوره مع ابتسامة، وكأنما منحها تأشيرة الصعود ولكن إلى أين ؟ وأي صعود هو؟

وضعت قدمها حيث أول درجة وبدأت في الصعود.

يدور برأسها حديث النفس للنفس : تُرى كيف يكون ؟ وكيف هي رائحته ؟ وما اسمه ؟

وتعجبت من نفسها، إذ لم تعرف اسماً لأحدٍ سبقه، ولكن.. ما

حاجتها إلى الأسماء ؟!..! أوحاجتهم هم إليها.

فلكل منهم اسم أوأسماء ينادونها بها، أويسبها بعضهم بها، ففي ذلك مُتعًتهم، ومتعتها، وإن كانت مُصطنعه.

توقفت فجأة، وارتفع صوتها حتى وصل أذنيها، تسائل نفسها.

ـ هوقال كام.

وتنظر إلى الخلف حيث درجات السلم، وطريق صعودها المُلْتف.

ـ آه.. ١١٥ .

تكمل طريقها صعوداً في سلم يدور حول نفسه، طرقات خفيفة على الباب، تتناسب وهذا الجسد الخَفيف المشوق قوامه، يُفتح الباب على أثرها، حيث رجل جسيم، وقد أحاط خاصرته منشفة.

كانت تلك الشعرات البيض فى صدره تشي بعمره، وإن بدا جسداً رياضياً يفتقده الكثير من الشباب.

ـ سلمى، أنا اللي...

يشير لها بيده أن ادخلى مع ابتسامة عريضة.

ـ شريف مستواه اتحسن كتير.

ما هذا الصوت الخشن الأجش الذي يقرع الآذان، هل تقضي ليلتها مع هذا العُتُل.؟

وتختفى داخل الغرفة..

***

في المعتاد وعلى عادة الأسوياء في مثل هذا الأمر أن يبيت الابن خارج البيت رفعاً للحرج عن أمه وزوجها، لا سيما أنه شاب يافع مقبل على الزواج، إلا أنه وعلى عادته استيقظ، وأعد طعام الإفطار، ثم طرق بابها، لا تعرف هل نسي ؟ أم هى العادة تحكمه ؟ أم لا يشكل هذا أوذاك فارقاً عنده.؟

كان دأبه منذ زمن، فاعتاد الأمر حتى خَالَتْه أن سيكون ذلك حاله مع زوجته، فأرادت أن تَكْسر فيه ذلك الرتم، وتغير ذلك الديْدن حتى ترى فيه خشونة أبيه، فكانَ منها أن عَمَدَتَ إلى هاتفها الصغير تضرب معه موعداً يوقظها فيه، إلا أنه لم يفعل، وقد أدركت ذلك حال أيقظها سيد، يطرق بابها كما هي عادته، ترسل بناظريها إلى شاشة الهاتف، وقد فزعت إذ لم يف بوعده في ايقاظها السادسة صباحاً حيث ضربت معه موعداً، أولعله فعل فيما غَطّت في نوم عميق.

غير أنه بعد التحقيق والتدقيق لم يفعل، فأرادت أن تفتك به، ثم أمسكت وعادت بعينيها إلى شاشته لتكتشف أن موعدها إنما حددته السادسة مساءً، عاد سيد يضرب الباب من جديد..

ـ الفطار يا حجه.

ـ والنبي ما تزعل منه يا سي نصحي.

ـ يعني ينفع كده، حد يصحي في الصباحيه سبعه الصبح.

ـ معلش أهوزي ابنك..

ينظر إليها عاقد الحاجبين، فتستدرك على نفسها، وتتم.

.. اخوك الصغير.

في قميص يسع لهذا الجسد الممتلئ، تجلس حسنية إلى جواره في سريرها، وهوأقرب إلى جلباب بلدي بلا أكمام، استدارت فتحة جيبه، ليبدوجيدها، أوموضع جيدها منها، إذ تدور رأسها على جسدها كحجر الرحى، وقد التصق الرأس بالجسد، يحيط بها عقد من الخرز الأزرق جاءها به سيد من مولد الدسوقي، يتماشى مع الزهور المنتشرة في قميصها، فيما أرسلت شعرها القصير بالكاد يصل كتفيها، تضرب برفق صدره تسترضيه.

ـ ما هي مش اصول دي.

ـ حاضر يا اخويا حاضر..انت قوم اغسل وشك وانا هشوفه.

ـ أغسل وشي..!!! ليه نايم عند واحد صاحبي..!!! ولا انتي نسيتي، ما انتي من زمان برضه.

وبنبرة رجل البيت المسيطر يرتفع صوته.

ـ... شوفي اما اقولك، ياخد فطاره ويشوف حاله في المحل.. ولا اشوف انا حالي..

ها هنا تغير الحال من حالٍ إلى حال، تغيرت الأدوار، وتغيرت أسس

الدفاع والهجوم؛ فتغير الاسلوب، وكذا تغيرت ميكانيكية الحديث.

ارتفع صوتها فجأة، وعادت إلى طبيعتها، فتخلت سريعا عن دور العروس مُرْهفة الحس، خفيضة الصوت، الذي كانت تلعبه.

ـ نعم..... حالك ايه دا اللي تشوفه.

كان لارتفاع صوتها، وهجومها الكاسح ما ألزمه موقع الدفاع، إذ تخلى سريعاً عن دور العريس، قوي الحجة عالي الصوت، وقد بأبأ وتأتأ.

يدنو منها يداعب شعرها بأصابعه فتميل برأسها إلى اصابعه، فيما يتم متصنعاً الغضب...

ـ وبعدين انا عايز آكل من ايدك.

لتنقلب الدفّة من جديد تحاول أرضاءه، فينخفض صوتها ويَرِقّ إحساسها، وقد عادت إلى دور العروس.

ـ من عنيا يا سي نصحي، انت تؤمر.

***

لم يكن شوقها له، شوق جسدٍ لجسد، أومُحب لحبيبه، يتمني رؤيته، ليذوب فيه، فيضمه بكل ما فيه... لا، لم يكن كذَّلك.

بل كان اشتياق الجسد للروح، يحيا بها ويتحرك.

اشتياق النفس لعقل يسوسها، والعقل لضمير يحكمه، فيضبط فيه افكاره يمسكه أن يشطَّح يمينا وشمالاً، هكذا كانًَ بالنسبة لها، العقل

الذي تُفْضِي بين يديه بمكنون صدرها، تتعرى امامه فكراً لا جسداً.

ـ أنا مَش فاهم لازمته ايه المشوار ده..؟!!.. كان كفايه تليفون.

ـ انا مش قولتلك استاذ وَالي كلمني، وقال انه لسه خارج، وكمان سأل عليه، يبقي التليفون ما ينفَعش، وبعدين انت عارف انه صاحبي، ولا انت هَتْغِير..

ـ أنا... أغِير، هه، هه،هه،هه.

كان الفتور في رده، والبرودة في مشاعره، والسخرية من كلماتها، أبلغ ردٍ على سؤالها، وأتم ذلك بضحكات ليخبرها بذلك أنه لا يغار..

وأي رجل لا يفعل، أي رجل لا يفعل. فضلاً عن محب.؟؟!!!

الغَيْرَة، إنما هي دماء تنبض في عروق الرجل والمرآة على حدٍ سواء، فليست الغَيْرة حِكراً على جنس دون غيره، ولا تكون الغَيْرة على شيء لا تَنْتسب إليه، ولا هوينْتسب إليك نفساً، عِرْضاً، ديناً، مالاً، وأرضاً، فإنك إن لم تنتمي لأرضٍ ما فلا يُضيرك ولا تهتم حال تُسْلَب أوتنتهك.

إذ كيف يغار رجل على امرأة ليست له ولا من محارمه، أومن بني جلدته، فالعبرة ومناط الأمر، وعُمْدته أن يهتم أحدهما للآخر، أوينتسب له، فإن لم تكن من ذلك في شيء، دق ناقوس الغَيْرة على الدين

حال ينتهك فيها، فإن لم يدق ناقوسه، فليس من الدين في شيء..

وإلا فالفطرة السليمة في الرجل السَوِيّ تفعل.

استشعرت سعاد، بل وأيقنت أنها لا تشكل فارقاً بالنسبة له، وأنها لا تعدوكونها وعاء يُفْضِي فيه، بما يفضي في غيره.

فالْتزمت الصمت، وأطلقت عينيها عبر نافذة السيارة حيث الصور تجري في عكس اتجاهها، وقد أضمرت في نفسها أمراً تقضي به على البقية الباقية من الشك، لتقطع به إلى اليقين.

ـ حمد الله على السلامه.

انتبهت له وقد أخذها من شرودها، غير أنها ما تبينت كلماته، فرفعت حاجبيها تستزيده، أوتستوضحه حديثه؛ فأعادها عليها، فيما يطفئ محرك السيارة، بينما تمتد يسراه يفتح باب السيارة، أومأت برأسها مع ابتسامةٍ مقتضبةٍ، وسبقته نزولاً ترفع عينيها إلى يافطة تعلومبنى " المركز الثقافي " يتابع بعينيه نظراتها.

ـ سعاد.. مش عايزين نقضي السهرة هنا.

تومئ برأسها، وتتقدمه يتبعها خطوة خطوة، وقد حزمت أمرها أن تضعه في اختبار فِعلى " وليس الحديث كرأيْ العين... وربما "

كانت خطواتها على اشتياقها ثقيلة متعبه، تتوقع نتيجة اختبارها اياه، إلا أنها يُفجعها ما تفعل بعد، فكيف سيكون ردها ؟ هل تستمر ام تتوقف ؟

هل تواصل حياتها الفارغة إلى جواره ؟ أم تبحث عمن يملأها لها..؟

هل، هل،... أسئلة شتى جعلت تتبادر إلى ذهنها، فيما الإجابة

المجملة عنها جميعا، أن ها قد أتى عقلها الراجح، وضميرها الحيّ، وصفاء نفسها، واتقاد ذهنها، فلتلقي إليه بدخيلة نفسها، ولترى رأيه عَلّها تجد عنده ما يثلج صدرها، ويدفع عنها هذه الحَيْرة.

طرقات خفيفة أسفل يافطة مدير المركز الثقافي، يأتيها صوت وَالي من الداخل يدعوها للولوج، فيما تقف أصابعها على مقبض الباب لثوان، كأنما تستمد قوة لتدخل، وقد أرسلت عينيها في عيني كارم الذي زمّ شَفتيه رافعاً كتفيه.

ـ مستنيه ايه...

قاعدة ذهبية..

" لا تتعجل اختبارك أوتطلبه، ولكن كُن مستعداً متى جاء "

وقف لها وقد انسابت دموعها، وكأنها تشكوإليه، وأسرعت فاحتضنته، وكأنما خلا المكان دونهما، تشكوإليه في صمتٍ حيرتها، وألَمها، وطال منها ذلك حتى استشعر شيئاً من الحرج.

ـ تعرفي انك وحشتيني كتير.

ضمته اكثر، وكأنما تدخل فيه، ثم أرسلته وأحاطت وجهه بكفيها تنظر عينيه الذابلتين، ثم نحّت كفها الأيمن لتطبع قبلة طويلة على خده.

ما هي بعادتها معه..!! ربما ما مر به السبب في ذلك ؟!

ذلك حديث نفسه إليه، غير أنه استوضح الأمر وسبر أغواره، وبان

له على كُنْهه، وقد رآها تنظر بطرف عينها إلى رفيقها الواقف من خلفها مع ابتسامة باهتة في لا مبالاة..

ها هنا فَطِن الشاعر إلى سبب فعلها المبالغ فيه، فابتسم لها ابتسامة الواثق منها، الخبير بأمرها، ثم دنا منها حيث فمه في أذنها، وأسر إليها.

ـ هلّا سألْت نفسك السؤال ذاته..؟

هالها الأمر..

كيف فهم عنها، على أنها بعد ما حَكَتْه دخيلة نفسها.

هالها أنها لم تفعل، ولم تسأل نفسها السؤال، وهي أولى بذلك.

وقد سبق وارتضت منه بذلك، فكيف تنكر عليه الآن ما سبق وارتضته له ولنفسها.؟

ـ هلّا جلستم، فالحديث سيطول، ولعله الشاعر يحكينا تجربته القاسية، أوربما صاغها شعراً، فتكون أمتع، وأروع.

ـ أنا آسف مضطر أسيبكم.

يدنو من سعاد، يطبع قبلة خاطفةً على عارضها، قبل أن يَعِدَها بعودته إليها بعد ساعة، وقد أومأت برأسها إيجاباً.

خرج كارم، وتبعه وَالي إلى بعض شأنه، فيما جلسا معاً ينظر إليها، يغمرها بابتسامة الأب ينظَر دخيلة نفس ابنته، تشي ملامحها بما تخفي عن غيره.

ـ كأنها سنين غِبْت فيها.

ـ تعلمين أنها ليست المرّة الأولى.

ـ احتجتلك كتير الفترة اللي فاتت.

ـ وها أنا ذا، هات ما عندك.

***

أن تُنَحّي عن نفسك عبء المعرفة الذي يستتبعه تغير النفس، واتخاذ قرارٍ لازم لهوخير لك، وأقدر على استكمال العلاقة التي يعكر صفومائها ماضٍ مضَى، وقد يكون حدوثه قبل لقائك إلْفَك.

فالنفس البشرية كثيرة التغيرِ والتقلب، لذا.. لا تنكت بحالٍ بين رفوف الماضي ودعه إلى شأنه، وذُبّ ـ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً ـ ما يأتيك من خبرٍ عنه حتى تستمر الحياة، وتدوم العلاقات.

ـ فيه ايه ؟ ! مش عادتك السكوت ده ؟!

.. طول الطريق في العربيه، وكمان أصريت اننا نقعد في مكان مفتوح، وبرضه ساكت.

يقف محمود فى خطى متثاقلةٍ إلى شاطئ البحر يلقي بعينيه حيث تنعكس أضواء المصابيح على صفحته السوداء، تتبعه دعاء، تضع يدها على كتفه، ثم تحول بينه وبين البحر، فتواجهه بملامحه المضطربة وعينيه الزائغتين، مستدبرة البحر، فيما تقبع على الناحية الأخرى من الشارع

مكتبة الإسكندرية تغرد في زهوٍ، وتألقٍ كعروسٍ يتجدد عرسها ليلة بعد ليلةٍ.

ـ فيه حاجه في الشغل.؟

يومئ نفياً، ما أثقل الكلمات على لسانه..!! وما أحرّها في صدره..!!

كأنه مقيدٌ لسانه في فمه، أولعلها إن وُزنت كلماته فجبال عتيقه، أولكأنه امتلأ فمه بما أيبس لسانه، وقد منع الكلام.

ما أصعب أن يجيش صدرك [أ] يضطرب عقلك، تعترك الافكار برأسك، ثم أنت ولا يُسعفك لسانك في التعبير عن ذلك..!!!!!!!!

جعلت دعاء تستنطقه، فيما ينظر إليها لا يراها ـ وهي الواقفة بين يديه تكاد أنفاسهم تتلاقى ـ بَيْد أنها تمَثلت أمامه صورة عوني، يقصه طُرْفة ـ في ظنه ـ يضحكه بها، ولكن....

قلبت الطُرفة حياته رأساً على عقب، وعكّرت صفْومائها الهادئ، وما كانت إلا كلمةً أتت بالقديم إلى الجديد، فحركت الأمواج، وصنعت في نفسه أعاصير، وبراكين، فما صدره إلا بركان يموج بناره ويضطرب، فيما فُوّهته محكمة الغلق.!

ـ زاهيه.

على سبيل التَفَكُه ألقى بها عونى في وجهه كقنبلةٍ زلزلت كيانه، وأحدثت في صدره شرخاً لا يخاله يُرَتّق، على سبيل الفكاهةً والتَنَدّر ألقى بها عوني، فيما يهتز كرشه ضحكاً، إذ كيف ـ في ظنه ـ اجتمع هذا

بذاك، اسم عتيق بهذا الجمال الأخّاذ.

قفز إلى مُخيلته، واسترجع شريط الماضي ليحل أمامه ذاك الرجل الباسم أبداً، ثقيل الدم والبدن، في ذاك الفندق، يردد ذات الاسم :ـ زاهيه.

وهذا الاخير، ذاك الممتلئ مالاً، ذوالصوت الأجش الخشن، وكلماته التي تحمل في طياتها معانٍ شتى.

جعلت تتقاذف أمام عينيه المشاهد كلها، يجمعها بعضها إلى بعض، أوتتَلاحق رُغْماً عنه، فأخذت به إلى نتيجة واحدةٍ " إكس ".

هكذا فُكّ عقال لسانه، فنطق بها، لتعقد حاجبيها، تعيدها من خلفه.

ـ إكس.. مش فاهمه...!!

ـ مش لازم تفهمي، أنا فهمت..

كادت عيناه تذرفان الدمع، وقد غشا السواد ملامح وجهه.

ـ ايه الغموض اللي في كلامك ده ؟!

ها قد انحلت عقدة لسانه، فجعل يعيد إليها قنابل عوني، وغيره، تباعاً واحدةً واحده، حتى كشف لها أمرها، فعرّاها أمام نفسها..

ـ المفروض انها كانت صدفه... حتى الرقم عملتله بلوك، و....

تحركت خُطَيّات مبتعدة عنه، تواجه البحر، لا يصل أذنيها من حديثه من شيء، تقفز إلى رأسها ذكرى تلك الليلة حيث التقيا، ها هوذا

الماضي يعود بأسوأ ما فيه، ليضرب أجمل ما في المستقبل، لتعود آثامه لتمحو حسنات الحاضر ومآثره، كأنه رجل آتٍ من بعيد في يده مُدْيةً علاها الصدأ، يضرب بها في خاصرة وليدٍ جميلٍ أعَدّه أبواه لمستقبلٍ باهرٍ، بَيْد أنها الريح صنيعها مع السفنِ.

تحجرت الدموع في عينيها، يعتصر قلبها الألم، يصله صوت أنفاسها المتلاحقة.

ـ تعرفي ان الرقم لسه على التليفون عندي... ثواني..

ألقت بعينيها إلى المجهول الأسود، إلى ظُلمة البحر، التى لا تختلف عنها قلوب البشر... أما من أحدٍ يغفر، فالكل يُذنب.؟!

تنظر إلى ظلمة البحر، تود لوتُلْقي بنفسها إليه، ليبتلع معها ذاك الماضي البغيض التعيس الذي يتجدد ظهوره أمام عينيها يوماً بعد يوم.

ترتفع يدها تعلوصدرها المضطرب، المتأجج نارا.

" أما من احدٍ يغفر، فالكل يخطئ.؟!

صرخة مُدويّة لاطارات سيارة تحتك بالأسفلت، مع صوتٍ مكتومٍ، وارتطام شديد.

على أنها لم ترى ما حدث بعد، إلا انه تبادر إلى نفسها حدوث فاجعة.

ـ محمود...

صرخة مدوية، تكاد تماثل صرخة إطارات السيارة في احتكاكها

بالأرض، وقد صكّت فمها بيدها، وتيبست أطرافها، واتسعت حدقتا عينيها.

هي ليلة ليلاء ولا ريب، أُغْطش ليلها فهوأسود من صفحة البحر في الليل البهيم، لا يرى المبصر فيها ما جاوز عينيه.

المكان يكاد يخلومن المارّة، السيارة لاذت بالفرار، وخلّفت جُثةً لا حراك بها.

تتحرك في خطى متثاقلة إلى الجثة الملقاة على بعد أمتار منها، تنظر إلى السيارة المنتظرة فى الناحية الأخرى من الطريق، ثم إلى ذلك المُسجّى على الأرض، لا تلبث أن تعود بعينيها إلى السيارة تتمنى أن يخرج منها، ثم إلى الجسد.... وتدنومنه، ثم تدوي صرخة.

إذا هو، تسارعت خطواتها، فجثت عند رأسه الذي تشخب جروحه دماً، لكأنه كله جروح، تتسارع دموعها توافق صوت بكائها المرتفع، تمتد أصابعها المرتعشة لتقطع خيوط الدم المنسابة من رأسه إلى عينيه عبر جبهته، فيما تنساب دموعها تغسل وجهه كأنها نَهَر يتلاقى مصبه عند نهر دمائه.

وَيْ...!!!

إنك لتعجب أيما عجب من أمر الإنسان !

يبحث بيده عما يعكر صفوحياته، ويجذب إليها الكَدَرَ والحُزْن، ينكت بأصابعٍ مُرتعشة فى قيعان الماضي ليخرج آلامه بيده، وحقيق بأن

لا يفعل، وجديرة هي الحياة بأن يعيشها.

وَيْ...!!! أما من أحدٍ يغفر..؟

جعلت لا تتحرك عيناها عن عينيه، فيما تمخر سيارة الإسعاف عُباب الطريق، تصرخ بصوتها المعهود؛ ليخلولها الطريق الخالى نوعاً، وهي أبداً تصرخ، وكأنها تُحذر من يسمعها من مصيرٍ يشبه مصير من تحمل... تهيئوا فإني أحمل إثم إنسان.

أما آن لك أيها الزمان أن تَـقَـرّ بشيءٍ من السعادة.؟

أما آن لك أن تمحوأثار الماضي المظلم لتَسْطُر فوق صفحاتك حروف السعادة من نور.؟ كانت تنظر إليه، باكية العينين،شجية النفس، منفطرٌ قلبها،تتألم جوارحها، لا تعرف من أين يأتيها الألم، غير انه ما فتئ يضرب جسدها، تُحدث نفسها، ترجوأن يجود الزمان عليها به، فلا تفقده، حتى وإن ظلت آثار الماضي الذي يطاردها في ذاكرته، حتى وإن فقدت وَصْلَه. تعتب عليه أن فَجّر في وجهها قنبلة الذكريات الأليمة، يضن عليها بالعفووالغفران، وعليهما معاً بالسعادة، فيما صكّ لنفسه صكّاً وتناسى آثامَه.

إنّ جُلّ الرجال، وإن أنصفت فجميعهم يلقون بالتّبعَة على المرأة، فيمنعونها المغفرة، فيما يمنحون أنفسهم صكوك الغفران، على أنهما شَرَك في الإثم، ودارا حيث دارا معاً في ذات الخطيئة.. أيّ عدل هذا ؟!

وَيْ...!!

على أنهما في الإثم سواء، وفي العقاب سواء، فالخطيئة واحده...

عجباً، أما من أحدٍ يغفر ؟!!!

أما من رجلٍ يعقل ؟!!!

جعلت دعاء تروح، وتجئ امام غرفة العمليات، فيما تنظر إلى هاتفها بين الحين والحين، ولسان حالها يقول :ـ ما هذا التأخير ؟!

ولكن من كانت تقصد بهذا ؟

هل ذلك المُسَجّى بين يدَى الأطباء وقد أعياهم أمره ؟

أم هؤلاء الذين هاتفتهم ؟ وكان أولهم وصولاً عوني.

قادماً من بعيدٍ نحوها يهتز كرشه أمامه، ومع اقترابه منها تتسارع خطواته؛ ليزداد تراقصه من جديد، فيمسكه بكلتا يديه ألا يفر من مكانه، تستقبله بالدموع، وتلقي بنفسها بين يديه، تبلل كتفه دموعها، فيما امتلأت عينيه بالدموع، يحاول أن يُهَدّئ من روعها.

ـ انا كلمت مهندس اسماعيل، وهوعلى وصول.

.... ما تقلقيش، إن شاء الله خير.

ترفع رأسها عن كتفه ترتعش يداها، فيما ترفع عينيها إلى السماء.

ـ يا رب.

على أنهم لا يعرف أحدهم الآخر، إلا أنهم صادف وأتَوْ في ذات التوقيت، سعاد وشاعرها، وعلى مقربة منهما إسماعيل، وعلى عادة كل

زائر في مثل هذه الظروف، ما إن دَنَوْ منها حتى تسارعت خطواتهم حتىً لكأنهم يخشون عدم اللحاق بها، أوذهابها... على أنها لن تفعل.

احتضنت سعاد صديقتها، وقد ارتفع صوت نحيبهما.

ـ إنتي كويسه ؟

ـ محمود يا سعاد... هيضيع مني... الأمل اللى استنيته طول عمري، الحياه اللي اتمنيتها.

ـ خيراً إن شاء الله، فلا جزع مع قضاء الله، الزمي الصبر، والدعاء.

ترفع عينيها إلى السماء تُتَمتم، وقد أَسَرّت تفضي بمكنون صدرها إلى من هوأعلم بها وبه.

ترك اسماعيل عوني بعد أن سمع منه، فيما اتجه إلى دعاء.

ـ ايه اللي حصل ؟

تستدير إليه، وقد غسلت وجهها دموعها، ترفع أصابعها إلى وجنتيها تجتهد ان تتمالك نفسها.

ـ كان بيعدي الشارع يجيب حاجه من العربيه.... وبعدين....

وتلقي برأسها إلى كتف سعاد.

خمس لم يتجمع سواهم، لا يهتم لأمر ذلك المُسَجّى بين يدي الأطباء سوى اثنان منهم.

الشاعر، لا يعرفه ولم يسبق أن تقابلا غير أنه إنما جاء مع صديقته.

سعاد، لم تتوطد بعد علاقتها به، إنما هولقاء أواثنان، وما أتت إلا لصديقتها.

عوني، على أنه أكثرهم معرفةً به، وتعاملاً معه إلا أنه ما جاء إلا عن اتصال شريكته به.

بقى اثنان لا ثالث لهما، الصداقة... الحب

ما أصعب أن تفقد صديقاً زاملته، ورافقته سنوات، فليس من السهل أن تصنع آخر، أوتأمن لآخر.

فلم يكن اسماعيل ومحمود رفقاء عمل وحسب.. لا..

فما أكثر رِفْقة العمل، ولكن قلّ أن يَخْلُص لك منهم واحد...!!

على أنهم يجمعهم مكان واحد، وسبب واحد، إلا أن كلا منهم كان وحيداً

يعيش تلك اللحظات مع نفسه، لسان حاله يختلف عن الآخر، بحسب علاقته بذلك المُسَجّى وسبب حضوره.

فمنهم من يغرد لسان حاله في نفسه، يضع يده على فمه يداري اسنانه الكبيرة، يكتم صوت تثاؤبه، فيما يلقي بعينيه إلى دعاء يحدث نفسه :ـ

ـ كان زمان الواحد في أحلاها نومه... يعني مفيش غير رقمي تكلميه.

وآخر يقلب عينيه في وجوه الحاضرين يستنبط من تعابير وجوههم

دخائل أنفسهم.

ـ لله دَرُّ بن آدم، ما أضعفه، وما أكثر أحواله المتقلبة، وما أكثر تعلقه بالدنيا..!!!!!

تختلس الفينة بعد الفينة تنظر هاتفها، ترقب اسم رفيقها أن يُضيء هاتفها به، أولعله فعل ولم تره أوتسمع منه، فتعود لتنظر.

ـ كل دا ساعه... ماشي.

يجلس إسماعيل أرضاً، وقد ألْجأ ظهره إلى الجدار، واتكأ بمرفقيه على رُكْبَتَيْه، يحيط رأسه بكلتا يديه.

ـ ربنا يقومك بالسلامه يا محمود.

أما هي، وعلى أنها فيما بينهم يحيطون بها، إلا أنها أكثرهم عُزْلة، وقد أخذتها الأفكار كل مأخذ، فخاطر يعيد ذكرى ما حدث يُلْقى بالتّبِعَة عليه، وخاطر يندب إليها الفتى يخوفها فَقْدَه، وثالث لا تعرف سبب حضوره، وما دعاه للظهور في هذا الوقت، إذ بدت أمامها صورة أمها تبتسم لها.

ـ نفسي أفرح بيكي بقى..... زاهيه..

كان وقع الاسم في أذنيها ما انتشلها من شرودها، فرفعت رأسها عن كتف سعاد، فيما يقف أمامها الطبيب واجماً، فوقفت له،

وبصوتٍ ملؤه الهلع ايقظ الجميع من شرودهم، فتجمعوا له.

ـ أنا آسف يا جماعه.... البقاء لله.

***

على خلاف الريف والأقاليم، قِلّة هم من يتبعونها في المدن الكبرى كالإسكندرية، وغيرها..

الأقارب والأصدقاء على قلتهم، القليل من زملاء العمل، بعض الجيران، على خلاف ذلك تجد الأمر في الريف، تتبعها قرىً بجملتها.

فتجد الأعداد خلف الجنازة غفيرة، وتستحق ولا ريب أن يُطلق عليها جنازة مهيبة.

على هذا النحوكانت جنازته ـ ذاك الشاب الذي جاوز الأربعين بقليل ـ يتبعها أعداد قليلة، ما بين صديق، وزميل عمل، وبعض ممن حضر الصلاة في المسجد، ورأى حقاً عليه أن يتبعه، وإن لم يعرفه قبل.

يقف زكريا بسيارته أمام مسجد العمري، إلى جواره سالم يتابعان في صمت، خروج الجنازة، ومشيعوها.

ـ أظن كده تمام يا باشا.

ـ تمام يا سالم، ولوانك زودت العيار حبتين.

ـ إحنا يا باشا شغلنا تسليم مفتاح... بس لا مؤاخذه فيه باقي حساب.

يخرج من جيبه لفافة من النقد يلقى بها في حجره، طرقات خفيفه

على الزجاج المجاور لـ زكريا، يَدُسّ سالم المال في ملابسه، فيما يرفعان أعينهما

ـ عوني...

ـ البقيه في حياتك يا زكريا بيه، فيك الخير والله.

ـ الله يرحمه، كان عزيز علينا.

ـ الله يرحمه كان عزيز علينا كلنا.

يتابع سالم حديثهما وقد وجَمَ تعجباً، فيما يتم عوني يقول :ـ

ـ البقيه في حياتك يا استاذ.

ـ ها... آه، حياتك الباقيه يا حج.

ـ معلش يا عوني، مش هقدر امشي معاكم، انت عارف رِجْلي تعباني..

ـ يا باشا انت قُمْت بالواجب خلاص، اتفضل سعادتك.

يتحرك زكريا وصاحبه بالسيارة، فيما يلحق عوني بالجنازة وقد سبقته قليلاً، يزيد من خطواته، ليتجاوز النساء في مؤخرة الجنازة حيث دعاء تأبطت ذراع صديقتها، وقد اختفي نصف وجهها تحت نظارتها السوداء

***

ـ الو... الو...

ـ خير يا باشا، فيه ايه ؟!

وقف الشرنوبي يضرب كفا بكف، يحدث نفسه، فيما زكريا ينظر إليه:ـ

ـ خمسه مليون جنيه.

ـ................!!

وَجَمَ زكريا، فيما يخاطبه الشرنوبي بصوتٍ لا يخلومن اتهامٍ.

ـ انت نفذت ولا لأ..؟

ـ طبعاً يا باشا، كله تمام، واحنا في الأمان..

ـ طيب مين اللي... تعالى معايا.

يسرع زكريا خلفه دون أن يفهم، فقط يتبع خطواته وعليه أن يفعل، وشيئاً، فشيئاً، تجلّى الأمر أمامه، ووضحت بُغْيته ووجهته.

غرفة الكاميرات..

صعد درجات السلم، في خفة يتبعه زكريا، تمتد يده يفتح الباب دون استئذان، فما كان مثلُه ليفعل مع مِثْلِه.

وكأنما يبحث عن جُرْمٍ يمسك صاحبه به، وقف فوزي، وتبعته أمينه تعلووجهها علاماتٌ الاندهاش المشوب بالخوف، وقد تأخرت خُطَيّات للخلف.

ـ بتعملى ايه هنا.. على شغلك.

أسرعت أمينه لا تلوي على شيء، وكأنما أرسلها زكريا من عقال.

ـ خير يا افندم.

ـ ابداً يا فوزي، الباشا من وقت للتاني بيحب يتابع كل حاجه بنفسه.

ـ ها، ايه الأخبار..؟ الكاميرات شغاله تمام..

ـ تمام سعاتك، ولوفيه حاجه بكلم زكريا بيه.

ـ عظيم، عظيم.

وتدورا عيناه في أنحاء المكان، لا يعرف عن أي شيء تبحثان، فتتبعه عينا فوزي، في جهات الغرفة الاربعة تنظران إلى لا شيء، يومئ السيد برأسه، ويزم شفتيه مع صوتٍ مكتوم، ثم يتبعه تابعه إلى الخارج.

ـ مش تفهمني سيادتك فيه ايه...؟!!

يقف به الباشا، وفي غضب.

ـ خمسه مليون جنيه، طلبوا خمسه مليون جنيه عشان اتأخرنا في الرد، وبيهددوا بالفيديو..

ـ يعني مش محمود....!!!!

ـ وغالباً مش الحيوان دا كمان...

إنه لصرح عظيم بناؤه، وإن لم يسقط بمثل هذا الأمر، فقطعاً تتأثر أدواره، أويهتز أساسُه، فيكون عُرْضَة للسقوط مع أول هزة.

أوكما تعارف الناس ودرجوا على مَثل يقول " العيار اللي ما يصيبش يدوش " فما أغناه عن مثل هذا الصّدْع، لَذا عليه أن يُرَتّق هذا الفَتْق قبل

أن يصل صداه إلى من هم فوقه، فتكون وطأة معرفتهم به أقوى أثراً، وأصعب عليه من أمر هذا المبتز.

لم تكن الملايين الخمسة إلا نقطة في بحر أمواله، غير أنه أراد أن يتثبت من أمره، فيستيقن من ذاك المبتز أنه لن يعيد الكَرّة، ولن يكون سيفاً مُسَلّطاً على رقبته أبد الدهر.

ولكن أنّى له هذا، ولم يعرفه بعد.

إذا عليه أن يجرب، ولتكن الملايين الخمسة تجربة يدرأ بها الشك

باليقين، فيستوثق بها من أمره، فإن كان وما يكره يكون فيه أمر بعد

ـ مغلق..

ـ لما يفتحوه هتوصل رساله لسعادتك.....

لم يتم زكريا كلماته حتى سمعا صوت طرقات على الباب تصدر من هاتف الباشا، تُعلن عن رسالةٍ قادمةٍ يتبعها رنين الهاتف، يشدوا..

" تسلم الأيادي "

ـ ألو... أيوه كنت برن عليك...... طبعاً طبعاً، لكن الفلوس هتوصلك ازاي.؟..... نص ساعه، تمام، بقولك...

يعض على أضراسه في غضبٍ وهويتم :ـ قفل...

ـ ها يا باشا.

ـ هيكلمنا بعد نص ساعه.

ـ تمام... نديله الفلوس ونخلص.

ـ احتمال، لكن مش أكيد.

ـ يعني ممكن....

ـ طبعا.

يميل حيث عُلبة ذهبية تعلومكتبه، حيث هذا السيجار الكوبي الشهير يلتقمه، تتقد مقدمته، ينفث دخانه في سماء الغرفة.

ـ تضمن منين، انه ما يكررهاش تاني.؟

يرفع زكريا كتفيه زاماً شفتيه.

ـ مفيش ضمان، دا ممكن كل فتره...

ـ هودا.

ـ يبقي لازم نحصن نفسنا عند الناس اللي فوق.

يسأله بعينيه، فيما ينفث دخان السيجار في الهواء، فيتم زكريا.

ـ الصندوق، والمجلس.

ويلحق بسيده جلوساً على الأريكة، يسبر له أغوار أُحْجيته، فما هما إلا كلمتان، إلا أنه يتبعهما الكثير، والكثير.

جعل زكريا يخبره بضآلة الخمسين ألفاً تلك التي تبرع بها لصندوق تحيا مصر، مقارنةً بقدر وقيمة مجموعة الشركات، وعليه أن يسترضي

من بيده الأمر، حتى يَأمَن مكرهم، ولتكنِ مليوناً، يوحي به إلى إحدى الجرائد التابعة، لتحكى هذا النبأ متخللاً حديثاً عن دعم المجموعة للإقتصاد المصري، ووطنيتها، ومع ذلك عليه أن يتحصن بمجلس الشعب، فيُحصّن نفسه وماله.

جعل رأسه يدور لكلمات زكريا، وأيقن أنه بذلك بالغ أمره، وعليه أن يقرن بين المال والسياسة، ليحمي أحدهما الآخر، إذ تحمي السياسة المال، ويكون هوفي خدمتها.

" تســــــلم الأيـــادي "

يشدوالهاتف بها، فيسرع به زكريا إلى سيده.

ـ الو..... فين.....

يشير إلى زكريا أن يكتب فيما يُكَرّرُ بصوت مسموع خلف محدثه، يتابع زكريا مع كل كلمة كما لويتأكد من كتابتها.

ـ.... لوحده... تمام... ورق كله ٢٠٠، شنطه سوده........

الساعه خمسه عند المكتبه.... تمام.... طبعاً،طبعاً.

***

الخامسة قُبَيْل المغرب، في يوم خريفيٍّ كأنه قلب الصيف، وقد آذنت الشمس بالمغيب ـ إذ يَحْمَد لها النّاس صنيعها ـ يحيطها بذراعه، تلفحها نسمة خريفية بَيْن بَيْن ـ فيها من نهارها وشيء من الغروب ـ بعد نهارٍ

مشمس، لتدفع بنفسها أكثر تحت ذراعه القوية فوق صخرة عظيمة سوداء، يلقي بعينيه في الأفق البعيد، حيث سفينة في عرض البحر تبدوكبقعة من الحليب تعلوسطح فنجان من القهوة الحالكة، وقد لاحت على وجهه ابتسامة، سألته على إثرها.

ـ ايه...؟

يضمها تحت جناحه أكثر، وقد استسلمت لقوة ذراعه، والدفء يغمرها به، فأغمضت عينيها تعيش معه اللحظة.

ـ شايفه المركب دي...؟

لم تفتح عينيها، بل أمعنت في غلقهما كما لوتمسك على ما فيهما، تنعم معه بهذه الرحلة البحرية، وقد خلا سطحِ المركب إلا منهما، ترتسم ابتسامة على شفتيها، وقد استشعرت دفئاً لم تستشعره قبل على أنها فوق سطح المركب في قطعتين ما ارتدتهما قبل، تغازلها شمس الغروب، تظلها سماء من طيور النورس البيضاء، كأنها قطرات من الحليب في صفحة السماء، تشدوا بأصواتها المعهودة يتردد صداها في أذنيها... مُنى، مُنى، مُنى.

أفاقت مُنى من حلمها على صوت شاكر يهاتف أحدهم.

ـ عظيم، عظيم، زي ما انت قدام المكتبه، هيوصلني تأكيد انك لوحدك، تتحرك بعد ربع ساعه على القلعه، أول ما توصل كلمني.

وتتحول عينيه إلى مُنى القابعة تحت جناحه..

ـ هانت...

ـ ايه ده، هو فيه حد غيرنا..؟!

ـ لأ طبعاً، لكن لازم يحس ان فيه ناس متابعاه..

ويجمع اصابع قبضته في قوة، وقد بدا الحزم على ملامحه، يلقى بعينيه إلى البحر يتم في حزم..... ياااااه.. قربى كمان.

فيما تقترب مُنى أكثر، وأكثر، كأنما قصدها بكلماته وما فعل.

كان يحدوهما الامل لتحقيق أحلامهما، وأن طوق النجاة معلق في تلك الحقيبة السوداء وملايينها الخمس، ولأنهما كالسمك يأبى الخروج من بركته إلا إلى أخرى ـ وإن لم تماثلها ـ فقد ارتأيا الحياة في مدينة ساحلية أبعد ما تكون عن الإسكندرية، لتكون بداية جديدة للصعود...

ـ بَعَتِى الجواب.؟

ـ طبعاً، من بدرى... إنت مش قلقان..؟!

ـ من ايه..؟

ـ يعنى.. ممكن يبلغ البوليس.

ـ هه، هه،هه،هه، بوليس.. !!! يا حبيبتي الناس دي بتهرب آثار، عارفه يعني ايه آثار؟

يتم يجيب سؤاله، فيما هي قابعة تحت جناحه وقد رفعت عينيها إليه.

ـ.... يعني عايزين هُــسّ، من غير دوشه.

-... الو... تمام... تدخل عند الصخور اللي جنب القلعه، وشك للبحر بدون حركه، الراجل بتاعنا هيبدل الشنطه معاك بدون ما تكلمه، تنتظر مكانك ربع ساعه وتمشي.

- هووصل..؟

- ايوه... انتي تعرفيه.

- لأ... من الفيديوبس.

- مش مشكله، هتكون معاه الشنطه، وينفذ التعليمات ونعرفه..

..... مالِـك..؟!

أخذتها رِعْشة لا تعرف مصدرها، وأحست ببرودةٍ تَسْري في أوصالها كما لوخرجت من البحر لتوها، تلتصق على جسدها ملابسها المبتلة، تضربها نسمة خريفية مؤيَّدّةً بنسيم الغروب، يضمها إليه تستدفئ به.

إنها بعض أعراض الاقبال على أمر جلل لأصحاب القلوب الضعيفة، والتجْربة المحدودة، فما إن يستقبِل الواًحد من هؤلاء أمراً ما حتى تسري البرِودة في جسده، تتلوى أمعاؤه، تجري إلا أن يُمْسِك إلى حين.

- هوده ؟

- مش عارفه..

يمر زكريا بجوارهما لا يُلقى لهما بالاً، يحمل في يده الحقيبة السوداء،

يقترب من الشاطئ حيث الصخور المتراصة على مقربة من القلعة، ينظر في ساعته، ويقف يلقى بعينيه إلى البحر لا يحرك ساكناً.

يتابعانه على مقربة منه، وقد خلا المكان من رواده أويكاد، يتابعه شاكر بحذر حتى تأكد له أن لا أحد يتبعه، فيما يحمل حقيبته السوداء، تتشبث به مُنًى.

ـ ما تخافيش، دقايق وراجعلك.

اعتدلت في جلستها، تقبض على حقيبتها بيدها تضمها إلى صدرها المكتنز، ترتكز بيدها اليسرى على الصخور في وضع استعدادٍ للهروب، فيما تتابعه غير بعيد بعينين وَجلَتين، إذ يدنومنه يكاد يلتصق به، ولسان حالها يقول :ـ تُرى ما حديثك معه ؟ ألا تستبدلها وحسب ؟

أو... أودَعْها وعُد...

تغمض عينيها وترفع رأسها إلى السماء، تطلب السلامة وأنها بعد لن تُذْنِب، ولن تغدر، ولن تؤذي، ولن.. ولن...

غير أنها تخشى أن يفوتها شيء، فجعلت تُسرِع بطرفها إلى السماء، ثم لا تلبث أن تعود به على عجلٍ إليهما، تراه مقبلاً عليها يحمل حقيبته السوداء، تُرى أيهما أنتِ ؟ فيما يقف الآخر في مكانه وبجانبه الحقيبة السوداء ذاتها، أيكون استبدلها أم هي، هي ؟

أيكون استبدلها أم منعه زكريا إياها ؟

غير أنها ابتسامته تملأ وجهه، إذا، فقد فعلها.

تتحول عينيها إلى الحقيبة تتأرجح بيد شاكر، وكأنها ترى داخلها وهذه الملايين تتأرجح بين يديه، وكذلك أحلامها، وآمالها، قد ألقت بهما بين يديه منذ زمن، أشار إليها بيده من قريب مع دُنُوِّه منها، فتقف له، يأخذها من ذراعها، ويستمر في طريقه، تلك الطريق التي رسمتها لنفسها معه، تلك الطريق التي تبدأ حياتها من خلالها، على انها أنهت قبلا ما بدأت سابقاً مع آخر في رسالتها المقتضبة.

" دي دبلتك، أنا سافرت، ما تدورش عليه "

هكذا الأمر إذاً، رسالة من خمس كلمات ممهورة باسمها، أتت على ثلاث سنوات من الخطْبة، يُعيد قراءتها مَرّة بعد مَرّةٍ، يتمنى لوتتغير كلماتها، غير أنه ما خُطَّ قد خُط....

غافلته دمعة تحمل في طياتها الحسرة والألم، لتسقط فوق اسمها ـ مُنى ـ فتزيده وضوحاً، وكأنما تنادي عينيه ليرى صورتها في توقيعها أن تلك صاحبتك التى خَطَتْ فوق قلبك، وخَطَّت تلك الأحرف.

يكور الورقة في قبضته اليمنى، ويلقي بها إلى البحرِ علّها مياهه المالحة تزيل مرارة هذه الأحرف من حَلْقِه، تجافي أصابعه المُتَعَرِّقَة كفه اليسرى عن دبلة ذهبية يلقي بعينيه إليها، ثم يجمع اصابعه بها من جديد يحدث نفسه.

" ما الذي فعلته، بل ما الذي لم أفعله ؟؟؟؟!! "

لا شك قرأ الرسالة مرات ومرات، غير أنه آثر أن يشاركه حُزنه أحد

ما، ولم يجد غيره، ولم يكن ثمّة غيره.... البحر...

الصديق القديم، ذاك الذي حمل عبر شاطئه ـ لأيامٍ طوال ـ صندوق الفريسكا يصدح صوته بين المصطافين معلنا عنها.

ها قد عاد إليه وحيداً كعهده به، يُسرّ إليه بأحرف الرسالة، لا يسمعه غيره، ثم هويلقي إليه بها، ولسان حالَه يقول " ألا فاحكم بيننا "

وقبل أن يُتبع الرسالة إلى البحر دبلتها، تتوقف يده بها، وكأنما البحر أكل رسالتها أكلا، فمحا ما بها من ألمٍ، وحُزنٍ، ثم ألْقى في رَوْعه :ـ

ـ أن كُفّ، فثمّة غيرها تستحق أن يُطوَّق إصبعها بها.

وكأنما ألقى أحرف اسمها على لسانه فنطق بها :ـ أمينه...

على أنه امتلأ قلبه بالأحزان، والألام على اختلاف اسبابها، وأشكالها، ثم هولا يُرى منه إلا بحسب كل عينين تريانه، ومكنون صدر صاحبهما

فإن امتلأ القلب حزناً، وألماً،وضاق الصدر، بدا ذلك جلياً في صفحته المظلمة على تلألئها، الضيقة على سعتها.

وإن بدت السعادة في العينين تتلألآن بها، واتسع الصدر، بدا ذلك جلياً واضحاً في صفحته الضاحكة على صمتها، الرحبة تسع الدنيا بأسرها، وذلك البحر صنيعه مع البشر.

لم تكن سعاد لتترك صاحبتها، فيما الحزن ينهش قلبها، والألم يعتصر صدرها، والصمت يكاد يقتل البقية الباقية في نفسها، فيما الكلمات، بل

كل حرفٍ كأنه صخرة كالتي تجلسان عليها، لا يقوى اللسان على النطق بها، فيما القلب مُثقل.

لم يخْل زيها الذي تَزَيّت به ـ على أنه أسود ـ من جمال، بل زادها جمالاً، فبدا وجهها كالقمر بزغ من بين الغيوم السود في ليلةٍ شتويةٍ، تميل سعاد برأسها على كتفها تأخذ بذراعها إلى صدرها، وبصوتٍ متهدجٍ، تختنق الدموع فيه، لا تعرف أتخاطبها أم تحكي ما بداخلها.

أتبكيها فَقْدَ حبيبها، أم تبكي حالها.

أتندب في صاحبتها أملها الضائع، أم تندب في نفسها أملها المفقود :

ـ الحياه ما بتنتهيش بموت إنسان، ولا حتي بخروجه من حياتنا، الحياه بتستمر.... ولازم تستمر.

***

هكذا الإنسان صنيعه إذا ما أراد الصعود، وتغلغل الطموح في نفسه، فملك عليه جوارحه، يلقى بكل شيء خلف ظهره؛ ليجعل هدفه نصب عينيه، حتى يحققه أويهلك دونه.

تمـــــت